السيرة النبوية

لابن هشام

" المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ "

علق عليها، وخرج أحاديثها، وصنع فهارسها

أستاذ دكتور

عمر عبد السلام تدمري

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

إنّ الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد، سيّد البشر، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن اهتدى بهدْيه إلى يوم الدّين.

وبعد، فقد استأثرت سيرة الرسول الكريم ومغازيه باهتمام المؤرّخين منذ صدر الإسلام، فكانت البواكير الأولى للروّاد في هذا الفنّ من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين حفظوا لنا أخبار النبيّ ﷺ وسيرته الذاتيّة بكل جوانبها، وذلك عن طريق الخبر والرواية والحديث، في باديء الأمر، ثم تبع ذلك مرحلة التدوين والتصنيف.

وفي الواقع، إن حركة التدوين والكتابة للسيرة النبوية لم تتأخّر إلى أوائل العصر العباسي ـ كما يزعم بعضهم ـ، بل إنها بدأت منذ مطلع العهد الأموي، وفي أيام معاوية بن أبي سفيان، على وجه التحديد.

فعبد الله بن عباس (المتوفى سنة ٦٨ هـ). كان يحدّث عن نسب النبيّ ﷺ. ومن المعروف أنّ علم الأنساب ـ عند العرب والمسلمين ـ يدخل في علم التأريخ وفنّ السِيَر. فضلاً عن أنّ «ابن عباس» كان يدرّس «المغازي» حسبما ذُكر عنه. وهذا يعني أنّ السيرة النبويّة وجدت طريقها إلى التدوين في وقت مبكر ـ ولو بأخبار وأحاديث متفرّقة ـ على يد «ابن عباس» الذي يمكن أن نعتبره رائداً في هذا المجال.

وكذلك فعل ـ من قبل ـ «عبدالله بن عمرو بن العاص» المتوفى سنة ٦٣ هـ.

ثم جاء «البراء بن عازب» المتوفى سنة ٧٤ هـ. فكان يهتمّ بإملاء المغازي.

وتنتهي مرحلة الصحابة، لتبدأ مرحلة التابعين الذين ألّفوا في السيرة والمغازي، وكان في مقدّمتهم:

«عُرْوَة بن الزُّبير» المتوفّى سنة ٩٢ أو ٩٣ هـ. والذي ألّف في المغازي، وقد صدر كتابه «مغازي رسول الله ﷺ» محقّقاً في سنة ١٤٠١ هـ. /١٩٨١ م. برواية أبي الأسود المشهور بيتيم عُروة. وقام بتحقيقه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

ومن التابعين الذين عَنَوْا بهذا الفنّ أيضاً:

«مقسم مولى ابن عباس» المتوفّى سنة ١٠١ هـ.

و«عامر بن شراحيل الشعبي» المتوفّى سنة ١٠٣ هـ.

و«أبان بن عثمان بن عفّان» المتوفّى سنة ١٠٥ هـ. وكأن أتمَّ تأليفه في السيرة والمغازي قبل سنة ٨٢ هـ.

و«وهْب بن منبّه اليمني» المتوفّى سنة ١١٠ هـ. وتوجد قطعة من كتابه «المغازي» في مدينة «هَيْدِلْبِرْغ» بألمانيا.

و«عاصم بن عمر بن قَتادة» المتوفّى سنة ١٢٠ هـ.

و«شُرَحْبيل بن سعد» المتوفّى سنة ١٢٣ هـ.

و«ابن شهاب الزُّهري» المتوفّى سنة ١٢٤ هـ. الذي ألّف كتاباً في المغازي.

و«عبد الله بن أبي بكر بن حزم» المتوفّى سنة ١٣٥ هـ.

و«موسى بن عُقْبة» المتوفّى سنة ١٤١ هـ. وله كتاب «المغازي» ومنه نسخة في مكتبة برلين، جمعها «يوسف بن محمد بن عمر» وتشتمل على

الغزوات النبويّة. وقد صدرت قطعة منتَخَبة منه في أوروبا سنة ١٩٠٤ م.

و«مَعْمَر بن راشد» المتوفّى سنة ١٥٠ هـ.

ومن طبقة تابعي التابعين:

«محمد بن إسحاق بن يَسار» شيخ رجال السيرة، المتوفّى سنة ١٥١ هـ. وله «السِيَر والمغازي» وقد نشرها الدكتور سهيل بن زكار.

و«زياد بن عبدالله البكّائي» المتوفّى سنة ١٨٣ هـ.

و«محمد بن عمر الواقدي» المتوفى سنة ٢٠٧ هـ. وهو صاحب كتاب «المغازي» المشهور، وهو مطبوع.

و«ابن هشام» المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. وهو الذي انتهت إليه سيرة «ابن إسحاق»، واشتهرت على يديه.

و«محمد بن سعد» المعروف بكاتب الواقدي، صاحب كتاب «الطبقات الكبرى» والمتوفّى سنة ٢٣٠ هـ. وقد ضمّن السيرة والمغازي مجلَّديه الأوَّلَين.

ابن هشام

هو الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَريّ المَعَافِريّ، المتوفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. نشأ بالبصرة، ونزل مصر، واجتمع فيها بالإمام الشافعيّ، على ما قيل.

ومن الغريب، أنّ «ابن هشام» ـ على شُهرته في كتاب السيرة هذا ـ لم يجد حظّه الذي يستحقّه في كتب التراجم والطبقات، ولذا فإن معلوماتنا عن مراحل دراسته وحياته وتنقّلاته يسيرة، وإن كنّا نعرف أنه كان إماماً في النحو واللغة العربية، إلّا أنه في كثير من الأحيان ينقل عن «ابن إسحاق» أشعاراً فاسدة، ظاهرة الوضع، فلا يقطع فيها برأي، ويقول: «هكذا حدّثنا أهل العلم بالشعر»، ويقول في مواضع أخرى: «وأكثر أهل العِلم يُنكر هذا الشِعر لفلان».

أسلوبه في تدوين السيرة

وضع «ابن هشام» سيرة «ابن إسحاق» بين يديه، ثم تعقّب ما كتبه بالتحقيق والتمحيص والتعليق، فاختصر وحذف منها ما رأى أنه يخرج عن إطار السيرة النبويّة. وفي المقابل، أضاف إليها بعض الروايات والأخبار التي وقف عليها، وهو يرى أنها تخدم فكرته في وحدة الموضوع. وقد أوضح نهجه في تصنيفه للسيرة بهذه المقدّمة التي يقول فيها:

«.. وأنا إن شاء الله مبتديءُ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولدَ رسولَ الله ﷺ مِن ولدِه، وأولادهم لأصلابهم، الأوّل فالأوّل، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم، وتارِكٌ ذِكْرَ غيرهم من ولد إسماعيل، على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتاركٌ بعض ما يذكره «ابن إسحاق» في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيءٍ من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لِما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العِلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشْنُع الحديث به، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكرُه، وبعضٌ لم يُقرّ لنا «البكّائيّ» بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به».

ومن جهة أخرى، نرى ابن هشام يسترسل في سرد بعض الأنساب، وإن كان المقام ليس مقام الأنساب، وكثيراً ما يأتي ذلك معترضاً لسياق خبر، كما يقوم بشرح وتفسير بعض الألفاظ والمفردات في فقرات تعترض الخبر أيضاً، وكذلك يفعل في الشعر.

وكان «ابن هشام» أميناً ملتزماً جانب الصدق حين صنّف كتابه، حيث يُثبت النصوص التي نقلها عن «ابن إسحاق» بقوله: «قال ابن إسحاق». أما ما أضافه هو، فقد صرّح عنه بقوله: «قال ابن هشام».

عملي في السيرة

لقد اعتمدت في عملي هذا على عدّة نسخ من السيرة، يسّرت لي سُبُل المعارضة والمقارنة، وساعدتني في ضبط النص، وتصويب الأغلاط.

واستعنت بكتاب «الروض الأنف» للسُهَيْلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ. في شرح وتفسير كثير من العبارات التي يغمض فهمها، وقمت بتخريج الأحاديث الشريفة، وتحريك الكلمات المشكِلة، والإشارة إلى المصادر والمراجع المساعدة، التي تؤكّد صحّة منقولات «ابن هشام» عن ابن إسحاق. وألحقت عدّة فهارس في آخر الكتاب، تساعد الباحثين على سرعة الوقوف على ضالّتهم من الأعلام والأماكن والآيات والأحاديث والأشعار وغيرها.

ولقد آثرت، أن لا أُثقِل على القاريء الكريم بمقدّمة مطوّلة، لن أجترح فيها جديداً عمّا سبق أن دبّجه يراع الكُتّاب والباحثين والمحقّقين في هذا المجال،

سائلاً المولى أن يكتب لي عملي في السيرة النبوية في صحائفي، ويمحو به من سيّئاتي، فهونِعم المولى ونِعم المجيب.

عمر عبد السلام تدمري

طرابلس الشام
الخميس - غرّة صفر ١٤٠٨ هـ
٢٤/٩/١٩٨٧ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وبه نستعين﴾

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكي[1]

من محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم
إلى آدم عليه السلام.

قال أبو محمّد عبدُالملك بن هشام: هذا كتاب سيرة رسول الله - ﷺ -. محمدُ بنُ

---

(١) اصطفى الله سبحانه وتعالى نبيّه محمداً - ﷺ - من أشرف الإنسان وأسماها، وأطهرها وأعلاها. ونسبه ﷺ في الأنبياء عريق، فهو من ذرية إسماعيل بن الخليل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. ويتضح شرف نَسَبه ﷺ:

أ - من القرآن:

١ - قول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨). قرأ عبدالله بن قُسيط المكي بفتح الفاء. قال أبو الفتح بن جني: معناه من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفَس المَتَاع. أي: أجْوَده وخِياره. (المحتسب لابن جني ١/٣٠٧).

٢ - قول الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رُسُلاً ومن النّاس إنّ الله سميع بصير﴾ (الحج: ٧٥).
والله يهيّيء لمن سيصطفيه ما يؤهّله لذلك.

٣ - قول الله تعالى: ﴿أم لم يعرفوا رسولَهم فهم له مُنْكِرُون﴾ (المؤمنون: ٦٩). وفي هذا دليل على معرفتهم إيّاه ﷺ بما فيه من فضائل ومن كريم خُلُق، وطهارة نَسَبه، إذ الاستفهام إنكاريّ، يُنكر عليهم سبحانه تجاهلهم للنبيّ ﷺ - مع أنّهم يعرفونه حقّ المعرفة.

ويتضمّن تعبير (يعرفوا) معاني عديدة كما تُلْهمه روح الآية، أي إنهم يعرفونه - ﷺ - بإيجابياته الشخصية والنَّسَبِيَّة، وما طُبع ونشأ من خير وعفّة. (السيرة النبوية د. عبدالمهدي بن عبدالهادي). =

عبدِالله بنُ عبدالمطّلب ـ واسم عبدالمطّلب: شَيْبة[1] بن هاشم ـ واسم هاشم:

= ب ـ من السُّنَّة: هناك أحاديث كثيرة تبيّن شرف نَسَبه ـ ﷺ ـ ومنها قول أبي سفيان في صحيح البخاري: هو فينا ذو نسب. وانظر في نسب النبي ﷺ طبقات ابن سعد ١/٥٥ ـ ٥٩ وتاريخ الطبري ٢/٢٧٦ وعيون الأثر ١/٢١ ـ ٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (السيرة النبوية) وهي بتحقيقنا ـ طبعه دار الكتاب العربي ـ بيروت ١/١٧ ـ ٢٢ ومروج الذهب ٢/٢٧٣ والسيرة لابن كثير ١/١٨٣ ـ ١٨٩.

(١) قال ابن قتيبة: اسمه عامر.
والصحيح كما ذكر ابن إسحاق أنّ اسمه شيبة. وسُمّي بذلك:

١ ـ لشيبة كانت في رأسه وُلد بها.
٢ ـ وقيل: إن أباه أوصى أمه بذلك ففعلت.
٣ ـ وقيل: كانوا يسمّونه بذلك تفاؤلاً ببلوغ سنّ الحنكة.

وكانوا يقولون له: شيبة الحمد، لكثرة جوده.

ولكن هذا التعليل يصحّ إن كان لقّب بذلك كبيراً، وأما إن كان يُعرف به صغيراً، فإنّما ذلك رجاء أن يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له.

وعلّلوا إطلاق عبدالمطّلب عليه بأحد أمور:

١ ـ أن أباه هاشماً لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطّلب بن عبد مَناف: أعدك عبدك. قاله استعطافاً، أو على عادة العرب في إطلاقهم على اليتيم المربّى في حجْر شخص أنه عبده.

٢ ـ أن عمّه المطّلب جاء به الى مكة رديفه، وهو بهيئة رثّة، فكان يسأل عنه فيقول: هو عبدي، حياء من أن يقول: ابن أخي، فلما أدخله مكة وأحسن من حاله، أظهر أنه ابن أخيه.

٣ ـ أن أباه هاشماً لما مرّ بالمدينة المنورة في تجارته إلى الشام نزل على عمرو بن زيد بن لَبِيد بن حرام الخزرجي البخاري ـ وكان سيد قومه ـ فأعجبته ابنته سلمى، فخطبها إلى أبيها فزوّجها منه، واشترط عليه مقامها عنده. وقيل: بل اشترط عليه أن لا تلد إلّا عنده بالمدينة، فلما رجع من الشام بنى بها، وأخذها معه إلى مكة، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حبلى، فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزة، ووضعت سلمى ولدها فسمّته: شيبة، فأقام عند أخواله بني عديّ بن النجّار سبع سنين، ثم جاء عمّه المطّلب بن عبدمَناف، فأخذه خفية من أمّه فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس وراءه على الراحلة قالوا: من هذا معك؟ فقال: عبدي ثم جاءوا فهنّأوه به، وجعلوا يقولون له: عبد المطّلب، لذلك، فغلب عليه.

عمرو[1] - بن عبد مَنَاف - واسم عبد مَناف: المغيرة[2]، بن قُصَيّ[3]، بن كِـلاب[4].

---

(١) عمرو: هو اسم منقول من أحد أربعة أشياء:
١ - من العَمْر الذي هو العُمْر.
٢ - أو العمر الذي من عمور الإنسان.
٣ - أو العمر الذي هو طرف الكُمّ، يقال: سجد على عُمريْه: أي على كُمَّيْه.
٤ - أو العمر الذي هو القِرْط، كما قال التنوخي
وعـمـرو هـنـد كـأنّ الله صـوّره   عمـرو بن هنـد يـوم النـاس تعنيتـاً
٥ - وزاد أبو حنيفة وجهاً خامساً فقال في العمر الذي هو اسم لنخل السُّكَّر: ويقال فيه: عمر أيضاً.

قال: يجوز أن يكون أحد الوجوه التي سُمّي بها الرجل عمراً، وقال: كان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العمر. (الروض الأنف ١/٧).

وإنَّما سُمّي هاشماً لهشْمه الثريد مع اللحم لقومه في سنيّ الجدْب، وهو أول من سنّ رحلتي الشتاء والصيف، وكانت إليه السقاية والرفادة بعد أبيه.

وإلى هاشم هذا وإلى أخيه المطّلب نُسب ذوو القربى فيقال: ذوو القربى قربى النبيّ ﷺ - هم بنو هاشم وبنو المطّلب.

(٢) المغيرة المنقول من الوصف والهاء فيه للمبالغة، أي: أنه مغير على الأعداء أو مغير، من أغار الحبل إذا أحكمه، ودخلته الهاء كما دخلت في علاّمة ونسّابة، لأنهم قصدوا قصد الغاية. أو تكون الهاء للتأنيث وهو منقول من وصف كتيبة أو خيل مغيرة.

وكان عبد مَناف هذا يلقّب: قمر البطحاء، وذلك لشدّة جماله، وكان قد رأس في زمن والده وذهب به الشرف كل مذهب. (الروض ١/٧ - ٨).

(٣) اسم قُصيّ: زيد، وسُمّي بذلك لأنّ أمّه تزوّجت بعد أبيه بربيعة بن حرام فسافر بها ومعها ابنها صغير إلى بلاد قُضاعة، فنشأ بعيداً عن مكة فسُمّي بذلك لذلك.

عاد قصيّ إلى مكة وهو كبير، ولَمَّ شَعْث قريش وجمعها من متفرقات البلاد، وأزاح يد خُزاعة عن البيت وأجلاهم عن مكة، ورجع الحق إلى نصابه.

وصار رئيس قريش على الإطلاق، وله الرفادة والسقاية والسدانة والحجابة واللواء ودار الندوة. (الروض الأنف ١/٨/ والسيرة لابن كثير ١/٩٤).

(٤) كلاب - بكسر الكاف والتخفيف - منقول من المصدر بمعنى المكالبة، أو من الكلاب جمع كلب، لإرادة الكثرة، لُقّب به لِحُبِّهِ الصيد.

اسمه حكيم، أو حكيمة، أو عروة، وكنيته أبو زُرْعة.

وهو أول من حلّى السيوف بالنقد (الذهب أو الفضة).

ابن مُـرَّة(١)، بن كـعب(٢)، بـن لُؤيّ(٣). بـن غـالب، بـن فِهْـر(٤)، بـن مـالـك(٥)، بن النَّضْـر(٦)، بن كِنـانـة(٧)، بن خُـزَيـمـة(٨)، بن مُـدْرِكـة ـ واسـم مُـدْرِكـة:

---

(١) بضمّ الميم وتشديد الراء المفتوحة، كنيته أبويقظة، واسم مُرَّة يجوز في أصله ما يلي:

١ ـ منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيراً ما يسمّون بحنظلة وعلقمة.

٢ـ الهاء فيه للمبالغة، منقول من وصف الرجل بالمرارة، وقد سُمّي بـ (مُر) من هؤلاء تميم.

٣ ـ مُسمًّى باسم نبات. قال في (الروض الأنف ١/٨): «وأحسبه من المُسَمّين بالنبات، لأنّ أبا حنيفة ـ الدينَوَري ـ ذكر: أن المُرَّة بقْلة تُقلع فتؤكل بالخلّ والزيت، يشبه ورقها ورق الهندباء.

(٢) كعب: كنيته أبو هصيص.

وكعب منقول:

أ ـ إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن.

ب ـ أو من كعب القدم، قال في الروض: وهو عندي أشبه لقولهم: ثبت ثبوت الكعب. وجاء في خبر ابن الزبير: أنه كان يصلّي عند الكعبة يوم قتل، وحجارة المنجنيق تمرّ بأذنيه، وهو لا يلتفت كأنه كعب راتب. وكعب بن لُؤَيّ هذا أول من جمع يوم العروبة، ولم تسمَّ العروبة الجمعة إلّا مذ جاء الإسلام في قول بعضهم، وقيل: هو أول من سماها الجمعة، فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكّرهم بمبعث النبي ﷺ ـ ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتّباعه والإيمان به، وينشد في هذا أبياتاً منها قوله:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأحكام له. (الروض ١/٨).

(٣) بضم اللام، وهمزة، وقد تسهّل، ولُؤَيّ:

أ ـ إما تصغير لأْيٍ ـ بوزن عصا ـ وهو الثور الوحشي.

ب ـ وإما تصغير لأي ـ بوزن عبد ـ وهو البُطْء، كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة. (الروض ١/٩).

(٤) بكسر الفاء وسكون الهاء ـ اسمه قريش. وإليه تنسب قريش. فما كان فوقه فكناني، وقيل اسمه فهر ولقبه قريش والفِهْر من الحجارة. (الروض ١/٩، وشرح المواهب اللدنية ١/٧٥).

(٥) مالك: كنيته أبو الحارث.

(٦) النَّضْر: بفتح فسكون، اسمه قيس، ولقّب بالنضر لنضارة وجهه وجماله.

(٧) سُمّي بلفظ وعاء السهام إذا كان من جلد، لأنه كان ستراً على قومه كالكِنانة التي يصان فيها النبل. وذلك لأنه كان عظيم القدر، يحتاج إليه العرب لعلمه وفضله.

(٨) بوزن التصغير وهو تصغير خَزَمة، واحده الخزم، وهو شجر تتخذ من لحائد الحبال، أو تصغير خزمة: المرة الواحدة من الخَزْم. وهو شدّ الشيء وإصلاحه، وكنيته أبو أسد.

عامر[1]ـ، بن الياس[2]، بن مُضَر[3]. بن نِزار[4]، بن مَعَدّ[5]، بن عدنان[6]، بن أُدّ[7] ـ ويقال: أُدَد ـ، بن مُقَوِّم، بن ناحور[8]، بن تَيرَح[9]، بن يَعْرُب، بن

---

(١) اسمه عمرو: وقال ابن إسحاق: عامر.
وإنما أطلق عليه مدركة لأنه أدرك أرنباً عجز عنه رفقاؤه. وكنيته أبو هذيل.

(٢) قال ابن الأنباري (ت: ٣٢٨): إلياس بكسر الهمزة ـ وهي أصلية ـ وجعله موافقاً لاسم إلياس النبي ﷺ ـ وجعل في اشتقاقه أقوالاً منها:
١ ـ فِعْيَال من الأَلْس، وهو الخديعة، أو اختلاط العقل.
٢ ـ إِفْعَال من رجل أَلْيَس: شجاع لا يفرّ.
وذهب غير ابن الأنباري الى أنه الياس بهمزة وصل، واللام فيه للتعريف، سُمّي بضدّ الرجاء، وكنية الياس: أبو عمرو وهو أول من أهدى البُدن للبيت.
وصحح السهيلي. أنَّ الهمزة همزة وصل. (الروض الأنف ١/٩ ـ ١٠).

(٣) بضمٍّ ففتح، معدول عن ماضر، اسمه عمرو، وكنيته أبو الياس ومُضر من المضيرة وهي شيء يصنع من اللبن.
أو من اللبن الماضر، أي الحامض.
سُمّي بذلك لبياضه، أو لأنه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله، أو لأنه كان يحب اللبن الحامض.
وكان يعرف بـ (مُضر الحمراء) لأنّ العرب تسمي الأبيض أحمر، أو لأنّ أباه أوصى له بقُبّة حمراء، أو لأنه كان من نصيبه من تَرِكَة أبيه الذهب.
كان مُضر هذا أحسن الناس صوتاً ـ فيما زعموا ـ وكان صاحب فراسة وقيافة، وهو أول من علّم العرب حُداء الإبل. (الروض ١/١٠).

(٤) بكسر النون والتخفيف، من النزر وهو القليل، سمّي بذلك لأنه كان فريد عصره، أو سُمّي به لنحافته.

(٥) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة.
مَفْعَل من العد، أو فَعَلّ من معد في الأرض: إذا أبعد في الذهاب، أو من المُعَدّين، وهما موضع عقبي الفارس من الفرس، وأصله على القول الثاني والثالث من المعْد ـ بسكون العين ـ وهو القوة، ومنه اشتقاق المعدة.

(٦) فعلان من عَدَن بالمكان، إذا أقام فيه.
وإلى هنا معلوم الصحة، مجمع عليه في نسبه، مُتّفق عليه بين النّسّابين، وما فوق مختلَفٌ فيه. ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام.
(أنظر طبقات ابن سعد ١/٥٦ وتاريخ الاسلام ١/١٧ ـ ١٨ عيون الأثر ١/٢. وزاد المعاد ١/٧١ والروض ١/١١ والسيرة لابن كثير ١/١٨٨ ـ ١٨٩).

(٧) قال في الروض ١/١١: وأدد مصروف، قال ابن السراج: هو من الود وانصرف، لأنه مثل ثقب، وليس معدولاً كعمر. وهو معنى قول سيبويه.

(٨) من النحر.

(٩) تيرح: فيعل من الترحة، إن كان عربياً.

يَشْجُبَ[1]، بن نـابت، بن إسماعيـل[2]، بن إبـراهيم[3] ـ خليـل الـرحمن ـ، بـن تارح ـ وهو آزر[4] ـ، بن ناحور، بن سـاروغ[5]، بن راعو[6]، بن فـالخ، بن عيبر، بن شالـخ، بن أرفخشذ، بن سـام، بن نوح، بن لمـك، بن مَتُّو شَلَخ، بن أخنوخ ـ وهـو إدريس النبيّ ـ فيما يـزعمون والله أعلم ـ وكـان أول بني آدم أُعطي النبوة، وخطّ بالقلم[7] ـ ابن يَرْد، بن مهليـل، بن قَيْنَن[8]، بن يانِش[9]، ابن شيث[10]، بن آدم[11]، ﷺ[12].

---

(١) من الشجب كما في (الروض ١/١٢).
(٢) تفسيره: مطيع الله.
(٣) معناه: أب راحم. (انظر بصائر ذوي التمييز ٦/٣٢).
(٤) قيل معناه: يا أعوج.
وقيل: هو اسم صنم. وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة.
وقيـل: هو اسم لأبيـه، كان يُسمَّى تـارح وآزر، وهذا هـو الصحيح لمجيئـه في الحـديث منسوباً إلى آزر.
(٥) قـال في (الروض الأنف ١/١٢ ـ ١٣): «ومـا بعد إبـراهيم أسماء سـريانيـة فسّـر أكثـرهـا بالعربية ابن هشام في غير هذا الكتاب، وذكر أن:
فالغ: معناها القسام.
وشالخ: معناها: الرسول، أو الوكيل.
وأرفخشذ تفسيره: مصباح مضيء».
(٦) ويقال: راغوا بالغين وأرغوا كما في (طبقات ابن سعـد ١/٥٤ وعيون الأثـر ١/٢٢ ونهايـة الأرب ١٦/٤ وفي مروج الذهب ٢/٢٧٢ «أرعواء»).
(٧) كما روى ذلك أحمد في المسند عن أبي ذَرّ الغِفاري مرفوعاً في حديث طويـل، والديلمي في (الفـردوس ١/٦٠ رقم (٥١) بتحقيق فـواز أحمـد الـزمـرلي ومحمـد المعتصم بـالله البغدادي، طبعة دار الكتاب العربي. وابن حبّان في الموارد ص ٥٣ ـ ٩٤. وانـظر كشف الخفاء ١/٣١٤ ومحاضرة الأوائل ص ٢٧ والوسائل في مسامرة الأوائل، ص ١١٣).
(٨) قينن: وقيل: قينان، وتفسيره: المستوي.
(٩) يانش: وقيل: أنوش، وتفسيره: الصادق.
(١٠) شيث: وهو بالسريانية: شاث، وتفسيره: عطية الله.
(١١) فيه ثلاثة أقوال: ١ ـ قيل هو اسم سرياني. ٢ ـ وقيل: مشتق من الأدْمة، وهي بياضُ اللون.
وقيل: لون بين البياض والسواد كلون الحنطة.
٣ ـ وقيل: أخذ من لفظ الأديم، لأنـه خُلق من أديم الأرض. (الروض ١/١٤ وبصـائر ذوي التمييز ٦/٢٢).
(١٢) ذكـره الـديلمي مـرفـوعـاً في الفـردوس عن ابن عبـاس رقم (٩٦) ١/٧٣ بتحقيق إزمـرلي والبغدادي.
=

= قال ابن حجر في (تسديد القوس (ق: ١١٧): «أسنده عن عبدوس كتابة عن أبي بكر الشيرازي: أنا أبو بكر بن مت، أنا الحسن بن صاحب بن عمران بن موسى بن أيوب بن أبي إسماعيل بن يحيى، عن الثوري، عن إسماعيل بن أمية، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس.

وأخرجه من وجه آخر عن أنس الى نزار، وزاد: وما افترق الناس فرقتين إلاّ كنت في خيرهما». اهـ.

قال ابن كثير في السيرة ١/١٨٩ عن رواية أنس إلى نزار، وفيها الزيادة: «وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك، تفرّد به القدامى: وهو ضعيف، ولكن سنذكر له شواهد من وجوه آخر» اهـ.

وانظر (طبقات ابن سعد ١/٥٦ ـ ٥٧ وكتاب الفردوس ١/٧٣) فإنه يوجد بعض الاختلاف في الأسماء.

والكاتبون في السيرة ممن اطّلعت على كتبهم يجعلون الأئمة فريقين في موضوع رفع النسَب، فريق يرى ذلك ـ رفع النَسَب ـ وفريق يمنعه.

والمانعون لرفع النَسَب هو الإمام مالك، ولم يذكروا غيره. قال في (الروض الأنف ١/١٤ ـ ١٥): «وإنما تكلّمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من رأى ذلك من العلماء، ولم يكرهه، كابن إسحاق والطبري والبخاري والزبيريين وغيرهم.

وأما مالك رحمه الله، فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له: فإلى إسماعيل؟ فأنكر ذلك أيضاً.

وقال: ومن يخبره به؟!

وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم ابن فلان ابن فلان، قال: ومن يخبره به؟! وقع هذا الكلام لمالك في الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطي، وإنما أصله لعبدالله بن محمد بن حنين، وتمّمه المعيطي» اهـ.

والظاهر أن الأمر أيسر من ذلك، فلا خلاف بين العلماء، غاية الأمر أن الإمام مالك يستبعد وجود من يعلم ذلك، ويجعل العلم شرطاً والثقة ضرورية في الحكم بذلك، ولا أظنّ أنّ أحداً يخالفه في ذلك.

فإذا وجد من يعلم، وتوفرت أسباب الثقة فلا يمنعه الإمام مالك كما لا يمنعه غيره.

ومن ثم يقول ابن عبد البر: والمعنى عندنا في هذا غير ما ذهبوا إليه، والمراد أن من ادّعى إحصاء بني آدم، فإنه لا يعلمهم إلاّ الله الذي خلقهم، وأما أنساب العرب فإنّ أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها، واختلفوا في بعض فروع ذلك.

ولعلّ سرّ قوْل مالك هذا أنه لم يكن من أهل العلم بالأنساب، سأله أبو نُعيم: ما كان اسم عبدالمطّلب؟ قال: شيبة، قال: فهاشم؟ قال: عمرو. قال: فعبدمَناف؟ قال: لا أدري. (انظر السيرة لابن كثير ١/٧٥ ـ ٧٧ والسيرة النبوية د. عبدالمهدي بن عبدالهادي ص ٦).

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي[1]، عن محمد بن إسحاق المطّلبي[2]، بهذا الذي ذكرت من نَسَب محمد رسول الله - ﷺ - إلى آدم عليه السلام، وما فيه من حديث إدريس وغيره.

قال ابن هشام: وحدّثني خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسي، عن شَيبان بن زُهير بن شقيق بن ثور، عن قَتادة بنِ دِعامة، أنه قال:

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور، ابن أسرغ، بن أرغو، بن فالخ، بن عابر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، بن لمك، بن مَتّوشلخ، بن أخنوخ، بن يرد، بن مهلائيل، بن قاين، بن أنوش، بن شيت، بن آدم - ﷺ -.

منهج ابن هشام في عرضه للسيرة: قال ابن هشام: وأنا - إن شاء الله - مبتدىء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومَن ولدَ رسول الله - ﷺ - من ولده، وأولادهم لأصلابهم، الأول فالأول، من إسماعيل إلى رسول الله - ﷺ - وما يعرض من حديثهم، وتارك ذِكْر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة؛ للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله - ﷺ - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب، مما ليس لرسول الله - ﷺ - فيه ذِكْر، ولا نزل فيه من

---

(١) هو زياد بن عبد الله الطُفيل البكّائي الكوفي، صاحب ابن إسحاق. حدّث عن منصور، وعبدالملك بن عُمير والكبار، وعنه أحمد والفلّاس، والحسن بن عرفة وخلق.
قال أحمد: حديثه حديث أهل الصدق، وقال ابن مَعِين: لا بأس به في المغازي، وأما في غيرها فلا. وقال ابن المَدِيني: ضعيف، كتبت عنه وتركته. وقال أبو حاتم: لا يُحتَجّ به. وقال أبو زُرْعة: صدوق. وقد روى له البخاري حديثاً مقروناً بآخر.
وقال النسائي: ضعيف، وقال مرّة: ليس بالقويّ. وقال ابن سعد: كان عندهم ضعيفاً، وقد رووا عنه. وقال عبدالله بن إدريس: ما أحدٌ أثبت في ابن إسحاق من زياد البكائي، لأنه أملى عليه إملاءً مرتين. وقال صالح جزرة: هو في نفسه ضعيف، لكن هو من أثبتهم في المغازي.
قال ابن حجر: صدوق ثبت في المغازي، وفي حديثه عن غير ابن اسحاق ليّن، ولم يثبت أنّ وكيعاً كذّبه. . (انظر الميزان ٢/٩١ والتقريب ١/٢٦٨).

(٢) مرّت ترجمته في مقدّمة الكتاب.

القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لِما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنّع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذِكره، وبعض لم يقرّ لنا البكّائي بروايته، ومستقصٍ - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له، والعلم به.

سياقة النَّسَب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد اسماعيل عليه السلام:

قال ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائيّ(١)، عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي قال:

ولد إسماعيلُ بن إبراهيم - عليهما السلام - اثني عشر رجلاً: نابتاً - وكان أكبرهم -، وقَيْذر(٢)، وأذبُل، ومنشا، ومِسْمَعا، وماشي، ودِمَّا(٣)، وأذر، وطيما(٤)، ويطورا(٥)، ونبش، وقَيذُما. وأُمُّهم: بنتُ مُضاض(٦) بن عمرو الجُرهمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض، وجُرهم بن قحطان - وقحطان أبو

---

(١) مرّت ترجمته قريباً.

(٢) معناه: صاحب الإبل، وذلك أنه كان صاحب إبل إسماعيل.

(٣) قال السهيلي ١٥/١: ورأيت للبكري أن دومة الجندل عُرف بدوما بن إسماعيل، وكان نَزَلها، فلعلّ دما مغيَّر منه.

(٤) قال السهيلي ١٥/١: «وقيّده الدارقطني: ظميا، بظاء منقوطة بعدها ميم، كأنها تأنيث أظمى، والظمى مقصور: سمرة في الشفتين».

(٥) وقيل: إن جبل الطور سُمّي بيطُور بن إسماعيل، فلعلّه محذوف الياء، والله أعلم.
وأما الذي قاله أهل التفسير في الطور، فهو كل جبل ينبت الشجر، فإن لم ينبت شيئاً فليس بطور.

(٦) اسمها: السيدة، كما ذكره الدارقطني.

اليمن كلّها، وإليه يجتمع نسبها - ابن عابر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح.

قال ابن إسحاق: جُرهم، بن يقطن، بن عيْبر، بن شالخ، ويقطن هو: قحطان بن عيبر بن شالخ.

عمر اسماعيل وموطن أمه ووفاته: قال ابن إسحاق: وكان عمر إسماعيل - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات - رحمه الله وبركاته عليه - ودُفن في الحِجْر مع أمه هاجر - رحِمهمالله تعالى.

قال ابن هشام: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف من الهاء، كما قالوا: هُراق الماء، وأراق الماء، وغيره، وهاجر من أهل مصر.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها: قال ابن هشام: حدّثنا عبدالله بن وهْب[1]، عن عبدالله بن لَهِيعة[2]، عن عمر[3] مولى غُفْرة[4]: أن رسول الله - ﷺ - قال:

---

(١) عبدالله بن وهْب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري. الفقيه، ثقة عابد، حافظ. (التقريب ١/٤٦٠ والتهذيب ٦/٧١ - ٧٤).

(٢) عبد الله بن لهيعة بن عُقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، القاضي، صدوق، خلّط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما، وله في صحيح مسلم بعض شيء مقرون. (التقريب ١/٤٤٤).

(٣) هو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص مولى غُفْرة - بضم المعجمة وسكون الفاء - أدرك ابن عباس، وسأل سعيد بن المسيّب والقاسم.
قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ليس به بأس، ولكن أكثر حديثه مراسيل.
وقال الدوري عن ابن مَعِين: لم يسمع من أحد من الصحابة، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ضعيف وكذا قال النسائي.
وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، ليس يكاد يُسْنِد وكان يرسل حديثه. مات سنة ١٤٥ هـ وقيل: ١٤٦ (أنظر التهذيب ٧/٤٧١ - ٤٧٢) وقال في التقريب (٢/٥٩: ١١) ضُعِّف، وكان كثير الإرسال». أهـ.

(٤) غُفْرة: بضم الغين وسكون الفاء كما في التقريب. وفي (الإصابة ٤/٣٦١) عُمير مولى غُفَيرة - بالتصغير. هكذا
وغُفرة: هذه أخت بلال بن رباح كما في (الإصابة ٤/٣٦١).

«الله الله في أهل الذمّة. أهل المَدَرة السوداء، السُّحْم الجِعاد[1]، فإنّ لهم نَسَباً وصِهراً»[2].

قال عمر مولى غُفْرة: نسبهم: أنّ أم إسماعيل النبيّ - ﷺ - منهم، وصهرهم، أنّ رسول الله - ﷺ - تسرّر فيهم[3].

قال ابن لَهِيعة: أم إسماعيل: هاجر، من «أم العرب» قرية كانت أمام الفَرَما[4] من مصر. وأم إبراهيم: مارية سرية النبيّ - ﷺ - التي أهداها له المقَوْقَسُ من حفن[5]، من كورة أنْصِنا[6].

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُهري[7]: أنّ عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم

---

(١) المدرة: البلدة. والسحم: السود. والجعاد: يقال: فلان جعد الشعر: إذا كان فيه تكسير.

(٢) الحديث بهذا السند ضعيف مرسل، كما رأيت لضعف عمر هذا وإرساله الحديث.
وقد ورد بنحوه عند الطبراني عن أم سلمة أن رسول الله - ﷺ - أوصى عند وفاته فقال: الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله.
قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/٦٣): (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).
وعن أبي هانيء حميد بن هانيء أنه سمع أبا عبدالرحمن الحبلي - وهو عبدالله بن يزيد - وعمرو بن حُريث وغيرهما يقولان: إن رسول الله - ﷺ - قال: إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم. فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوّة لكم وإبلاغ إلى عدوّكم بإذن الله - يعني قبط مصر.
قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/٦٤): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أي: اتخذ أمة - وهي مارية بنت شمعون التي أهداها إليه المقوقس - لفراشه.

(٤) الفَرَما: مدينة كانت تنسب إلى صاحبها الذي بناها، وهو الفرما بن قيلقوس، ويقال فيه: ابن قليس. ومعناه: محب الغرس. ويقال فيه: ابن بليس. ذكره المسعودي. والأول قول الطبري. (الروض ١/١٨).

(٥) حفن: هي قرية بالصعيد معروفة، وهي التي كلّم الحسن بن علي - رضي الله عنهما - معاوية - رضي الله عنه - أن يضع الخراج عن أهلها، ففعل معاوية ذلك حفظاً لوصية رسول الله - ﷺ - بهم، ورعاية لحرمة الصهر، ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال. (الروض ١/١٨).

(٦) قرية بالصعيد، يقال: إنها كانت مدينة السَّحَرَة، قال أبو حنيفة: ولا ينبت اللبخ إلّا بأنصنا، وهو عود تنشر منه ألواح للسفن، وربما رعف ناشرها. (الروض ١/١٨).

(٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب=

السلمي[1]، حدّثه: أن رسـول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إذا فتحتم مصر؛ فـاستوصـوا بأهلها خيراً؛ فإنّ لهم ذمة ورَحِماً**». فقلت لمحمد بن مسلم الزُهري: ما الرحِم التي ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ لهم؟ فقال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم[2].

أصل العرب: قال ابن هشام: فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهـل اليمن يقول: قحـطان من ولد إسـماعيل، ويقـول: إسماعيـل أبـو العرب كلّها[3].

= القرشي الزهـري، وكنيته أبـو بكر، الفقيـه الحافظ، متّفَق على جـلالته وإتقـانه. (التقـريب ٢/٢٠٧).

(١) عبد الرحمن بن عبـدالله بن كعب بن مالـك الأنصاري السلمي أبـو الخطاب المـدني. روى عن أبيه وجده وعمه عبيدالله وأبي هريرة وجابر. . . .

قل: إنه كان أعلم قومه وأوعاهم، وقال النسائي: ثقـة. وقال خليفـة بن خياط: مـات في خلافة هشام بن عبدالملك. (التهذيب ٦/٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) هذه الرواية التي ذكرها ابن إسحاق هنا مرسلة، فعبدالرحمن لم يـذكر من حـدّثه عن رسـول الله ـ ﷺ ـ قـال الذهبي في تـاريخ الإسـلام ١/٣٧٦ بعد أن ذكـر هذه الـرواية: «وقـد رواه مـوسى بن أعين، عن اسحـاق بن راشـد، عن ابن شهـاب، عن عبــدالـرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه متصلاً» أهـ. وانظر (هدي الساري ص ٣٦٣).

قال ابن حجر في (التهذيب ٦/٢١٥): «وقع في صحيـح البخاري في الجهـاد تصريحـه بالسماع من جده، وقال الذهلي في العلل: ما أظنه سمع من جدّه شيئاً. وقـال الدارقـطني: روايته عن جده مرسل» أهـ. وانظر (هدي الساري ص ٣٦٣).

والموضع الذي قصده ابن حجر هو في كتاب الجهاد، بـاب (١٠٣) من أراد غزوة فـورّى بغيرها، حديث رقم (٢٩٤٧) ٦/١١٢ ـ ١١٣.

وعن كعب بن مالك قـال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقـول: إذا فتحت مصر فـاستوصـوا بالقبط خيراً، فإن لهم دماً ورحماً.

وفي رواية: إن لهم ذمة ـ يعني أم إسماعيل كانت منهم. رواه الطبراني.

قـال في (مجمع الـزوائد ١٠/٦٣) «رواه الـطبـراني بـإسنـادين ورجـال أحـدهمـا رجـال الصحيح».

وقد روى الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابـة، باب (٥٦) وصيـة النبي ـ ﷺ ـ بأهـل مصر، حديث رقم (٢٥٤٣) ٤/١٩٧٠.

وأحمد في المسند ٥/١٧٤ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون مصـر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحِماً. أو قال: ذمةً وصهراً، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها. . .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير ٩/٥٣١ ـ ٥٣٢: =

قال ابن إسحاق: عـاد بن عَوْص، بن إرَم، بن سـام، بن نوح، وثمـود وجـديس ابنا عـابر، بـن إرم، بن سـام، بن نوح، وطَسْم وعمـلاق وأُمَيم بنـو لاوذ، بن سـام بن نوح. عـرب كلّهم. فَوَلَـدَ نابتُ بن إسـماعيـل: يشجب بن نابت، فولد يشجبُ: يعربَ بن يشجب: فولد يعرب: تَيْرَح بن يعـرب، فولـد تيرح: ناحور بن تيرح، فولد ناحور: مقوّم بن ناحور، فولد مقوّم أدد بن مقـوّم، فولد أدد: عدنان بن أدد.

قال ابن هشام: ويقال: عدنان بن أُد.

قـال ابن إسحاق: فمن عـدنان تفـرّقت القبـائـلُ من ولـد إسـماعيـل بن إبـراهيم ـ عليهما السـلام ـ فولَـدَ عدنـان رجلين: معد بن عـدنـان، وعـك بن عدنان.

قـال ابن هشام: فصـارت عك في دار اليمن، وذلـك أنّ عكـاً تـزوج في الأشعـريين، فـأقام فيهم؛ فصـارت الدار واللغـة واحدة. والأشعـريـون: بنـو أشعـر، بن نبت، بن أدد، بن زيد، بن هَمَيسَـع، بن عمـرو، بن عـريب، بن يشجب، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان. ويقال: أشعر: نَبْت بن أدد. ويقال: أشعر: بن مالك، ومالك: مَذحِج بن أدد ابن زيد بن هميسع. ويقال: أشعر: بن سبأ بن يشجب.

= «واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من سلالة إرَم بن سام بن نوح.
واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق.

والثاني: أنه من سلالة عابر، وهو هود عليه الصلاة والسلام، واختلفوا ـ أيضاً ـ في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضاً.

والثالث: أنه من سلالة اسماعيل بن إبـراهيم الخليل عليهمـا الصلاة والسـلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه على ثلاث طـرائق أيضاً. وقـد ذكر ذلـك مستَقْصىً الإمام الحـافظ أبو عمر بن عبدالبـرّ النّمري ـ رحمـه الله تعالى ـ في كتـابه المسمّى: (الإنبـاه على ذكر أصـول القبائل والرواه)».

وأنشدني أبو مُحرز خَلَف الأحمر، وأبو عبيدة[1]، لعباس بن مرداس[2]، أحد بني سُليم، بن منصور، بن عكرمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيلان، ابن مُضَر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، يفخر بعك:

وعك بن عدنان الذين تلقّبوا بغسان حتى طُرّدوا كل مطرَّد

وهذا البيت في قصيدة له. وغسان: ماء بسدّ مأرب باليمن، كان شِرباً لولد مازن بن الأسد، بن الغوث، فسُمُّوا به. ويقال: غسان: ماء بالمشُلل قريب من الجُحفة، والذين شربوا منه تحزّبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

ذكر نسب الأنصار

قال حسّان بن ثابت الأنصاري[3] - والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابنيْ

---

(١) هو أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى التيمي تيم قريش، أو تيم بني مُرّة. ولد على الأرجح سنة ١١٠ هـ له مجاز القرآن وغيره الكثير من الكتب.
(وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٥٦، وتاريخ بغداد ١٣/٢٥٤).

(٢) هو عباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي أبو الهيثم، ويقال: أبو الفضل، له صحبة، أسلم قبل الفتح، وشهد فتح مكة، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية. ونزل ناحية البصرة.
ويقال: إنه نزل دمشق وابتنى بها داراً، وكأنه مات في خلافة عثمان.
ونسبه ابن عبد البرّ: عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة، بن سليم. وذكره ابن سعد في طبقة الخندقيين.
وذكر ابن إسحاق في المغازي أن اسلامه كان يسبب رؤيا رآها في صنمه ضمار، وأنه أسلم بعد يوم الأحزاب. (التهذيب ٥/١٣٠ والتقريب ١/٣٩٩ والإصابة رقم (٤٥١١) والأغاني ١٣/٦٢ والاستيعاب ٣/١٠١).

(٣) هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر، بن حَرَام، بن عمرو الأنصاري البخاري، أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو الحسام، ويقال: أبو الوليد، المدني شاعر رسول الله - ﷺ - وأمه الفُرَيْعة بنت خالد بن خُنَيْش. =

حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امريء القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسد، بن الغوث:

إمّا سألتَ فإنّا معشر نُجُب   الأسدُ نسبتنا والماء غسّان

وهذا البيت في أبيات له.

فقالت اليمن، وبعض عك، وهم الذين بخُراسان منهم: عك[1] بن عدنان، بن عبدالله، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: عُدثان، بن الديث، بن عبدالله، بن الأسد، بن الغَوث.

قال ابن إسحاق: فولَدَ مَعَدّ بن عدنان أربعة نفر[2]: نزار بن معد، وقُضاعة بن معد، وكان قُضاعة بِكْر معد الذي به يُكنَى - فيما يزعمون - وقنص ابن معد، وإياد بن معد.

فأما قُضاعة فتيامنت إلى حِمْيَر بن سبأ - وكان اسم سبأ: عبدشمس - وإنما سُمّي سبأ؛ لأنه أول من سَبَى في العرب - بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان.

قال ابن هشام: فقالت اليمن وقُضاعة: قُضاعة بن مالك بن حِمْيَر.

= قال ابن سعد: كان قديم الإسلام، ولم يشهد مع النبي - ﷺ - مشهداً كان يجبن وكانت له سن عالية، توفي في خلافة معاوية، سنة أربع وخمسين. وله مائة وعشرون سنة. وقيل غير ذلك. أنظر (التهذيب ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ والتقريب ١/١٦١).

(١) قال في الروض ١/١٨: «عك بن عدنان، وأن بعض أهل اليمن يقول فيه: عَكُّ بن عدنان، بن عبدالله، بن الأزد.

وذكر الدارقطني في هذا الموضع عن ابن الحُباب أنه قال فيه: عكّ بن عبدالله، بن عُدْثان - بالثاء المثلثة - ولا خلاف في الأول أنه بنونين، كما لم يختلف في دوس بن عدثان أنه بالثاء، وهي قبيلة من الأزد أيضاً، واسم عك: عامر، والديث: هو بالثاء، وقال الزبير: الذيب بالذال والياء...».

(٢) قال في الروض ١/٢٣: «أما نزار فمتَّفَقٌ على أنه ابن مُعَدّ، وسائر ولد مَعَدّ فمختَلف فيه...».

وقال عمرو بن مُـرّة الجُهني[1] - وجُهينـة بن زيـد، بن ليث، بن سَـوْد، بن أسلُم، بن الحاف، بن قُضاعة:

نحن بنـو الشيخ الهِجـان الأزهـر قُضـاعـة بن مـالـك بن حِمْيَـر
النَّسَب المعـروف غيـر المنكـر في الحجر المنقوش تحت المنبـر[2]

قُنُص بن معدّ ونسب النعمان بن المنذر: قال ابن إسحاق: وأما قُنُص بن معد فهلكت بقيتهم - فيما يزعم نُسّاب معدّ - وكان منهم النعـمان بن المنذر ملك الحـيرة.

قـال ابن إسحـاق: حـدّثني محمـد بن مسلم بن عبـدالله بن شهـاب الزُهري[2]: أنّ النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معد.

قال ابن هشام: ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبـة بن المغيرة بن الأخنس[3]، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه: أنّ عمر بن الخـطاب - رضي الله عنه -

(١) هـو عمرو بن مُـرَّة بن عبس بن مالـك بن المحرث بن مـازن بن سعد بن مـالك بن رفـاعة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جُهينة، نسبه ابن سعد وابن البرقي. وقال خليفـة بن خياط مثله، لكن سقط منه عبس وزاد فيه نصر وغطفان...
وقال ابن سعد: كان في عهد النبي - ﷺ - شيخاً كبيراً، وشهـد معه المشـاهد، يكنى أبـا طلحة وأبا مريم. وكان أول من ألحق قضاعة باليمن، وهو القائل:
نحن بنـو الشيخ الهجـان الأزهـر قضـاعـة بن مـالـك بن حميـر
في قصة جرت له مع معاوية، لما أمره أن ينسب في مصر ذكرها الزبير بن بكار.
مات في خلافة عبد الملك بن مروان. وقيل في خلافة معـاوية. أنـظر (الإصابـة للحافظ ابن حجر ٣/١٦).
والهجان: الكريم، والأزهر: المشهور.
(٢) مرّت ترجمته فيما سبق.
(٣) هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني.
قال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة، ورواية وعلم بالسيرة وغير ذلك.
قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي والدارقطني: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.
مات سنة ثمان وعشرين ومائة. (التهذيب ١١/٣٩٢ والتقريب ٢/٣٧٦).

حين أُتِيَ بسيف النعمان بن المنذر، دعا جبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف بن قُصَيّ ـ وكان جبير من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان أبوبكر الصِّدِّيق أنسب العرب ـ فسلّحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر؟ فقال: كان من أشلاء قنص بن معد[1].

قال ابن إسحاق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

لخم بن عديّ: **قال ابن هشام**: لخم: بن عديّ، بن الحارث، بن مُرّة، ابن أدد، بن زيد، بن هميسع، بن عمرو، بن عريب، بن يشجب، بن زيد، ابن كهلان، بن سبأ. ويقال: لخم: بن عديّ، بن عمرو، بن سبأ. ويقال: ربيعة، بن نصر، بن أبي حارثة، بن عمرو، بن عامر، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن.

---

(١) هذه الرواية فيها انقطاع لأنّ فيها رجلاً لم يُسَمّ: وهو الشيخ من الأنصار.
وفي الطبري زيادة: وهو ولد عُجم بن قنص. إلاّ أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخماً. فقالوا: هو من لخم. ونُسبوا اليه. (الروض ١/٢٦).

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن وقصة سدّ مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدّثني أبو زيد الأنصاري، أنه رأى جُرُذاً يحفر في سدّ مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرّفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسدّ على ذلك، فاعتزم على النُّقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به. فقال عمرو: لا أقيم ببلدٍ لَطَم وجهي فيه أصغرُ ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبة عمرو؛ فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده. وقالت الأزد: لا نتخلّف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان. فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالاً. ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرّقوا في البلدان، فنزل آلُ جفنة بن عمرو بن عامر: الشام، ونزلت الأوس والخزرج: يثرب، ونزلت خُزاعة: مَرّاً، ونزلت أزد: السّراة السراة، ونزلت أزد: عمان عمانَ. ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيل فهدمه، ففيه أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ على رسوله محمد ـ ﷺ ـ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ**

غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[1].

والعرم: السدّ، واحدته: عرمة، فيما حدّثني أبو عبيدة[2].

قال: الأعشى ـ أعشى بني قيس، بن ثعلبة، بن عُكابة، بن صعب، بن علي، ابن بكر، بن وائل، بن هِنب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معد.

قال ابن هشام: ويقال: أفصى بن دُعمِيّ، بن جديلة، واسم الأعشى: ميمون بن قيس، بن جندل، بن شراحيل، بن عوف، بن سعد، بن ضُبَيْعة، ابن قيس، بن ثعلبة:

وفي ذاك للمؤتسي أُسوة ومأرب عفّى عليها العرم
رخام بَنَتْهُ لهم حِمْيَر إذا جاء مَوَّارُهُ لم يرم[3]

---

(١) سورة سبأ، الآية رقم ١٥ ـ ١٦. وانظر تفسير الآية في تفسير البغوي ٣/٥٥٤، وابن كثير ٣/٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٢) مجاز القرآن لأبي عُبَيدة ٢/١٤٦ حيث قال: «سيل العَرِم: واحدها عرمة، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء في وسط الأرض، ويترك فيه سبيل للسفينة فتلك العرمات، واحدها عرمة، والمشار بلسان العجم.. ثم ذكر قول الأعشى، وفيه ومآرب قفي....: إذا جاش دفاعة لم يرم..

وفي العرم أقوال:

١ ـ قيل: هو المسنّاة أي: السد وهو قول قتادة

٢ ـ وقيل: هو اسم للوادي، وهو قول عطاء.

٣ ـ وقيل: هو الجرذ الذي خرب السد.

٤ ـ وقيل: هو صفة للسيل من العرامة. وهو معنى رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

٥ ـ وقال البخاري: العرم: ماء أحمر حفر في الأرض حتى ارتفعت عنه الجنتان، فلم يسقهما حتى يبست، وليس الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذاباً أرسل عليهم. أنظر (الروض الأنف للسهيلي ١/٢٢ وتفسير الإمام البغوي ٣/٥٥٤ وابن كثير ٣/٥٣٢ ـ ٥٣٣ والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٣٢).

(٣) قول الأعشى «إذا جاء موّارُهُ لم يرم»

من قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ فهو مفتوح الميم. وبعضهم يرويه مضموم الميم، والفتح أصح.

ومنه قولهم: دم مائر، أي: سائل. وفي الحديث (أمر الدم بما شئت) أي أرسله. =

فـأروى الـزروع وأعـنـابـهـا عـلى سعـة مـاؤهـم إذا قَسـم
فصـاروا أيـاديَ مـا يـقـدرو ن منه عـلى شرب طفـل فُطم[1]

وقال أُميَّة بن أبي الصلت[2] الثقفي ـ واسم ثقيف: قَسي بن منبِّه، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكْرِمة، بن خصَفة، بن قيس، بن عيلان، ابن مُضر، بن نزار، بن مَعَدّ، بن عدنان:

من سبـأ الحـاضريـن مـأرب إذ يـبنـون مـن دون سَيْـله العَـرِمـا[3]

وهـذا البيت في قصيدة لـه. وتروى للنـابغة الجعـدي، واسمه: قيس بن عبدالله، أحد بني جعدة، بن كعب، بن ربيعة، بن عامر، بن صَعْصَعَـة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن.

وهو حديث طويل، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار.

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيـا ربيعة: قـال ابن إسحاق: وكـان ربيعـة بن نصر ملك اليمن بـين أضعـاف ملوك التبابعـة، فرأى رؤيـا هالتـه، وفَظع بهـا، فلم يدع كـاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً[4]، ولامنجّماً من أهل مملكته إلاّجمعه إليه، فقال لهم: إنّي قـد

= ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم، جعله من مريت الضرع، والنفس إلى الرواية الأولى أميل من طريق المعنى، وكذلك رواه النقاش وفسّره. (الروض ١/٢٢).

(١) ديوانه ص ٣٤ والطبري ٤٧/٢٢ ومعجم البلدان ٣٨٧/٤، ولسان العرب (عمم) ومجاز القرآن ١٤٦/٢

(٢) اسم أبي الصلت: ربيعة بن وهْب بن علاج الثقفي، وأمه رقية بنت عبدشمس بن عبدمَناف. (الروض ١/٢٢).

(٣) اختلفوا في عزو هذا البيت، فبعضهم نسبه إلى النـابغة الجعـدي، وبعضهم الى أميّة بن أبي الصلت. أنـظر (ديـوان أميـة رقم (٥١) وملحق ديـوان الأعشى ص ٢٥٨ والكتـاب ٢٦/٢ والشعـراء ص ١٦٢ والكامـل للمبرد ص ٦١١ وجمهـرة اللغة ٢٠٥/٣ ـ ٣٨٨ واللسـان مادة (عرم) والقرطبي ٢٨٣/١٤ ومجاز القرآن ١٤٧/٢).

(٤) من يزجر الطير.

رأيت رؤيا هالتني[1]، وفظعت بها؛ فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها. قال: إنّي إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلاّ من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشقٍّ، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه.

واسم سطيح: ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدي، بن مازن بن غسان.

وشِقّ: بن صعب، بن يشكر، بن رُهْم، بن أفرَك، بن قَسر، بن عَبْقَر، ابن أنمار، بن نزار. وأنمار أبو بَجيلة وخثعم.

نسب بجيلة: قال ابن هشام: وقالت اليمن: وبجيلة: بنو أنمار، بن إراش، بن لحيان، بن عمرو، بن الغوث، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، ابن سبأ. ويقال: إراش بن عمرو، بن لحيان، بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم يمانية.

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقدِم عليه سطيح قبل شقّ، فقال له: إنّي رأيت رؤيا هالتني، وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفْعَلُ، رأيت حُمَمَة[2]، خرجت من ظُلمة[3]، فوقعت بأرض تَهَمَة[4]، فأكلت منها كل[5] ذات جمجمة»[6].

---

(١) انظر شرح هذه الرؤيا والكلام عليها في (الروض الأنف ١/٢٧).

(٢) الفحمة وأراد حينما تكون جمرة محرقة.

(٣) أي من ظُلْمة، وذلك أن الحممة قطعة من نار، وخروجها من ظلمة يشبه خروج عسكر الحبشة من السودان.

(٤) أي في أرض منخفضة، ومنه سُمّيت تِهامة.

(٥) نصب (كل) أصح في الرواية وفي المعنى، لأنّ الحممة نار، فهي تأكل، ولا تؤكل، على أنّ في رواية الشيخ برفع كل، ولها وجه، لكن في حاشية كتابه: أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام: كلَّ ذات... بنصب اللام (الروض الأنف ١/٢٨).

(٦) لم يقل كل ذي جمجمة، وهو من باب قوله سبحانه: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان =

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يـا سطيـح؛ فما عنـدك في تأويلهـا؟ فقال: أحلف بما بـين الحَرّتـين من حنش، لتهبطن أرضكم الحبش[1]، فليملكن ما بين أبين[2] إلى جُرَش. فقال له الملك: وأبيك يا سـطيح، إن هـذا لنا لغـائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زمـاني هذا. أم بعـده؟ قال: لا، بـل بعده بحـين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين. قال: أفيـدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟ قال: لا، بل ينقطع لبضـع وسبعين من السنـين، ثم يقتلون ويخرجـون منها هاربـين. قال: ومن يـلي ذلك من قتلهم وإخـراجهم؟ قال: يليـه إرم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قـال: ومن يقطعـه؟ قال: نبيّ زكيّ، يـأتيه الوحي من قِبل العليّ. قال: ومن هذا النبيّ؟

قال: رجل من ولد غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قـال: وهـل للدهـر من آخـر؟ قـال: نعم، يـوم يُجمـع فيـه الأولـون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحقّ ما تخـبرني؟ قال: نعم. والشفق والغسق، والفلق إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك به لحق.

ثم قدِم عليه شقّ، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيـح، لينظر

= نـدع مثقلة إلى حملهـا لا يحمـل منـه شيء﴾ لأن القصـد إلى النفس والنسمـة، فهـو أعم، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح، ولو جاء بالتذكير، لكان إما خاصاً بالانسان أو عاماً في كل شيء حي أو جماد. (الروض ١/٢٨).

(١) هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح، وبه سميت الحبشة.

(٢) هو أَبْيَن بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حِمْيَر، أو من ابن حِمْيَـر، سُمِّيَت به البلدة. وقـد قال الطبري: إن أبين وعدن ابنا عدنان ـ سمِّيَت بهما البلدتان.

أيتفقان أم يختلفان. فقال: نعم، رأيت حُمه، خرجت من ظُلمة، فوقعت بين روضة وأكمة[1]، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أنهما قد اتفقا، وأنّ قولهما واحد.

إلّا أنّ سطيحاً قال: «وقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كل ذات جمجمة».

وقال شقّ: «وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة».

فقال له الملك: ماأخطأت يا شقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحَرَّتين من إنسان، لينزلنَّ أرضكم السودان، فليغلبنّ على كل طَفْلَة البنان، وليملكنّ ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شقّ، إنّ هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني، أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان، ويذيقهم أشدّ الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشان؟ قال: غلام، ليس بِدَنِيّ، ولا مدَنّ[2]، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

---

(١) لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها.

(٢) المدن: الذي جمع الضعف مع الدناءة. قاله صاحب العين.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إي وربِّ السماء والأرض، وما بينهما من رفع وخفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض.

قال ابن هشام: أمض. يعني شكّاً: هذا بلغة حِمْيَر. وقال أبو عمرو: أمْض أي: باطل. فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا، فجهّز بنيه، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له: سابور ابن خُرَّزاذ[1] فأسكنهم الحيرة.

نسب النعمان بن المنذر: فمن بقية ولد ربيعة بن نصر: النعمان بن المنذر، فهو في نسب اليمن وعلمهم: النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدِيّ بن ربيعة بن نصر، ذلك الملك.

قال ابن هشام: النعمان بن المنذر، بن المنذر، فيما أخبرني خَلَف الأحمر.

استيلاء أبي كرِب تُبَّان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كله إلى حسّان بن تبّان[2] أسعد أبي كرب - وتبان أسعد هو: تبع الآخر - ابن كَلْكِي كَرِب بن زيد - وزيد هو تبع الأول - بن عمرو ذي الأذعار[3] ابن أبرهة ذي

---

(١) قال في (الروض الأنف ١/٣٠): «ولا يعرف خُرَّزاد في ملوك بني ساسان من الفرس، وهم من عهد أزدشير بن بابك إلى يزدجِرْد الذي قتل في أول خلافة عثمان - رضي الله عنه - معروفون مسمّون بأسمائهم، وبمقادير مددهم. مشهور ذلك عند الإخباريين والمؤرّخين، ولكنه يحتمل أن يكون ابن خرزاذ هذا ملكاً دون الملك الأعظم منهم، أو يكون أحد ملوك الطوائف، وهو الظاهر في مدة ربيعة بن نصر، لأنه جد عمرو بن عديّ وابن أخت جذيمة الأبرش، وكان ملك جذيمة أوله فيما أحسب في مدة ملوك الطوائف، وآخره في مدة الساسانيين..» أهـ.

(٢) تبان: من التبانة. وهي الذكاء والفطنة، يقال: رجل تبن وطبن.

(٣) سمي بذا الأذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره.

المنار[1] ابن الرَّيش - قال ابن هشام: ويقال: الرائش[2] - قال ابن إسحاق: بن عديّ، بن صيفي، بن سبأ الأصغر، بن كعب، كهف الظلْم، ابن زيد، بن سهل، بن عمرو، بن قيس، بن معاوية، بن جُشَم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغوث، بن قطن، بن عريب، بن زهير، بن أيمن، بن الهميسع، ابن العَرَنْجَج[3] - والعرنجج: حِمْيَر بن سبأ الأكبر - بن يعرب، بن يَشْجُبْ، بن قحطان.

قال ابن هشام: يشجب: بن يعرب بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتبان أسعد أبو كرب الذي قدِم المدينة، وساق الحبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمَّر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

قال ابن هشام: وهو الذي يقال له:

ليت حظّي من أبي كرب   أن يسد خيرُه خبلَه

تبان يغضب على أهل المدينة: قال ابن إسحاق: وكان قد، جعل طريقه - حين أقبل من المشرق - على المدينة، وكان قد مرّ بها في بدأته، فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقُتل غيلة؛ فقدِمها، وهو مجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها[4]، فجمع له هذا الحيّ من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بني النّجّار، ثم أحد بني عمرو بن

---

(١) سمّي بذلك لأنه رفع نيرانا في جبال ليهتدي بها. (الروض ١/٣٤).

(٢) سمّي الرائشي لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء. وقسّم فيهم من الغنائم. وكان أول مَنْ غنم. فيما ذكروا. (الروض ١/٣٤).

(٣) معناه بالحِميرية: العتيق. قاله ابن هشام. أنظر (الروض الأنف ١/٣٥).

(٤) ذكر ابن قتيبة أنّ تُبَّع لم يقصد غزو المدينة، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها، وذلك أنّ الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم، فلم يفِ لهم بذلك يهود واستضاموهم، فاستغاثوا بتُبَّع، فعند ذلك قدِمها.

وقد قيل: بل كان هذا الخبر لأبي جُبيلة الغساني، وهو الذي استصرخته الأوس والخزرج على يهود. فالله أعلم.

مبذول، واسم مبذول: عامر بن مالك، بن النجّار، واسم النّجّار: تَيْم الله ابن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

عمرو بن طلّة ونسبه: قال ابن هشام: عمرو بن طَلَّة: عمرو بن معاوية، بن عمرو، بن عامر، بن مالك، بن النّجّار ـ وطلّة: أمه: وهي بنت عامر بن زُريق، بن عامر، بن زُريق، بن عبد حارثة، بن مالك، بن غَضْب، ابن جُشَم، بن الخزرج.

قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة: قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عديّ بن النّجّار يقال له: أحمر، عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذْق له يَجُده فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبره، فزاد ذلك تُبَّعاً حنقاً عليهم، قال: فاقتتلوا، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونَه بالليل، فيعجبه ذُلك منهم، ويقول: والله إنّ قومنا لكرام!!

فبينا تُبَّع على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود، من بني قُريظة ـ وقُريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو ـ وهو هَدَل ـ بنو الخزرج، بن الصريح، بن التومان، بن السِّبط، بن اليسع، بن سعد، بن لاويّ، بن خير، ابن النَّجَّار، بن تَنْحوم، بن عازر، بن عِزْرَى، بن هارون، بن عمران، بن يصهر، بن قاهث، بن لاويٍّ، بن يعقوب ـ وهو إسرائيل ـ بن إسحاق، بن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلّى الله عليهم ـ عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لاتفعل، فإنك إن أبيت إلاّ ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ فقالا: هي مُهاجر نبيّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقزاره، فتناهى عن ذلك، ورأى أنّ لهما علماً، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، وأتبعهما على دينهما، فقال

خالد بن عبد العُزَّى، بن غَزِيَّة، بن عمرو، بن عوف، بن غنم، بن مالك، ابن النجار يفخر بعمرو بن طلة:

أصحا أم قد نهى ذُكَرَه ... أم قضى من لذّة وطره
أم تذكرتَ الشباب، وما ... ذِكرك الشباب أو عُصُره
إنها حرب رِبَاعيَّةٌ ... مثلها آتي الفتى عِبَرَه[1]
فاسألا عمران، أو أسدا ... إذ أتت عَدْواً مع الزَّهَرَه[2]
فيلق فيها أبو كَرِبٍ ... سُبَّغ أبدانها ذَفِرَه[3]
ثم قالوا: من نؤمّ بها ... أبني عوف، أم النَّجَرَه؟[4]
بل بني النّجّار إنّ لنا ... فيهم قتلى، وإنَّ تِرَه[5]
فتلقّتهم مُسايفة ... مَدُّها كالغيبة النَّثرة[6]
فيهم عمرو بن طلّة ... ملّى الإله قومه عُمرَه[7]
سيد سام الملوك ومن ... رام عمراً لا يكن قَدَرَه

وهذا الحَيّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تُبَّع على هذا الحيٍّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف

---

(١) حرب رباعية. مَثَل. أي ليست بصغيرة ولا جذعة، بل هي فوق ذلك، وضُرب سن الرباعية مثلًا، كما يقال: حرب عوان؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب. (الروض ١/٣٧).

(٢) يريد صبحهم بغلس ـ وهي ظلمة آخر الليل ـ قبل مغيب الزهرة.

(٣) سبغ: كاملة. والأبدان هنا: الدروع. وذَفِرة: من الذَّفر، وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة، وأما الدَّفر: فإنه فيما كره من الروائح، ومنه قيل للدنيا: أم دَفْر. (الروض ١/٣٧ ـ ٣٨).

(٤) النجرة: جمع ناجر، والناجر والنجار: بمعنى واحد، وهذا كما قيل المناذرة في بني المنذر والنجار، وهم: تيم الله، بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، وسمي النجار لأنه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب. (الروض ١/٣٨).

(٥) فيهم قتلى وإنَّ تره: أظهر إن بعد الواو. أراد: إن لها قتلى وترة، والترة: الوتر. (الروض ١/٣٨).

(٦) مسايفة: أي كتيبة مسايفة. والغيبة: الدفعة من المطر. والنثرة: المنتشرة، وهي التي لا تمسك الماء.

(٧) ملّى: من قولهم: تمليته حيناً. أي عشت معه حيناً، وهو مأخوذ من الملاوة والملوين.

عنهم، ولذلك قال في شعره:

حنقاً على سبطين حلاً يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد

قال ابن هشام: الشعر الذي في هذا البيت مصنوع، فذلك الذي منعنا من إثباته[1].

تُبَّع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة: **قال ابن إسحاق**: وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجّه إلى مكة - وهي طريقه الى اليمن - حتى إذا كان بين عُسفان وأَمَج، أتاه نفر من هُذَيل، بن مدركة، بن الياس، بن مُضَر، ابن نزار، بن معد؛ فقالوا له: أيها الملك ألا ندلّك على بيت مال داثر، أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضّة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلّون عنده. وإنما أراد الهُذَليون هلاكه بذلك؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحَبْرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكنّ، ولْيهلكَنَّ من معك جميعاً، قال: فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدِمْت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظّمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده وتذلّ له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكنّ أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده، وهم

---

(١) قال في (الروض الأنف ١/٣٩): «والشعر الذي زعم ابن هشام أنّه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان، وهو قصيد مطول أوله:

مابال عينك لا تنام كأنما كُحِلت مآقيها بسمّ الأسود

وذكر في القصيدة ذا القرنين، وهو الصعب بن ذي مراثد، فقال فيه:

ولقد أذلّ الصعب صعب زمانه وأناط عروة عزه بالفرقد

لم يدفع المقدور عنه قوّة عند المنون، ولا سموّ المحتد

والصنعة بادية في هذا البيت. وفي أكثر شعره».

نجس أهل شِرْك ـ أو كما قالا له ـ فعرف نُصحهما وصِدق حديثهما فقرب النفر من هُذَيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدِم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام ـ فيما يذكرون ـ ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأُري في المنام أن يكسوَ البيت، فكساه الخصف[1]، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر، ثم أُرِيَ أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل[2]، فكان تُبَّع ـ فيما يزعمون ـ أول من كسا البيت[3]، وأوصى به وُلاته من جُرهم، وأمرهم بتطهيره، وألّا يقربوه دماً، ولا ميتة، ولا مئلاتاً ـ وهي المحايض[4] ـ وجعل له باباً ومفتاحاً.

وقالت سُبَيعة بنت الأحبّ، بن زبينة، بن جَذِيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكْرِمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مَناف بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرَّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النضْر، بن كِنانة، لابنٍ لها منه يقال له؛ خالد؛ تعظّم عليه حُرمة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكر تُبَّعاً وتذلّله لها، وما صنع بها:

أبُنَيَّ: لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرْ
واحفظ محارمها بنيَّ ولا يغرنك الغرور

(١) الخصف: جمع خصفة وهي شيء ينسج من الخوص والليف، والخصف أيضاً: ثياب غلاظ.

(٢) الوصائل: ثياب موصّلة من ثياب اليمن.
ويروى أن تُبّعا لما كسا البيت المسوحَ والأنطاعَ انتقض البيت فزال ذلك عنه، وفعل ذلك حين كساه الخصف، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن ذكر هذا الخبر: قاسم في الدلائل. (الروض الأنف ١/٤٠).

(٣) قال ابن إسحاق: أول من كسا الكعبة الديباج: الحَجَّاج، وذكر جماعة سواه منهم الدارقطني: أنها نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبدالمطّلب، كانت قد أضلّت العباس صغيراً. فنذرت: إن وجدته أن تكسوَ الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته. وقال الزبير النّسّابة: بل أول من كساها الديباج عبدالله بن الزبر. (الروض ١/٤٢).

(٤) لم يرد النساء الحيض؛ لأنّ حائضاً لا يجمع على محائض. وإنّما هي جمع محيضة، وهي خرقة المحيض، ويقال للخرقة أيضاً: مئلاة، وجمعها: المآلي. (الروض ١/٤٠).

أُبَــنيَّ: مَـن يـظلم بمـكـة يـلق أطـراف الشرور
أُبــني: يضرب وجـهـه ويَـلُحْ بـخـدّيـه الـسـعـير
أُبــني: قـد جـرّبـتـهـا فـوجـدت ظـالمهـا يبـور[1]
الله أمَّـنـهـا، ومـا بـنيـت بعَـرْصَتها قـصـور
والله آمـن طـيْرهـا والـعُصـم تـأمـن في ثـبـير[2]
ولـقـد غـزاهـا تُـبَّـع فكسـابَنِيَّتها الـحبيـر[3]
وأذلّ ربّـي مُـلكـه فيـهـا فـأوفى بـالـنـذور
يمشي إلـيـهـا حـافِـيـاً بـفـنـائـهـا ألـفـا بـعـير
ويـظلّ يُـطعـم أهـلَهـا لحم المهـاري والـجَـزُور[4]
يسقيـهم الـعسل المصفَّى والـرحيض من الـشـعـير[5]
والـفيـل أُهـلك جيـشُـه يُـرْمَـون فيها بـالصخـور
والمـلْك في أقصى الـبـلا د وفي الأعـاجم والخـزيـر[6]
فـاسمـع إذا حُـدِّثْت، واف ـهـم كيف عـاقبـة الأمـور

قال ابن هشام: يوقف على قوافيها لاتُعْرَب.

أصـول اليهوديـة باليمن: ثم خـرج منها متـوجّهاً إلى اليمن بمن معـه من جنوده وبالحَبْرين، حتى إذا دخل اليمن دعـا قومـه إلى الدخـول فيما دخـل فيه، فأبَوْا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

قـال ابن إسحاق: حـدّثني أبو مـالك بن ثعلبـة بن أبي مالـك القُـرَظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيـد الله يحدّث: أن تُبّعـاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْير بينه وبين ذلـك، وقالـوا: لاتدخلهـا علينا، وقـد

(١) يبور: يهلك.
(٢) العصم: الوعول تعتصم في الجبال. وثبير: جبل بمكة.
(٣) بَنِيَّتها: الكعبة. والحبير: نوع موشى من ثياب اليمن.
(٤) المهاري: الإبل النجيبة.
(٥) الرحيض: المنقى والمصفى.
(٦) الخزير: يريد الخزر، وهم أمّة من العجم.

فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: فحاكِمنا إلى النار قال: نعم. قال: وكانت باليمن ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به في دينهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرهم[1] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشِيتهم، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر، وخرج الحَبْران بمصافحهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما، فأصفقت عند ذلك حِمْيَر على دينه، فمن هنالك، وعن ذلك، كان أصل اليهودية باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني محدّث أنّ الحَبْرين، ومن خرج من حِمْير، إنّما اتّبعوا النار ليردّوها، وقالوا: من ردّها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حِمْير، بأوثانهم ليردّوها، فدنت منهم لتأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الحَبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة. وتنكص عنهما، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفقت[2] عند ذلك حِمْيَر على دينهما. والله أعلم أيّ ذلك كان.

هدم البيت المسمَّى رئام[3] : **قال ابن إسحاق**: وكان رئام بيتاً لهم يعظّمونه، وينحرون عنده، ويُكلَّمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحَبْران لتُبَّع: إنّما هو شيطان يفتنهم بذلك فخلّ بيننا وبينه، قال: فشأنكما به، فاستخرجا منه ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ كلباً أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم ـ كما ذُكر لي ـ بها آثار الدماء التي كانت تُهراق عليه.

---

(١) ذمرهم: شجعهم وحضهم ليجدوا.

(٢) أصفقت: اجتمعت.

(٣) رئام: فعال من رئمت الأنثى ولدها ترأمه رئماً ورئاماً: إذا عطفت عليه ورحمته؛ فاشتقوا لهذا البيت اسماً لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته. (الروض ١/٤٢).

مُلك حسّان بن تُبّان وقتْله على يد أخيه عمرو

فلما مَلَك ابنه حسّان بن تُبّان أسعد أبي كرِب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب، وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق - قال ابن هشام: بالبحرين، فيما ذكر لي بعض أهل العلم - كرهت حِمْير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم، فكلّموا أخاً له يقال له: عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسّان، ونملّكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلاّ ذا رُعَين الحِمْيَري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَيْن[1]:

ألا من يشتري سَهَراً بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين[2]
فإما حِمْيَر غدرت، وخانت ... فمعذرة الإله لذي رُعَين

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسّان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حِمْير:

لاهِ عينا الذي رأى مثل حسّان قتيلاً في سالف الأحقاب
قتلْته مقاول خشية الحبس غداة قالوا: لبَابِ لبَاب[3]
ميْتُكم خيرنا وحيّكم ربٌّ علينا، وكلّكم أربابي

قال ابن إسحاق: وقوله: لبَاب لبَاب: لا بأس لا بأس، بلغة حِمْير.

---

(١) ذو رعين: تصغير رعْن، والرعن: أنف الجبل، ورعين: جبل باليمن قال صاحب (العين) وإليه ينسب ذو رعين. (الروض ١/٤٣).

(٢) معناه: أمَنْ يشتري، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدّم همزة ألاّ. وفي البيت حذف تقديره: بل من يبيت قرير عين هو السعيد، فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه. (الروض ١/٤٣).

(٣) المقاول: يريد الأقيال، وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيْل، وأصله قيل مثل سيد، ثم خفف، واستعمل بالياء في إفراده وجمعه، وإن كان أصله الواو، لأن معناه: الذي يقول ويُسمع قوله... (الروض ١/٤٣ - ٤٤).

قال ابن هشام: ويُروى لِباب لِباب.

هلاك عمرو وتفرُّق حِمْير: قال ابن إسحاق: فلما نزل عمرو بن تُبّان اليمن مُنع منه النوم، وسُلّط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة[1] من الكُهّان والعرّافين عما به فقال له قائل منهم: إنه ما قتل رجل قطّ أخاه، أو ذا رحِمه بغْياً على مثل ما قتلت أخاك عليه، إلاّ ذهب نومه، وسُلّط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسّان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رُعَين، فقال له ذو رُعَين: إنّ لي عندك براءة، فقال: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعت إليك، فأخرجه فإذا البيتان، فتركه، ورأى أنه قد نصحه. وهلك عمرو، فمرج [2] أمر حِمْيَر عند ذلك وتفرقوا.

خبر لخنيعة وذي نوّاس[3]

فوثب عليهم رجل من حِمْيَر لم يكن من بيوت المملكة، يقال له: لَخَنْيعة[4] ينوف ذو شَناتر[5]، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حِمْيَر للخنيعة:

تُقتِّلُ أبناها وتنفي سَراتها ... وتبني بأيديها لها الذلّ حِمْير
تدمّر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيّعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... وإسرافها تأتي الشرورَ فتخسر

---

(١) الحُزاة: المنجّمون.
(٢) مرج: اختلط.
(٣) ذو نواس: اسمه زرعة، وهو من قولهم للغلام: زرعك الله، أي أنبتك، وسُمُّوا بزارع كما سُمُّوا بنابت، وسمي ذا نواس بغديرتين كانتا له تنوسان، أي ضفيرتان من شعر، والنوس: الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً. (الروض الأنف ١/٤٤ ـ ٤٥).
(٤) قال ابن دريد: لخنيعة، هو من اللخع، وهو استرخاء في الجسم.
(٥) الشناتر: الأصابع بلغة حمير. واحدها شنترة.

فسوق لخنيعة: وكان لخنيعة امرءاً فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْرَبة له قد صنعها لذلك. لئلا يُملَك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جُنده، قد أخذ مسواكاً، فجعله في فيه، أي: فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرعة ذي نواس بن تُبّان أسعد أخي حسّان، وكان صبيّاً صغيراً حين قتل حسّان، ثم شبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخذ سكّيناً حديداً لطيفاً، فخبّأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نواس، فوجأه حتى قتله، ثم حزّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نواس أَرَطْب أم يَباس؟ فقال: «سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس» .

قال ابن هشام: هذا كلام حِمْير. ونحماس: الرأس. فنظروا إلى الكُوَّة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه؛ فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذي نواس: فملّكوه، واجتمعت عليه حِمْير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حِمْير وهو صاحب الأخدود، وتَسَمَّى: يوسف، فأقام في ملكه زماناً.

سبب وجود النصرانية بنجران: وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبدالله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أنّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فيميون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به[1].

(١) أنظر السيرة لابن كثير ١/٢٦.

حديث فيميون: قال ابن إسحاق: حدّثني المغيرة بن أبي لَبِيد مولى الأخنس، عن وهْب بن منبّه اليماني[1] أنه حدّثهم: أنّ موقع ذلك الدين بنجران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له: فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين القرى، لا يُعرف بقرية إلاّ خرج منها إلى قرية لا يُعْرَفُ بها، وكان لا يأكل إلاّ من كَسْب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظّم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلّي بها حتى يُمسي.

قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له: صالح، فأحبّه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدري؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه، لا يحبّ أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلّي، فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه التنّين - الحيّة ذات الرءوس السبعة[2] - فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يَدْرِ ما أصابها، فخافها عليه، فعِيلَ عَوْلُه[3]؛ فصرخ: يا فيميون! التنّين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى، فانصرف، وعرف أنه قد عُرِف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه. فقال له: يا فيميون! تعلم والله أني ما أحببتُ شيئاً قطُّ حُبَّكَ وقد أردتُ صُحْبَتَكَ، والكَيْنونة معك حيث كُنْتَ، فقال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلَزِمه صالح، وقد كاد أهل القرية

(١) هو وهْب بن منبّه، أبو عبدالله اليماني، صاحب القصص، من أحبار علماء التابعين، وُلد في آخر خلافة عثمان، حديثه عن أخيه همام في الصحيحين، وكان ثقة صادقاً كثير النقل في كتب الاسرائيليات. (الميزان ٣٥٢/٤ - ٣٥٣ والتقريب ٣٣٩/٢ والتهذيب ١٦٦/١١ - ١٦٨).

(٢) أي القرون السبعة.

(٣) أي: غلب عليه صبره.

يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضرّ دعا له فشفي، وإذا دُعِي إلى أحد به ضرّ لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبيّ[1]، ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له؛ فدعا له فيميون؛ فقام الصبيّ ليس به بأس.

وعَرف فيميون أنه قد عُرف، فخرج من القرية، واتّبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مرّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون! قال: نعم. قال: ما زلت أنظرك، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم عليّ فإنّي ميّت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كلَّ ثوبٍ حَسَنٍ وجدوه، وحليّ النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فيميونَ رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل ـ يتهجّد في بيتٍ له أسكنه إياه سيّده ـ يصلّي، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيّده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إنّ هذه النخلة لا تَضرُّ ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك،

---

(١) انتشط الثوب: رفعه بسرعة.

وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهّر وصلّى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فجَعَفَتْها[1] من أصلها فألقتها؛ فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهْب بن مُنبِّه عن أهل نجران.

خبر عبد الله بن الثامر[2]

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم؛ قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن زياد[3]، عن محمد بن كعب القُرظي[4]، وحدثني - أيضاً - بعضُ أهل نجران عن أهلها[5]: أنّ أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية

---

(١) جعفتها: أسقطتها وقلعتها.

(٢) انظر السيرة لابن كثير ١/٢٧.

(٣) ويقال: ابن أبي زياد. ويقال: يزيد بن زياد بن أبي زياد، المدني مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال: اسم أبي زياد ميسرة. ويقال: إنهما اثنان.
قال الترمذي: مدني روى عنه مالك وغير واحد.
وقال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال البخاري: لا يتابع على حديثه. (التهذيب ١١/٣٢٨ والتقريب ٢/٣٦٥ والميزان ٤/٤٢٣).

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم. ولد سنة أربعين على الصحيح. ومات سنة مائة وعشرين. وقيل قبل ذلك. (التقريب ٢/٢٠٣).

(٥) حديث عبدالله بن الثامر، إنما رواه ابن إسحاق موقوفاً على محمد بن كعب القرظي، وعن بعض أهل نجران ليصل به حديث فيمئون، وهو حديث ثابت عن رسول الله - ﷺ - من طريق ابن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله - ﷺ - ومخرّج في الصحيح. رواه مسلم في كتاب الزهد، باب (١٧) قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (٣٠٠٥) ٤/٢٢٩٩ - ٢٣٠١. والترمذي في كتاب التفسير، سورة البروج، حديث رقم (٣٣٣٩) ٥/٤٣٧ - ٤٣٩ فهو أولى أن يعتمد عليه، وهو يخالف حديث ابن إسحاق في ألفاظ كثيرة. (أنظر الروض ١/٥٢).

من قُراها قريباً من نجران ـ ونجران: القرية العظمى التي إليها جمَاع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميون ـ ولم يسموه لِيَ باسمه الذي سمّاه به وهْب بن منبّه ـ قالوا: رجل نزلها ـ ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر. يعلّمهم السحر، فبعث إليه الثامر ابنه عبدالله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مَرَّ بصاحب الخيمة أعجبه، ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقِه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلّمه ـ فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخي! إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه. والثامر أبو عبدالله لا يظنّ إلّا أنّ ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبدالله أنّ صاحبه قد ضَنَّ به عنه، وتخوّف ضعفه فيه، عمد إلى قِداح[1] فجمعها، ثم لم يبقِ لله اسماً يعلمه إلّا كتبه في قِدْح، لكل اسم قِدْح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مَرَّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال: وما هو؟ قال: وهو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي! قد أصبته فأمسِكْ على نفسك، وما أظنّ أن تفعل.

عبدالله بن الثامر يدعو إلى التوحيد: فجعل عبدالله بن الثامر إذا دخل نجران لم يَلْقَ أحداً به ضرٌّ إلّا قال: يا عبدالله، أتوحّد الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحّد الله ويُسلم، ويدعو له فيُشفَى، حتى لم يَبْقَ بنجران أحد به ضُرٌّ إلّا أتاه فاتّبعه على أمره، ودعا له فعوفي، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليّ

---

(١) القِداح: السهام.

أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأُمَثِّلَنَّ بك. قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران - بحور لا يقع فيها شيء إلاّ هلَكَ - فيلقى فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه؛ قال له عبدالله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتُ به، فإنك إن فعلتَ ذلك، سُلِّطْتَ عليّ فقتلتني، قال: فوحّد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبدالله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجّه شجّة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظي، وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيّ ذلك كان.

ذو نوّاس يدعو أهل نجران إلى اليهودية: فسار إليهم ذو نواس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين ذلك والقتل؛ فاختاروا القتل، فَخَدَّ لهم الأخدود. فحرّق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف، ومثّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد - ﷺ -: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ. ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1].

تفسير الأخدود: قال ابن هشام: الأخدود: الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجَمْعُهُ: أخاديد. قال ذو الرمّة - واسمه: غيلان بن عُقبة، أحد بني عديّ، بن عبدمَناف، بن أدّ، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر -:

(١) سورة البروج، الآيات رقم ٤ - ٨.

مِن العــراقيــة الــلاتي يُحيــل لهــا　　بــين الفَلاةِ وبــين النخـل أخــدود

يعني: جدولاً. وهذا البيت في قصيدة له. قال: ويقال لأثر السيف والسِّكّين في الجلد، وأثر السوط ونحوه: أخدود، وجمعه أخاديد.

نهاية عبدالله بن الثامر: **قال ابن إسحاق**: ويقال: كان فيمن قتل ذو نواس، عبدالله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم[1] أنه حُدّث: أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حفر خَرِبة من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدالله بن الثامر تحت دَفنٍ منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، ممسكاً عليها بيده، فإن أُخِّرت يده عنها تنبعث دماً، وإذا أرسلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه: «ربّي الله». فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره، فكتب إليهم عمر - رضي الله عنه -: أن أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.

---

(١) عو عبدالله بن أبي بكر الأنصاري، أبو محمد، ويقال: أبو بكر، المدني.
قال مالك: كان كثير الأحاديث، وكان رجل صدق.
وقال أحمد: حديثه شفاء.
وقال أبو حاتم وابن معين: ثقة. وقال النسائي: ثقة ثبت. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عالماً.
وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن عبد البر: كان من أهل العلم، ثقة، فقيهاً محدّثاً، مأموناً، حافظاً، وهو حجة فيما نقل وحمل.
توفي سنة خمس وثلاثين ومائة، ويقال: سنة ثلاثين. وهو ابن سبعين سنة، وليس له عقب. (أنظر التهذيب ٥/١٦٤ - ١٦٥ والتقريب ١/٤٠٥).
وهذه الرواية فيها رجل مبهم لم يسمَّ. ويغني عنها قوله تعالى: **﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياء﴾** وما وجد في صدر هذه الأمة من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيّروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبدالمطّلب... أنظر في هذا: (الروض الأنف للسهيلي ١/٥٢).

فرار دوس ذي ثعلبان من ذوي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق: وأفلت منهم رجل من سبأ، يقال له: دَوْس ذو ثُعْلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بَعُدَتْ بلادُك منّا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذه الدِّين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بِنَصرِه والطلب بثأره.

النجاشيّ ينصر دَوْساً: فقدِم دَوْس على النَّجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمَّر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط ـ ومعه في جُنده أبرهة الأشرم ـ فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوْس ذو ثعلبان.

نهاية ذي نواس: وسار إليه ذو نواس في حِمْير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وَجَّهَ فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضاح[1] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه[2]، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن، فملكها[3].

---

(١) الضحضاح من الماء: الذي يظهر قعره.

(٢) الغمر: الماء الكثير.

(٣) انظر السيرة لابن كثير ١/٢٧ ـ ٢٨

قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٥٤): «وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن، حين رأى أن لا قِبَلَ له بهم، بعد أن استنفر جميع المقاول، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم، فأبوا إلّا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه. ولا يقتلوا أحداً، فكتبوا إلى النجاشي بذلك، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه: أن اقتلوا كل ثور أسود، فقتل أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجّه جيشاً إلى أبرهة، وعليهم أرياط، وأمرهُ أن يقتل ذا نواس ويخرب ثلث بلاده، ويقتل ثلث الرجال، ويسبي ثلث النساء والذرية، ففعل ذلك أبرهة...».

فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة:

لا كدَوْس ولا كأعلاق رَحْلِه[1]

فهي مَثَل باليمن إلى هذا اليوم.

قول ذي جَدَن الحِمْيَري في هذه القصة: وقال ذو جَدَنِ الحِمْيَري:

هونك[2] ليس يرد الدمع مافاتا لا تهلكي أسفاً في إثر من ماتا
أبعد بَيْنون لا عين ولا أثر وبعد سَلْحِين يبني الناس أبياتاً؟!

بينون وسلحين وغمدان: من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس مثلها.

وقال ذو جدن أيضاً:

دعيني ـ لا أبالك ـ لن تطيقي[3] لَحاكِ الله! قد أنزفْتِ ريقي[4]
لدى عزف القِيان إذ انتشينا وإذ نُسقي من الخمر الرحيق[5]
وشرب الخمر ليس عليّ عاراً إذا لم يَشكُني فيها رفيقي
فإنّ الموت لا ينهاه ناه ولو شرب الشفاء مع النَّشُوق[6]
ولا مترهّب في أسطوان يناطح جُدره بَيْض الأنوق[7]

---

(١) الأعلاق: النفائس.
(٢) هونك: أي: ترفّقي.
(٣) أي: لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني.
(٤) أي: أكثرت عليّ من العذل حتى أيبست ريقي في فمي، وقلة الرقيق من الْحَصَر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجاش.
(٥) الرحيق: الخالص.
(٦) أي لو شرب كل دواء يستشفى به. وتنشّق كلَّ نشوق يُجعل في الأنف للتداوي به، ما نهى ذلك الموت عنه.
(٧) مترهب: يجوز أن يكون رفعه عطفاً على ناه. أي: لا يردّ الموت ناه ولا مترهب. أي: ولا دعاء مترهب يدعو لك. =

وغمدان الذي حُدِّثت عنه ... بَنَوْه مُسَمَّكاً في رأس نيق[1]
بِمَنْهَمَة، وأسفله جُرُون ... وحُر المَوْحَلِ اللَّثق الزليق[2]
مصابيح السليط تلوح فيه ... إذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التي غُرست إليه ... يكاد البُسْر يَهصر بالعذوق[3]
فأصبح بعد جدّته رَماداً ... وغيّر حُسْنَه لهبُ الحريق
وأسلم ذو نواس مستكيناً ... وحذّر قومَهَ ضنك المضيق

قول ربيعة بن الذئبة الثقفي في هذه القصة: وقال عبدالله بن الذئبة

= ويجوز أن يكون مترهب رفعاً، على معنى: ولا ينجو منه مترهب.

والاسطوان: أفعول، وجمعه: أساطين.

وجدره: جمع جدار: حائط، والمراد هنا: المكان الذي يختلي فيه الراهب. والأنوق: الأنثى من الرخم، لأنها تبيض حيث لا يُدْرَك بيضها من شواهق الجبال. وهذا قول المبرد في الكامل. ولا يوافق عليه. فقد قال الخليل: الأنوق: الذكر من الرخم، وهذا أشبه بالمعنى، لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق، فقد أراد المحال.

وقد قال القالي في الأمالي: الأنوق يقع على ذكر والأنثى من الرَّخَم.

(١) غمدان: هو الحصن الذي كان لهوذة بن علي ملك اليمامة، وممسكاً: مرفعاً، من قوله سمك السماء. والنيق: أعلى الجبل.

(٢) منهمة: هو موضع الرهبان. والراهب يقال له: النهامي وأسفله جرون: جمع جرن، وهو النقير من جرن الثوب إذا لان.

وفي رواية أبو الوليد الوقشي: جروب بالباء، وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضاً.

والجروب: الحجارة السوداء أو من الجريب: المزرعة. (الروض ١/٥٨).

وحُرُّ: بضم الحاء: هو خالص كل شيء.

والموحل: من الوحل.

وفي كتاب أبي بحر عن الوقشي: وحر الموجَل - بفتح الحاء والجيم - من الموجل مفتوحة، وفسّر الموجل فقال: حجارة ملس لينة. قال في الروض الأنف: والذي أذهب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل، وهي: مناهل الماء... (الروض الأنف ١/٥٨).

واللثِق: من اللثَق، وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق. والزليق: الذي يزلق فيه.

وفي حاشية كتاب أبي بحر: اللبق بالباء. وذكر أنه هكذا وجد في أصل إبن هشام، ولا معنى للبق ههنا، وأظنه تصحيفاً من الراوي والله أعلم. (الروض ١/٥٨).

(٣) يهصر بالعذوق: تميل بها، والعذوق: جمع عذق بكسر العين، وهي الكباسة، أو بفتح العين: وهي النخلة، وهو أبلغ في وصفها بالايقار أن يكون جمع عذق بالفتح. (الروض الأنف ١/٥٨).

الثقفي في ذلك ـ قال ابن هشام: الذئبة أمه، واسمه: ربيعة بن عبدياليل، بن سالم، بن مالك، بن حُطيْط، بن جُشَم، بن قَسِيّ ـ:

لعَمْرُك ما للفتى من مقرّ   مع الموت يلحقه والكِبَرْ
لَعَمْرك ما للفتى صُحْرَة   لعمرك ما إن له من وَزَرْ[1]
أبعد قبائل من حِمْير   أبيدوا صباحاً بذات العَبَرْ[2]
بألف ألوف وحُرَّابة   كمثل السماء قبيل المطر[3]
يصمّ صياحهم المقْرَبات   وينفون من قاتلوا بالذفر[4]
سَعاليَ مثل عديد الترا   ب تيبس منهم رطاب الشجر[5]

قول عمرو بن معدي كرب[6] الزبيدي في هذه القصة: وقال عمرو بن

---

(١) الصحرة: المتسع؛ أخذ من لفظ الصحراء. والوزَر: الملجأ، ومنه اشتقّ: الوزير، لأنّ الملك يلجأ إلى رأيه، وقد قيل: من الوزْر؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالاً، والوزْر: الثقل. (الروض ١/٥٩).

(٢) ذات العبر: أي ذات الحزن، يقال: عبر الرجل: إذا حزن، ويقال: لأمه العُبْر، كما يقال: لأمه الثُكل.

(٣) وقوله: كمثل السماء: أي كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر.

(٤) المقربات: الخيل العتاق التي لا تسرح في المرعى، ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو.

والذفر: تستعمل في قوة الريح الطيبة والخبيثة.

وقوله: وينفون من قاتلوا بالذفر: أي بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة.

قال البرقي: أراد ينفون من قاتلوا بذفر آباطهم. أي: بنتنها. (الروض الأنف ١/٦٠).

(٥) سعالي: شبّههم بالسعالي من الجن: جمع سعلاة، ويقال: بل هي الساحرة من الجن.

(٦) عمرو بن معدي يكرب بن عبدالله بن عمرو بن عاصم بن زبيد الأصغر ابن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن شيبة ـ وهو زبيد الأكبر ـ ابن ضعف بن سعد العشيرة الشاعر الفارس المشهور. يكنى أبا ثور. قال ابن منده: عداده في أهل الحجاز. وقال ابن ماكولا: له صحبة ورواية. قال أبو نعيم: له الوقائع المذكورة في الجاهلية وله في الإسلام بالقادسية بلاء حسن، فقد ذكر من أخباره الكثير. أنظر (الإصابة ٣/١٩ ـ ٢١) و(الروض الأنف ١/٦٠).

معدي كرب الزبيدي في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادي[1]، فبلغه أن يتوعّده، فقال يذكر حِمْيَر وعزّها، وما زال من مُلكها عنها:

أتوعدني كأنك ذو رُعَيْنٍ ... بأفضل عيشة ـ أو ذو نواس
وكائنْ كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد ... عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا، وأمسى ... يُحوَّل من أناس في أناس

نسب زبيد ومراد: قال ابن هشام: زبيد، بن سلمة، بن مازن، بن مُنَبِّه، ابن صعب، بن سعد العشيرة، بن مذحِج. ويقال: زبيد بن منبه، بن صعب، ابن سعد العشيرة. ويقال: زبيد بن صعب، بن سعد. ومراد: يحابر بن مذحج[2].

لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر: قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة، قال: كتب عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ إلى سلمان بن ربيعة الباهلي ـ وباهلة بن يعصر، بن سعد، بن قيس، بن عيلان ـ وهو بإرمينية يأمره أن يفضِّل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المَقَارف[3] في العطاء، فعرض الخيل، فَمَرَّ به فرسُ عمرو بن معدي كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مَقرِف، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثله، فوثب

---

(١) قيس بن المكشوح المرادي، يكنى أبا شداد، والمكشوح لقب لأبيه. واختلف في اسمه ونسبه:

فقال ابن الكلبي: هو هبيرة بن عبديغوث بن الغزيل بن بداء بن عامر بن عوثبان بن زاهر بن مراد.

وقال أبو عمر: هو عبد يغوث بن هبيرة بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن أنمار البجلي.

حليف مراد، قيل له المكشوح لأنه ضرب على كشحه أو كوي ـ واختلف في صحبته. (الإصابة ٣/٢٦١ والروض ١/٦٠).

(٢) مراد: هو يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج. (الروض ١/٦٠).

(٣) المقارف: جمع مقرف الذي داني الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم.

إليه قيس فتوعّده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شقّ وسَطِيح: قال ابن هشام: فهذا الذي عَنَى سطيح الكاهن بقوله: ليهبطنّ أرضكم الحبش، فليملكنّ ما بين أبين إلى جُرَش. والذي عَنَى شِقٌّ الكاهن بقوله: «لينزلنّ أرضكم السودان، فليغلبنّ على كلّ طفلة البنان، وليملكنّ ما بين أبْيَن إلى نجران».

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرّقت الحبشةُ عليهما، فانحازَ إلى كلٍّ واحد منهما طائفةٌ منهم، ثم سار أحدُهما إلى الآخر، فلما تقارب الناسُ أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرُزْ إليّ، وأبْرُز إليك، فأيُّنا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفتَ. فخرج إليه أبرهة ـ وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذا دِين في النصرانية ـ وخرج إليه أرياط، وكان رجلاً جميلاً عظيماً طويلاً، وفي يده حربه له وخلْف أبرهة غلام له، يقال له: عَتْوَدَة[1]، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سُمِّي : أبرهة الأشرم، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى[3] أبرهةُ أرياط.

غضب النجاشيّ على أبرهة: فلما بلغ النجاشيّ غضب غضباً شديداً وقال: «عدا على أميري، فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يَدَعُ أبرهة حتى يطأ بلاده، ويَجُزُّ ناصيته. فحلق أبرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث

(١) انظر السيرة لابن كثير ١/٢٨ ـ ٢٩.
(٢) العتودة: الشدة في الحرب.
(٣) وداه: تحمّل ديته.

به إلى النجاشيّ، ثم كتب إليه:

«أيها الملك، إنّما كان أرياط عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرك، وكلٌّ طاعتُه لك، إلاّ أنّي كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها، وأسوس منه، وقد حلقتُ رأسي كلَّه حين بلغني قَسَمُ الملك، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي؛ ليضعه تحت قدميه، فيبرَّ قسمه فيَّ.».

فلما انتهى ذلك إلى النجاشيّ رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

«القُلَّيْس[1]» أو كنيسة أبرهة: ثم إنّ أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُرَ مثلُها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشيّ: أنّي قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك، ولست بمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب، فلما تحدّثت العربُ بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ، غضب رجل من النَّسأة، أحد بني فُقَيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضَر.

النسأة: والنَّسَأة: الذين كانوا يُنْسِئونَ الشهور على العرب في الجاهلية[2]،

---

(١) وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حج العرب، وسميت هذه الكنيسة: القليس لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، ويقال: تقلنس الرجل، وتقلّس: إذا لبس القلنسوة، وقلس طعاماً أي: ارتفع من معدته إلى فيه، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وجشمهم فيها أنواعاً من السُّخْر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان ـ عليه السلام ـ وكان من موضع هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبنس، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن، وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده... (الروض الأنف ١/٦٣ وانظر السيرة لابن كثير ١/٣٠).

(٢) قال في الروض الأنف ١/٦٤ ذكر أبو علي القالي في الأمالي: أن الذي نسأ الشهور منهم: نعيم بن ثعلبة وليس هذا بمعروف. وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين:

١ ـ أحدها: ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم الى شنّ الغارات، وطلب الثارات. =

فيحلّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ، ليواطئوا عدّة ما حرّم الله، ويؤخّرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: **﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَاماً، وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً؛ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾**[1].

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، تقول العرب: واطأتك على هذا الأمر، أي: وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد، نحو قول العَجَّاج - واسم العَجَّاج: عبدالله بن رُؤبة أحد بني سعد بن زيد، مناة، بن تميم، بن مُرَّة، بن أدّ، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر، بن نزار -:

في أثعبان المنجنون المرسل[2]

ثم قال:

مدّ الخليج في الخليج المرسل

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من ابتدع النَّسيء: قال ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلّت منها ما أحلّ، وحرّمت منها ما حرّم: القَلَمَّس[3]، وهو حُذَيفة، ابن عبد، بن فُقَيْم، بن عديّ، بن عامر، بن ثعلبة، بن الحارث، بن مالك،

= ٢ - **والثاني:** تأخيرهم الحج عن وقته تحرّياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: (إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد بها الحج إلى وقته، ولم يحج رسول الله - ﷺ - في المدينة الى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة - والله أعلم، إذا كانت مكة بحكمهم حتى فتحها الله على نبيه - ﷺ».

(١) سورة التوبة، آية: ٣٧.

(٢) الأثعبان ما يندفع من الماء من مثغبه، والمنجنون: أداة السافية. (الروض ١/٦٥). والمثعب: المجرى، وأداة السانية: الدولاب التي يستقى عليها.

(٣) سمّي القلمّس لجوده، إذ القلمّس من أسماء البحر. (الروض ١/٦٣).

ابن كِنانة، بن خُزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد، بن حُذَيفة، ثم قام بعد عبّاد: قَلَع بن عباد، ثم قام بعد قلع: أُميَّة بن قلع، ثم قام بعد أمية: عوف بن أُميَّة، ثم قام بعد عوف: أبو ثُمامة، جُنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجّها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرَّم. فإذا أراد أن يحلَّ شيئاً أحلَّ المحرّم، فأحلّوه، وحرّم مكانه صَفَر فحرّموه؛ ليواطِئوا عِدَّةَ الأربعة الأشهر الحرم. فإذا أرادوا الصَّدَر[1] قام فيهم فقال: اللهم إنّي قد أحللتُ لك أحد الصَّفَرين، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل. فقال في ذلك عُمير بن قيس، جَذْلُ الطِّعان[2]، أحد بني فِراس، بن غَنْم، بن ثعلبة، بن مالك، بن كِنانة، يفخر بالنَّسَأة على العرب:

لقد علمتْ مَعَدّ أنّ قومي ... كرام الناس أنّ لهم كراما[3]
فأيّ الناس فاتونا بوِتْر ... وأيّ الناس لم نُعْلِك لجاما[4]
ألسنا النّاسئين على معدّ ... شهور الحلّ نجعلها حراما؟

قال ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرّم[5].

---

(١) الصدر هنا: الرجوع من الحج.
(٢) كان عمير - هذا - من أطول الناس، وهو مذكور في مقبلي الظعن، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب، كأنه جذل شجرة واقف، وقيل: لأنه كان يستشفى برأيه، ويستراح اليه، كما تستريح البهيمة الجرباء الى الجذل تحتكّ به. (الروض الأنف ١/٦٥).
(٣) أي آباء كراماً، وأخلاقاً كراماً.
(٤) أي: لم نقدعهم ونكفهم، كما يقدع الفرس باللجام، تقول: أعلكت الفرس لجامه: إذا رددته عن تنزّعه، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه. (الروض ١/٦٥).
(٥) قال في الروض الأنف ١/٦٦: «وقول ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرم. قول.
وقد قيل: أولها ذي القعدة. لأن رسول الله - ﷺ - بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم، ومن قال: المحرم أولها: احتج بأنه أول السنة.
وفقه هذا الخلاف: أن من نذر صيام الأشهر الحرم، فيقال له على الأول: إبدأ بالمحرم، ثم برجب، ثم بذي القعدة، وذي الحجة.
وعلى القول الآخر يقال له: إبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني».

الكناني يحدث في القليس: قال ابن إسحاق: فخرج الكِناني حتى أتى القُلَّيْس فقعد[1] فيها ـ قال ابن هشام: يعني أحدث فيها ـ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحِق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: مَنْ صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجلٌ من العرب من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة لما سمع قوله: «أصرف إليها حجّ العرب» غضب فجاء؛ فقعد فيها، أي: أنها ليست لذلك بأَهْلٍ.

خروج أبرهة لهدم الكعبة: فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشةَ فتهيّأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعتْ بذلك العرب، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة. بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت: فخرج إليه رجلٌ من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نَفْر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدْمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك مَنْ أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهُزِم ذو نفر وأصحابه، وأُخذ له ذو نفر، فأتي به أسيراً، فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليماً.

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهةُ على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم[2] عرض له نُفَيْل بن حبيب الخثعمي في قَبيلَيْ

---

(١) قال في الروض الأنف ١/٦٦: «فيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه، وأن ذلك للمذاهب كما قال مالك. والله أعلم».

(٢) خثعم: اسم جبل سمي به بنو عِفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده، وقيل: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم، أي: تلطخوا. (الروض ١/٦٦).

خثعم: شهران وناهس[1]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نفيل أسيراً، فأتي به، فلما هَمَّ بقتله قال له نُفَيل: أيها الملك، لا تقتلني فإنّي دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلَيْ خثعم: شهران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيله.

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مَرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب، ابن مالك، بن كعب، بن عمرو، بن سعد، بن عوف، بن ثقيف في رجال ثقيف. ـ واسم ثقيف: قسي بن النَّبيت، بن منبّه، بن منصور، بن يقدم، بن أفصى، بن دُعْمِيّ، بن إياد، بن نزار، بن معد[2]، بن عدنان ـ.

قال أمية بنْ أبي الصلت الثقفي:

قومي إياد لو أنهم أمَم ... أولو أقاموا فتهزل النَّعَم[3]

قوم لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعاً والقِط والقلم[4]

وقال أُميَّة بن أبي الصَّلت ـ أيضاً ـ:

فإما تسألي عنّي ـ لُبَيْنَى ... وعن نسبي ـ أخبِّرك اليقينا

---

(١) وقيل: بل خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب، غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم، وانتسبوا إليهم. فالله أعلم. (الروض ١/٦٦).

(٢) اختلف النسابون في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى قيس، وقد نُسبوا إلى ثمود أيضاً. (الروض ١/٦٦).

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ١/٦٧: «ووقع في هذه النسخة في نسب ثقيف الأول: ابن إياد بن معد. وفي الحاشية: أن القاضي أبا الوليد غيَّره، فجعل مكان ابن معد: من معد، وذلك ـ والله أعلم ـ لأن إياد هذا هو ابن نزار، وليس بابن معد لصلبه. ولمعد ابنٌ اسمه إياد، وهو ابن لصلبه، وقد ذكره ابن إسحاق. وهو عم إياد، والإياد في اللغة: التراب الذي يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه، وهو مأخوذ من الأيد، وهي القوة، لأن فيه قوة الخباء، وهو بين النُّؤي والخباء، والنُّؤي: يشتق من النائي، لأنه حفير ينأى به المطر، أي: يبعد عن الخباء» أهـ.

(٤) يريد: أي لو أقاموا بالحجاز، وإن هُزلت نعمهم لأنهم انتقلوا عنها، لأنها ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق، ولذلك قال: والقط والقلم، والقط: ماقط من الكاغد والرق ونحوه، وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا اليها، وقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار..».

فإنّا للنبيت أبي قسي لمنصور بن يَقْدُم الأقدمينا

قال ابن هشام: ثقيف: قسي بن منبّه، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عِكرمة، بن خَصَفة، بن قيس، بن عيلان، بن مُضَر، بن نزار، ابن معدّ، بن عدنان، والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأُميَّة.

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك، إنّما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد ـ يعنون اللات ـ إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلّك عليه، فتجاوز عنهم.

واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحو تعظيم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة النحوي لضِرار بن الخطّاب الفِهْري:

وفرّت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت في أبيات له.

أبو رغال ورَجْم قبره: قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدلّه على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله الْمُغَمَّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس[1].

---

(١) قال ابن كثير في السيرة له ١/٣٢: «وفي قصة ثمود أن أبا رغال كان رجلاً منهم، وكان يمتنع بالحرم، فلما خرج منه أصابه حجر فقتله، وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لأصحابه: (وآية ذلك أنه دفن معه غصنان من ذهب) فحفروا فوجدوهما.

قال: وهو أبو ثقيف.

قال ابن كثير: والجمع بين هذا وبين ما ذكر ابن إسحاق: أن أبا رغال هذا المتأخر وافق اسمُه اسمَ جده الأعلى، ورجمه الناس كما رجموا قبر الأول أيضاً والله أعلم. وقد قال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال

الظاهر أنه الثاني» أهـ. وانظر (الروض الأنف ١/٦٨).

الأسود بن مقصود يهاجم مكة: فلما نزل أبرهةُ المغمَّس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود[1]على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تِهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبدالمطّلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها، فهمّت قريش وكِنانة وهُذَيل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيّد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إنّ الملك يقول لك: إنّي لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرّضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتني به؛ فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيّد قريش وشريفها؟ فقيل له: عبدالمطّلب بن هاشم، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبدالمطّلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أو كما قال ـ فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أنيس يشفع لعبدالمطّلب: فانطلق معه عبدالمطّلب، ومعه بعض بنيه، حتّى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر ـ وكان له صديقاً ـ حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً أو عشياً؟! ما عندنا غَناء في شيء مما نزل بك، إلاّ أنّ أنيساً سائس الفيل صديق لي، وسيرسل إليه فأوصيه بك، وأُعظم عليه حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلّمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي. فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إنّ عبدالمطّلب سيّد قريش، وصاحب عير[1] مكة،

---

(١) وهي (عير) بالراء في الطبري. وفي ابن كثير (عين) والمقصود بعين مكة: زمزم التي حفرها عبدالمطّلب.

يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلّم أنيسٌ أبرهةَ، فقال له: أيها الملك: هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عِير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذَنْ له عليك فيكلّمك في حاجته، قال: فأذِن له أبرهة.

قال: وكان عبدالمطّلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم[1]، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدتُ فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلّمني فيه؟ قال له عبدالمطّلب: **إنّي أنا ربّ الإبل وإنّ للبيت ربّاً سيمنعه**. قال: ما كان ليمتنع منّي. قال: أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبدالمطّلب: وكان ـ فيما يزعم بعض أهل العلم ـ قد ذهب مع عبدالمطّلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يَعمر بن نُفاثة بن عَدِيّ بن الدُّئل بن بكر بن مَناة بن كِنانة ـ وهو يومئذ سيّد بني بكر ـ وخُويلد بن واثلة الهُذَلي ـ وهو يومئذٍ سيّد هُذَيل ـ فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا. فردّ أبرهة على عبدالمطّلب الإبل التي أصاب له.

فلما انصرفوا عنه، انصرف عبدالمطّلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرُّز في شعَف الجبال والشِّعاب تخوّفاً عليهم من

(١) ذكر السهيلي في الروض ١/٦٩ أن الرواية: أوسم الناس وأجمله وأعظمه. ثم ذكر وجه ذلك.

مَعَرَّة الجيش، ثم قام عبدالمطّلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبدالمطّلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة:

لاهُمَّ[1] إنّ العَبْدَ يمـ ـنع رَحْلَهُ فامنعْ حلالَكْ
لا يغلبنّ صَليبُهُم ومِحالُهم غَدْواً مِحَالَكْ
إنّ كنتَ تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدالك

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها.

قال ابن إسحاق: وقال عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبدمَناف بن عبد الدار بن قُصَيّ:

لاهُمَّ أخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليدْ[2]
بين حِرَاء وثبير فالبيد يحبسها وهي أُولات التطريدْ
فَضَمَّها إلى طماطم سود أخفره ياربّ وأنت محمودْ[3]

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، والطماطم: الأعلاج[4].

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبدالمطّلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

---

(١) العرب تحذف الألف واللام من (اللهم)، وتكتفي بما بقي. فـ لا همّ: أصلها: اللهم. أنظر (الروض الأنف ١/ ٧٠).
والحلال في هذا البيت: القوم الحلول في المكان، والحلال مركب من مراكب النساء، والحلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يستعيره هنا. (الروض ١/ ٧٠).

(٢) الهجمة: هي ما بين التسعين الى المائة. والمائة منها: هنيدة. والمائتان: هند. وكأن اشتقاق الهجمة من الهجيمة: وهو الثخين من اللبن، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها، لم يمزج بماء، وشرب صرفاً ثخيناً، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيراً: هجم. (الروض ١/ ٧١).

(٣) أي: انقض عزمه وعهده، فلا تؤمنه. يقال: أخفرت الرجل: إذا نقضت عهده، وخفرته أخفره: إذا أجرته.

(٤) كفّار العجم.

فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة، وهيّأ فِيَله، وعَبَّى جيشه ـ وكان اسم الفيل محموداً ـ وأبـرهة مجمـع لهدم البيت، ثم الانصـراف إلى اليمن. فلما وجّهـوا الفيل إلى مكـة، أقبل نُفَيـل بن حبيب[1] حتى قام إلى جنب الفيـل ثم أخذ بأُذُنه، فقال: ابـركْ محمود، أو ارجـع راشداً من حيث جئت، فـإنّك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أُذُنـه. فبرك الفيـل[2]، وخرج نُفيـل بن حبيب يشتدّ حتى أصعـد في الجبـل، وضـربـوا الفيـل ليقـوم فـأبى، فضـربـوا في رأسـه بـالطَبْـرزين؛ ليقم فأبى، فـأدخلوا محاجن لهم في مَـرَاقِّه فبـزغوه[3] بهـا ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن فقـام يهرول، ووجّهـوه إلى الشام ففعـل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجُنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحـر أمثال الخطاطيف والبَلَسَان[4]، مـع كل طـائر منهـا ثلاثـة أحجار يحملهـا: حجـر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحُمّص والعَدَس، لاتصيب منهم أحداً إلّا

---

(١) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٧٢): «ونفيل الذي ذكره ـ أي ابن هشام ـ هو: نفيل بن عبـدالله بن جزء بن عـامر بن مـالـك بن واهب بن جليحـة بن أكلب بن ربيعـة بن عِفْـرس بن خلف بن أفتل ـ وهو خثعم ـ كذلك نسبه البرقي. وفي الكتاب: نفيل بن حبيب. ونفيـل من المسمّين بالنبات. قاله أبو حنيفة، وهو نبت مسلنطح على الأرض» اهـ.

(٢) قال السهيلي ١/٧١ ـ ٧٢: «قولـه: فبرك الفيـل. فيه نـظر، لأن الفيل لايبـرك، فيحتمل أن يكون بروكه: سقوطه إلى الأرض، لما جـاءه من أمر الله سبحـانه، ويحتمـل أن يكون فعـل فِعْلَ البارك الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبّـر بالبـروك عن ذلك. وقـد سمعت من يقول: إن في الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل، فإن صحّ وإلّا فتأويله ما قدّمناه» اهـ. وانـظر (السيرة لابن كثير ١/٣٥).

(٣) الطبرزين آلة معقفة من حديد، والمحـاجن جمع محجن وهـو عصا معـوجّة قـد يجعل فيهـا حديده.

وبزغوه: أي أدْمَوْه.

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق: أن الفيل ربض، فجعلوا يقسمـون بالله أنهم رادّوه إلى اليمن، فحرّك لهم أذنيه، كأنه يأخذ عليهم عهداً بذلك، فإذا أقسموا له قام يهرول، فيـردّونه إلى مكة، فيربض، فيحلفون له، فيحرّك لهم أذنيه كالمؤكّد عليهم، ففعلوا ذلك مراراً. أنظر (الروض الأنف ١/٧٢).

(٤) قال ابن الأثير في (النهاية ١/١١١): «قال عباد بن موسى: أظنها الزرازير.» اهـ.

هَلَكَ[1]، ـ وليس كلّهم أصابت[2] ـ وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حبيب، ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيـن المفـرّ والإلٰـه الطالـب ... والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام: قوله: «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نُفيل أيضاً:

ألا حُـيِّيـت عـنـا يـارُدَيْـنـا ... نَعِمْنَـاكم مـع الإصبـاح عينـا[3]

رديـنـة لـو رأيـت ـ ولا تـرَيْـهِ ... لـدى جنْب المحصَّبِ مـا رأينـا

إذاً لـعـذرتني وحـمـدت أمـري ... ولـم تـأسَيْ عـلى مـافـات بَيْنـا

حـمـدتُ اللهَ إذ أبصـرتَ طـيـراً ... وخـفـتُ حجارةً تُـلْقَى عـليـنـا

وكـلُّ القـوم يسـأل عن نُفَيْـل[4] ... كـأنَّ عـليَّ لـلحـبشـان دَيْـنـا

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون بكلّ مهلك، على كلّ منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة: كلّما سقطت أُنملة، أتّبعتها منه مِدَّة تَمُثُّ[5] قيحاً ودماً، حتى قدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: حدّثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدِّث: أنّ أول ما رؤيت الحصبة والجُدَري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مرائر

---

(١) أنظر قصة قدوم أبرهة على مكة شرّفها الله ليهدمها بفيله. (تفسير البغوي ٤/٥٢٥ ـ ٥٢٩ وتفسير ابن كثير ٤/٥٤٨ ـ ٥٥٣ وسيرة ابن كثير ١/٢٩ ـ ٣٩).

(٢) هذا دعاء، أي: نعمنا بكم، وهذا كما تقول: أنعم الله بك عيناً.

وقوله: ألا حييت عنا يا ردينا: هو اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة: وهي القطعة من الردن وهو الحرير، وفي تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠ (ودينا) بالواو وهو خطأ.

(٣) في تفسير ابن كثير ٤/٥٥٠: فكل القوم تسأل عن نفيل.

(٤) أي: ينتثر: جسمه قطعة قطعة.

(٥) تمث قيحاً: أي: تسيل.

الشجر: الحرمل والحنظل والعُشَر[1] ذلك العام.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً - ﷺ - كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم، فقال الله تبارك وتعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾**. وقال: **﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**. أي: لئلّا يغيّر شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش: قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات، ولم تتكلّم لها العرب بواحد علمناه[2]، وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحْوي وأبو عُبيدة[3]: أنه عند العرب: الشديد الصُّلْب، قال رُؤبة بن العَجَّاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحاب الفيلْ ترميهم حجارة من سِجِّيلْ
ولعبت طير بهم أبابيل

وهذه الأبيات في أرجوزة له.

ذكر بعض المفسّرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة

---

(١) العشر: شجر مر يحمل ثمراً كالأترج وليس فيه منتفع.

(٢) وهذا قول الفراء كما ذكر ابن حجر في الفتح ٧٢٩/٨ وقول أبي عبيدة كما في مجاز القرآن له ٣١٢/٢.

وقد ذكر غيرهم أن واحدها: إبالة، بالتخفيف، وقيل: بالتشديد، وقيل: أبول كعجول وعجاجيل، وقيل: إبيل أنظر (فتح الباري ٧٢٩/٨ والروض الأنف ٧٥/١ وتفسير ابن كثير ٥٥١/٤).

(٣) أنظر مجاز القرآن له ٣١٢/٢ حيث قال: هو كل شيء شديد. وانظر (المفردات للراغب ص ٢٢٤ وبصائر ذوي التمييز ١٩٣/٣ وتفسير الطبري ١٩٧/٣٠ وتفسير مجاهد ٢ (٧٨٢ - ٧٨٤).

واحدة، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعني بالسنج: الحجر، وبالجلّ: الطين، يعني الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. والعصف: ورق الزرع الذي لم يُقصّب، وواحدته عصفة. قال: وأخبرني أبو عُبيدة النحْوي أنه يقال له: العُصافة والعَصيفة. وأنشدني لعلقمة بن عَبَدة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم:

تَسقي مَذانب قد مالت عصيفتها حَدُورُها من أتِيِّ الماء مطموم[1]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز:

فصُيِّروا مثلَ كعصف مأكول

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو[2].

وإيلاف قريش: إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خرجة في الشتاء، وخرجة في الصيف. أخبرني أبو زيد الأنصاري: أنّ العرب تقول: ألِفت الشيء إلفاً، وآلفته إيلافاً، في معنى واحد[3]. وأنشدني لذي الرُّمَّة:

من المُؤْلفات الرمل أدماء حُرة شعاع الضحى في لونها يتوضّح

وهذا البيت في قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخُزاعي:

---

(١) مذانب: مسايل. حدورها: ما انحدر منها ويروي جدورها: أي الحواجز التي تحبس الماء. والأتي: الماء يأتي من بعيد. والمطموم: الماء المرتفع.

(٢) تفسيره: أن الكاف تكون حرف جر، وتكون اسماً بمعنى مثل، ويدلك أنها حرف وقوعها صلة للذي، لأنك تقول: رأيت الذي كزيد، ولو قلت: الذي مثل زيد، لم يحسن. ويدلك أنها تكون اسماً: دخول حرف الجر والكاف عليها. (الروض الأنف ١/٧٥).

(٣) قال السهيلي ١/٧٦: «جعله من الإلف للشيء، وفيه تفسير آخر أليق، لأن السفر قطعة من العذاب، ولا تألفه النفس، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل، قال الهروي: هي حبال، أي: عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم، فكان هاشم يؤالف إلى ملك الشام، وكان المطّلب يؤالف إلى كسرى، والآخران يؤالفان أحدهما الى ملك مصر، والآخر إلى ملك الحبشة، وهما: عبد شمس ونوفل. . =

المنعمين إذا النجوم تغيّرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان ألف من الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: آلف فلان إيلافاً. قال الكُميت بن زيد - أحد بني أسد، بن خُزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مُضَر، بن نزار، بن معد:

بعام يقول له المؤلّفو ن هذا المُعِيم لنا المُرْجِلُ

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألفاً، يقال: آلف القوم إيلافاً. قال الكُميت بن زيد:

وآل مُزَيقياء غداة لاقَوْا بني سعد بن ضبّة مؤلّفينا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن تؤلّف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال: آلفته إيّاه إيلافاً. والإيلاف أيضاً: أن تصير ما دون الألف ألفاً، يقال: آلفته إيلافاً.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبدالرحمن، بن سعد، بن زُرارة، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس.

= قال: ومعنى يؤالف: يعاهد ويصالح ونحو ذلك. فيكون الفعل منه أيضاً آلف على وزن فاعل. والمصدر إلافاً بغير ياء مثل: قتالاً، ويكون الفعل منه أيضاً آلف على وزن أفعل مثل: آمن، ويكون المصدر: إيلافاً بالياء، مثل: إيماناً. وقد قرىء لإلاف قريش بغير ياء، ولو كان من آلفت الشيء على وزن أفعلت إذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة، وقد قرأ ابن عامر، فدلّ هذا على صحة ما قاله الهروي، وقد حكاه عمن تقدّمه» أهـ.

وانظر في متعلّق اللام في قوله (لإيلاف قريش) (الروض الأنف ١/٧٦ وتفسير الطبري ٢٠/١٩٧ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤١٣ - ٤١٥). وحاشية الصاوي على الجلالين ٤/٣٥٥ وغير ذلك من التفاسير.

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق: فلما ردَّ الله الحبشةَ عن مكـةَ، وأصابهم بمـا أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشاً، وقـالوا: هم أهـلُ الله، قاتـل الله عنهم وكفـاهم مؤونة عدوّهم، فقـالوا في ذلـك أشعاراً يـذكرون فيها مـا صنـع الله بالحبشةِ، وما ردّ عن قريش من كَيْدهم.

فقــال عبــدالله بن الــزِّبَعْــرى بن عــديّ، بن قيس، بن عــدِيّ، بن سعيــد[1]، بن سهــم، بن عــمــرو، بن هُـصَيص، بـن كعـب، بن لُـؤَيّ، بن غالب، بن فِهْر:

تَـنكّـلوا عـن بــطن مكــة، إنـهـا ... كــانت قـديمـاً لا يُـرام حــريمهـا
لم تخلق الشِّعــرى ليالي حُــرِّمت ... إذ لا عــزيـز من الأنــام يــرومهــا
سـائِلْ أميـر الجيش[2] عنهـا مـا رأى ... ولســوف يُنْبي الجـاهلين عليمُهــا
ستُّــون ألفــاً لم يؤوبـوا أرضَهـم ... ولم يَعِشْ بعــد الإيــاب سَقيمُـهــا
كــانت بهــا عــادٌ وجُــرْهُمُ قَبْـلَهُمْ ... والله مِـنْ فــوقِ العبــادِ يقـيـمـهــا

قال ابن إسحاق: يعني ابنُ الزِّبَعْرَي بقوله:
بعد الإياب سقيمها

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعـر بن الأسلت: وقال أبـو قيس بن الأسلت الأنصـاري ثم الخَـطْمِي واسمه: صيفيّ.

قال ابن هشام: أبو قيس: صيفيّ بن الأسلت، بن جُشَم، بن وائل، بن زيد. بن قيس، بن عامر، بن مُرَّة، بن مالك، بن الأوس:

---

(١) نسب ابن إسحـاق عبدالله بن الـزبعري إلى عـدي بن سُعيد بن سهم. والصـواب: سعد بن سهم، وإنما سُعيد: أخو سعد.

(٢) في سيرة ابن كثير ١/٣٩: أمير الحُبْش.

ومن صُنْعِهِ يوم فيل الحُبُو ش إذ كلّما بَعَثوه رَزَمْ[1]
مَحَاجِنُهُمْ تحت أقرابه وقد شَرَّموا أنْفَهُ فانْخَرمْ[2]
وقد جعلوا سَوْطَهُ مِغْولاً إذا يَمَّمُوهُ قفاه كُلِمْ[3]
فولَّى وأدْبَرَ أدراجَهُ وقد باء بالظلم من كان ثَمّ
فأرسل من فوقهم حاصباً فَلَفَّهُمُ مثل لَفِّ القُزُمْ[4]
تحضُّ على الصبر أحبارُهُمْ وقد ثأجُوا كثؤاج الغَنَم[5]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبي الصلت.

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فقوموا فصَلُّوا رَبَّكُمْ، وتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب[6]
فعندكم منه بلاءٌ مُصَدَّق غداة أبي يَكْسُوم هادِي الكتائبِ
كتيبته بالسهل تُمسي[7] ورَجْلهُ على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصبِ[8]
فولَّوْا سِراعاً هاربين ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائب[9]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

على القاذفات في رؤوس المناقب

---

(١) رزم: أقام مكانه لم يتحرك.
(٢) الأقراب: جمع قُرُب، وهو الخاصرة، أو من الشاكلة الى مراق البطن.
(٣) المغول: سكين كبيرة.
(٤) القُزُم: جمع قَزَم. وهو الضئيل الجسم: صغار الغنم.
(٥) ثأجوا: صاحوا.
(٦) صلّوا: ادعوا. والأخاشب: جبال مكة.
(٧) في سيرة ابن كثير ١/٤٠: تمشي.
(٨) السافي: الذي يرمي بالتراب، والحاصب: الذي يرمي بالحصباء.
(٩) ملحبش: أصلها من الحبش.

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس، سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

وقوله: «غداة أبي يكسوم»: يعني: أبرهة، كان يُكْنى أبا يكسوم.

شعر طالب بن أبي طالب: قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب بن عبدالمطّلب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشِّعبا

فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سَربا[1]

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت الثقفي: قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

قال ابن هشام: تُروى لأُميَّة بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي:

إنَّ آياتِ ربِّنا ثاقباتٌ لا يُماري فيهنَّ إلّا الكَفُورُ

خَلَقَ الليلَ والنهارَ فكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حسابُهُ مَقْدُورُ

ثم يَجْلُو النهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعها مَنْشُورُ[2]

حُبس الفيل بالمُغمَّسِ[3]، حتى ظل يَحْبُو كأنه مَعْقُورُ

لازماً حَلْقَةَ الجِران[4] كما قُطِّر[5] مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ[6]

حَوْلَهُ من مُلوك كِنْدة أبطا لُ مَلَاويث في الحروب صُقور

(١) السرب بالفتح: المال الراعي، والسرب بالكسر: القطيع من البقر والظباء، ومن النساء أيضاً. (الروض ١/ ٨٠).

(٢) المهاة: الشمس، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الصافي الذي يرى باطنه من ظاهره. والمهاة: البلّورة، والمهاة: الظبية. (الروض ١/ ٨٠).

(٣) المغمس: والمسمو: كسر الميم الآخرة.

(٤) الجران: العنق، يريد: ألقى بجرانه إلى الأرض.

(٥) في سيرة ابن كثير ١/ ٤٠: كما قُدَّ...

(٦) من صخر كبكب: جبل. ومحدور: حجر حدر حتى بلغ الأرض. (الروض ١/ ٨٠).

خَلَّفـوه ثم ابـذَعَـرُّوا جـمـيعـاً   كـلهم عَـظْمُ سـاقـه مـكـسـور[1]
كـلّ ديـنٍ يـومَ الـقـيـامـة عـنـد الله إلّا ديـنَ الـحـنـيـفـةِ بُـورُ[2]

شعر الفرزدق: قال ابن هشام: وقال الفرزدق ـ واسمه همام، بن غالب، أحد بني مجاشع، بن دارم، بن مالك، بن حنظلة، بن مالك، بن زيد مَناة، بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبدالملك بن مروان. ويهجو الحَجَّاج بن يوسف، ويذكر الفيل وجيشه:

فلما طغى الحَجَّاجُ حين طغى بـه   غِنَى قال: إني مُرتقٍ في السلالم[3]
فكان كما قال ابن نوح: سأرتقي   إلى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى   عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنوداً تسوق الفيل حتى أعادهم   هباءً، وكانوا مُطْرخمّي الطراخم[4]
نُصرتَ كنصر البيت إذ ساق فيله   إليه عظيمُ المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له:

شعر ابن قيس الرُّقَيَّات: قال ابن هشام: وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات[5] ـ أحد بني عامر، بن لُؤَيّ، بن غالب، يذكر أبرهة ـ وهو الأشرم ـ والفيل:

كـاده الأشـرم الـذي جـاء بـالفيـ   ـل فـولّـى وجـيـشُـه مـهـزومُ

---

(١) أبذعرّوا: تفرقوا من ذعر. وهو كلمة منحوتة من أصلين: البذر والذعر. (الروض ١/٨١).
(٢) يريد بالحنفية: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ـ ﷺ ـ وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي: عدل عنها، فسُمّي حنيفاً. أو حنف عمّا كان يصد آباؤه وقومه. (الروض ١/٨١).
(٣) غنى: أي استغناء.
(٤) المطرخم: الممتليء كبراً أو غضباً. والطراخم: جمع مطرخم على قياس الجمع.
(٥) اختلف في تلقيبه بـ قيس الرقيات. فقيل: كان له ثلاث جدات كلهن رقية.
فمن قال فيه: ابن الرقيات. فإنه نسبه إلى جداته. ومن قال: قيس الرقيات، دون ذكر ابن، فإنه نسبه. وقيل: بل شبب بثلاث نسوة كلهن تعمى: رقية. وقيل: بل ببيت قاله وهو: رقية ما رقية أيها الرجل. (الروض ١/٨١).

واستهلَّتْ عليهمُ الطيرُ بالجنْـ ـدلِ حتى كأنَّه مرجومُ[1]
ذاك من يَغْزُه من الناس يرجعْ، وهو فَلٌّ من الجيوش ذَمِيمُ

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ولدا أبرهة: قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يُكْنىٰ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة، ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة.

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر: فلما طال البلاءُ على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحِمْيَري[2] وكان يُكْنىٰ بأبي مرة، حتى قدِم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه[3].

النعمان يتشفع لسيف عند كسرى: فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر ـ وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق ـ فشكا إليه أَمْرَ الحبشة، فقال له النعمان: إنّ لي على كسرى وِفادة في كل عام، فأقم [عندي][4] حتى يكون ذلك، ففعل. ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان

---

(١) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/٨١): «وقوله: حتى كأنه مرجوم. وهو قد رجم، فكيف شبهه بالمرجوم، وهو مرجوم بالحجارة؟ وهل يجوز أن يقال في مقتول: كأنه مقتول؟
فنقول: لما ذكر استهلال الطير، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر، والمطر ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها. شبّهه بالمرجوم الذي يرجمه الآدميون، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوماً على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أُمطروا حجارة، فمن ثم قال: كأنه مرجوم» أهـ.

(٢) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطُن بن عريب بن زهير بن أيْمَن بن الهميسع بن العَرَنْجَج وهو: حِمْيَر بن سبأ. (الروض ١/٨٢، وسيرة ابن كثير ١/٤٢).

(٣) أي: لم يستجب لشكواه.

(٤) زيادة من سيرة ابن كثير ١/٤٢ نقلاً عن ابن إسحاق.

كسـرى يجلس في إيوان مجلسـه الذي فيـه تاجـه، وكان تـاجـه مثـل القَنْقَـل العـظيم[1] ـ فيما يـزعمون ـ يُضـرب فيه اليـاقوت واللؤلؤ والـزبرجـد بالـذَّهب والفضّـة، معلّقاً بسلسلة من ذهب في رأس طـاقة في مجلسـه ذلـك، وكـانت عنقـه لا تحمل تـاجه، إنّمـا يستر بـالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجـه، فإذا استـوى في مجلسه كشفت عنـه الثياب، فـلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلّا بـرك هيبةً لـه، فلما دخـل عليه سيف بن ذي يـزن برك.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ سيفاً لما دخل عليه طأطـأ رأسه، فقال الملك: إنّ هذا الأحمق يدخل عليّ من هذا الباب الطويل، ثم يطأطيء رأسه؟! فقيل ذلك لسيف، فقال: إنما فعلت هذا لِهمِّي، لأنه يضيق عنه كـل شيء.

قال ابن إسحاق: ثم قـال له: أيهـا الملك، غَلَبَتْنَا على بـلادنا الأغـربةُ فقال له كسرى: أيُّ الأغربة: الحبشة أم السِّنْد؟ فقال: بـل الحبشة، فجئتـك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك، قـال: بَعُدَتْ بـلادُك مع قلّة خيـرها، فلم أكن لأوَرِّط جيشـاً من فارس بـأرض العرب، لا حـاجة لي بـذلك، ثم أجـازه بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوة حسنة. فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فبلغ ذلك الملك، فقـال: إنّ لهذا لشـأناً، ثم

---

(١) القَنْقَل الذي شبّه به التاج هو مكيال عظيم. قال الراجز يصف الكمأة:

مـالـك لا تجـرفهـا بـالقنقـل ... لا خيـر في الكمـأة إن لم تفعـل

وفي الغريبين للهروي: القنقل: مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منّاً ولم يذكـر كم المنّ وأحسبه وزن رطلين، وهـذا التاج قـد أتى بـه عمـر بن الخـطاب ـ رضي الله عنـه ـ حين استُلب من يَزْدَجِرْد بن شهريار، تصيّر إليه من قِبل جده أنو شروان المـذكور، فلمـا أُتي به عمـر ـ رضي الله عنه ـ دعا سراقة بن مالك المُـدْلِجي، فحلّاه بـإسورة كسـرى، وجعل التـاج على رأسه، وقال له: «قل: الحمد لله الذي نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضعـه في رأس أعرابيّ من بني مُدْلج، وذلك بعزّ الإسلام وبركته لا بقـوّتنا» وإنمـا خصّ عمر سـراقة بهـذا؛ لأن رسـول الله ـ ﷺ ـ كان قـال له: «يـا سراق كيف بـك إذا وضع تـاج كسرى على رأسـك وإسواره في يديكِ» أو كما قال ـ ﷺ ـ. (الروض الأنف ١/٨٢).

بعث اليه، فقال: عمدت إلى حِبَاء الملك تنثره للناس. فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبالُ أرضي التي جئت منها إلاّ ذهب وفضّة - يرغّبه فيها - فجمع كسرى مرازبته[1]، فقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردتَ بهم، وإن ظفروا كان ملكاً ازددتَهُ، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف: واستعمل عليهم رجلاً يقال له وَهْرِز، وكان ذا سنّ فيهم، وأفضلهم حسباً وبيتاً، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن[2]. فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه[3]، وقال له: رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً، أو نظفر جميعاً. قال له وهرز: أنصفْتَ. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل اليهم وهرز ابناً له؛ ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقُتل ابنُ وهرز، فزاده ذلك حنقاً عليهم، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم، قال وهرز: أروني مَلكَهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلاً، ثم قال: عَلام هو؟ قالوا: قد تحوَّل على الفرس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلاً، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على البغلة. قال وهرز: بنت الحمار؟! ذَلَّ وذلَّ مُلْكه، إنّي سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحرّكوا، فاثبتوا حتى أوذِنَكم، فإنّي قد أخطأتُ الرجلَ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل، فاحملوا عليهم. ثم وتَّرَ قوسه، وكانت - فيما يزعمون - لا يوترها غيره من شدّتها، وأمر بحاجبيه، فعُصّبا له، ثم رماه،

---

(١) مرازبته: وزراؤه.

(٢) انظر (سيرة ابن كثير ١/٤٣).

(٣) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة، وانضافت إليهم قبائل من العرب. (الروض ١/٨٣).

فصَكَّ الياقوتة التي بين عينيه، فَتَغَلْغلت النُشَّابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكّس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقُتلوا وهربوا في كل وجه. وأقبل وهرز، ليدخل صنعاء[1]، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتي مُنَكَّسَةً أبداً، إهدموا الباب، فهُدِم، ثم دخلها ناصباً رايته.

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة: فقال سيف بن ذي يزن الحِميري:

يظنُّ الناسُ بالمَلْكَيْـ ... ـنِ أنهما قَدِ التَأَمَا
وَمَنْ يَسْمَعْ بِلأمِهِما ... فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُما[2]
قتلنا القَيْلَ مَسْرُوقاً ... ورَوَّيْنَا الكثيبَ دَمَا[3]
وإنَّ القَيْلَ قَيْلُ النا ... س وهرز مقسمٌ قَسَمَا
يذوقُ مُشَعْشَعاً حتى ... يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعما[4]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له. وأنشدني خلّاد بن قُرّة

---

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسرها.

قال ابن الكلبي: وسُمّيت: صنعاء لقول وهرز حين دخلها: صَنْعة صنعة، يريد أن الحبشة أحكمت صنعها، قال ابن مقبل يذكر أوال:

عمد الحُداة بها لعارض قرية ... وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير:

وشبهت الحدوج غداة قَوٍّ ... سفين الهند رَوَّح من أوالا

وقال الأخطل:

خوص كأن شكيمهن معلق ... بقنا ردينة، أو جذوع أوال

وقد قيل: إن صنعاء اسم الذي بناها، وهو: صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ، فكانت تعرف تارة بأوال، وتارة بصنعاء. (الروض الأنف ١/٨٣ ـ ٨٤).

(٢) فقم: اشتد وعظم.

(٣) القيل: الملك.

(٤) يذوق: يريد: لا يذوق. والمشعشع: الشراب الممزوج بالماء.

السدوسي آخرها بيتاً لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له، وغيره من أهل العلم بالشعر يُنْكِرها له.

شعر أبي الصلت: قال إبن إسحاق. وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي. **قال ابن هشام:** وتُروى لأميَّة بن أبي الصلت.

لِيَطْلُبِ الوتْر أمثالُ ابن ذي يزن ... ريَّم في البحر للأعداء أحوالاً[1]
يَمَّمَ قيصر لما حانَ رحلتُه ... فلم يجد عنده بعض الذي سالاَ
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يُهين النفسَ والمالاَ
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك عُمْري لقد أسرعت قِلْقالاَ[2]
لله دَرُّهم مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجوا ... ما إنْ أَرَى لهمُ في الناس أمثالاَ
بيضاً مرازبةً، غُلْباً أساوِرَةً ... أسْداً تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أَشْبَالاً[3]
يرمون عن شُدُف كأنها غُبُط ... بزمخر يُعجل المرميَّ إعجالا[4]
أَرْسَلْتَ أُسْداً على سُود الكِلاب فقد ... أضحى شريدُهُم في الأرض فُلاّلا[5]
فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتَفِقاً ... في رأس غُمدان داراً منك مِحْلاَلاَ[6]
واشرب هنيئاً فقد شَالَتْ نَعَامَتُهم ... وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيْك إسبالا[7]
تلك المكارمُ لا قُعْبَان من لَبَنٍ ... شيباً بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

---

(١) يريد: أنه أقام في البحر، أو غاب زماناً وأحوالاً ثم رجع للأعداء. أنظر (الروض ١/٨٤).
(٢) القلقال: شدة الحركة.
(٣) في سيرة ابن كثير: غلباً مرازبة بيضاً أساورة. والغلب الشجعان.
(٤) الشدف: القوس العوجاء الفارسية. والغبط: الهوادج والزمخر: النّشّاب وقوله: يرمون عن شدف: أي: يدفعون عنها بالرمي.
(٥) الفلاّل: المنهزمون.
(٦) قال ابن كثير (السيرة ١/٤٦): «ويقال: إن غمدان قصر باليمن بناه يعرب بن قحطان، وكمله [وأكمله] بعده واحتله واثلة بن حِمْيَر بن سبأ. ويقال: كان ارتفاعه عشرين طبقة» اهـ. وانظر (الروض الأنف ١/٨٥).
(٧) قوله: شالت نعامتهم: أي: هلكوا والنعامة: باطن القدم، وشالت: ارتفعت، ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه، فظهرت نعامة قدمه. (الروض الأنف ١/٨٥).

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له مما روى ابن إسحاق منها، إلّا آخرها بيتاً قوله:

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنابغة الجعدْي. واسمه: حِبَّان بن عبدالله بن قيس[1]، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، في قصيدة له.

شعر عديّ بن زيد: قال ابن إسحاق: وقال عدِيّ بن زيد الْحِمْيَرِيّ. وكان أحد بني تميم.

قال ابن هشام: ثم أحد بني امريء القيس بن زيد مَناة بن تميم، ويقال: عديّ من العبّاد[2] من أهل الحيرة:

ما بَعْدَ صنعاء كان يَعْمُرها ... ولاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَوَاهِبُها
رَفَّعَها من بني لَدَى قَزَعِ الـ ... ـمُزْنِ وتَنْدَى مِسْكاً مَحارِبُها[3]
محفوفةً بالجبال دون عرى الكا ... ئد ما تُرْتَقى غَوَارِبُها[4]

---

(١) وقيل: قيس بن عبدالله، وقيل: حبان بن قيس بن عبدالله، وهو أحد النوابغ. أنظر (الروض ١/٨٦).

(٢) العِباد، وهم من عبد القيس بن أفصى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة. قيل: إنهم انتسلوا من أربعة: عبدالمسيح، وعبدكُلال، وعبدالله، وعبدياليل، وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم: عبد، وكانوا قدِموا على ملك فتسموا له، فقال: أنتم العِباد فسمّوا بذلك، وقد قيل غير هذا. وفي الحديث المسند: أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد، وأحسبهم هؤلاء؛ لأنهم تنصّروا، وهم من ربيعة، ثم من بني عبدالقيس، والله أعلم. والذي ذكره الطبري في نسب عديّ بن زيد أنه ابن زيد بن حمّاد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصَية بن امريء القيس بن زيد مناة بن تميم. وقد دخل بنو امريء القيس بن زيد مناة في العِباد. فلذلك ينسب عديّ إليهم. (الروض الأنف ١/٨٦).

(٣) قزع المزن: السحاب المتفرّق.

(٤) دون عُرى الكائد، يريد: عرى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ: عَرى بفتح العين، وهي الناحية، وأضافها إلى الكائد، وهو الذي كادهم، والباري ـ سبحانه وتعالى ـ كيده متين. (الروض ١/٨٦).

يَـأْنَسُ فـيهـا صـوتُ الـنُّهـام إذا جـاوبهـا بـالعَشِيِّ قـاصبُهـا[1]
سـاقت إليـه الأسبـابُ جنـدَ بني الـ ـأحـرار فـرسـانُـهـا مَـواكِبُـهـا
وفَـوَّزَتْ بـالبغـال تُـوسَـقُ بـالـ ـحتف وتـسعـى بهـا تَـوَالِـبُـهـا[2]
حتى رآهـا الأقـوال من طـرف الـمـ ـنْقَـل مُـخَـضَّـرَةً كتـائـبهـا[3]
يـوم يـنـادون آل بَـرْبَـر والـيَـكْـ ـسُـوم لا يُـفْـلحـنَّ هـاربُـهـا[4]
وكـان يـوم بـاقي الحـديث وزا لـت إِمَّـة ثـابتٌ مـراتـبُـهـا[5]
وبُـدِّل الفَيْـجُ بـالـزرافـة والأيـا م جـون جَـمٌّ عـجـائـبـهـا[6]
بـعـد بـنـي تُـبَّـع نَـخَـاوِرَةٌ قـد اطـمـأنت بـهـا مَـرَازِبهـا[7]

قـال ابن هشـام: وهـذه الأبيـات في قصيـدة له. وأنشـدني أبـو زيـد الأنصاري، ورواه لي عن المفضل الضبيّ. قوله:

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

وهذا الذي عنى سطيح بقـوله: «يليـه إرم ذي يزن، يخـرج عليهم من

---

(١) صوت النهام، يريد ذَكر البوم، وقاصبها: الذي يزمّر في القصب.

(٢) فَوَّزَت بالبغال أي: ركبت المفاوز. تُوسق بالحتف، أي: أوسق البغـال الحتوف، وتـوالبها: جمع تولب، وهو ولد الحمار، والتاء في تـولب بدل من واو، كمـا هي في توءم وتـولج وفي توراة على أحد القولين، لأنّ اشتقاق التـولب من الوالبـة، وهي ما يـولده الـزرع، وجمعها: أوالب. (الروض ١/٨٦).

(٣) من طرف المَنْقَل أي: من أعالي حصونها، والمنقال: الخِرج ينقل إلى الملوك من قـرية إلى قرية، فكأن المنقل من هذا ـ والله أعلم ـ وقوله: مخضرة كتائبها: يعني: من الحديد، ومنـه الكتيبة الخضراء. (الروض ١/٨٧).

(٤) ينـادون آل بربـر: لأن البربـر والحبشة من ولـد حام. وقـد قيل: إنهم من ولـد جـالـوت من العماليق.

وقد قيل في جالوت: إنه من الخزر، وإن أفـريقس لما خـرج من أرض كنعان سمـع لهم بربرة، وهي اختلاط الأصوات، فقـال: ما أكثـر بربـرتهم! فسموا بـذلك، وقيـل غير هـذا. (الروض الأنف ١/٨٧).

(٥) الإمة. أي: النعمة.

(٦) الفيج: المنفرد في مشيته، والزرافة: الجماعة. وفي سيرة ابن كثير ١/٤٧: خُونٌ جَمٌّ.

(٧) النخاورة: الكرام.

عَـدَن، فلا يتـرك أحداً منهم بـاليمن»، والذي عنى شقّ بقـولـه: «غـلام ليس بِدَنيّ ولا مُدَنٍّ، يخرج عليهم من بيت ذي يَزَن»[1].

ذكْر ما انتهى إليه أمر الفُرس باليمن

مـدّة مكْث الحبشة بـاليمن: قال ابن إسحـاق: فأقـام وهـرز والفـرس بـاليمن، فمن بقية ذلـك الجيش من الفرس: الأبنـاء[2] الذين بـاليمن اليـوم. وكـان ملك الحبشة بـاليمن، فيما بين أن دخلهـا أريـاط إلى أن قتلت الفـرس مسروقَ بن أبرهـة وأخرجت الحبشـة، اثنتين وسبعين سنة، تـوارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن: قال ابن هشام: ثم مات وهرز، فأمَّر كسرى[3] ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المَرْزُبان، فأمَّر كسـرى ابنه التَيْنُجـان ابن المرزبان على اليمن، ثم مـات التينجان، فـأمَّر كسـرى ابن التينجان على اليمن، ثم عـزله وأمَّـر بـاذان، فلم يـزل بـاذان عليهـا حتى بعث الله محمـداً النَّبِيّ ﷺ[4].

---

(١) انظر السيرة لابن كثير ١/٤٦ ـ ٤٧.

(٢) قال في النهاية: «ويقال لأولاد فارس: الأبناء، وهم الـذين أرسلهم كسرى مـع سيف بن ذي يـزن، فقيـل لأولادهم: الأبنـاء، وغلب عليهم هـذا الاسم، لأن أمهـاتهم من غيـر جنس آبائهم.» أهـ.

(٣) كسرى هذا هو: أبرويز بن هرمز بن أنو شروان، ومعني أبرويز بالعربية: المظفّر، وهـو الذي غلب الروم حين أنزل الله: ﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو الـذي عُرض على الله في المنام، فقال له: سلّم ما في يديك إلى صاحب الهراوة، فلم يزل مذعوراً من ذلك، حتى كتب إليه النعمان بن المنـذر بظهـور النبي ـ ﷺ ـ بتهامة؛ فعلم أنّ الأمر سيصيـر إليه، حتى كان من أمره ما كان، وهو الذي كتب إليه النبيّ ـ ﷺ ـ وحفيده: يزدجِرْد بن شهـريار بن أبـرويز، وهـو آخـر ملوك الفـرس، وكـان سَلْب ملكـه، وهـدم سلطانـه على يـدي عمـر بن الخطاب، ثم قُتل هو في أول خلافة عثمان، وُجِـد مستخفياً في رحى فقُتـل وطُرح في قنـاة الرحى، وذلك بمرو من أرض فارس. انظر (الروض الأنف ١/٨٨).

(٤) أنظر السيرة لابن كثير ١/٤٨.

فبلغني عن الزُهْريّ أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: أنه بلغني أنّ رجلاً من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبيّ، فسِر إليه فاستَتِبْهُ، فإنْ تابَ، وإلاّ فابعثْ إليَّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فكتب إليه رسول الله ـ ﷺ: **«إنّ الله قد وعدني أن يُقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا»**[1] فلما أتى باذانَ الكتابُ توقّف لينظر، وقال: إنْ كان نبياً، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسولُ الله ﷺ[2]

قال ابن هشام: قُتِلَ على يدي ابنه شيرويه[3]، وقال خالد بن حِق الشيباني:

وكسرى إذ تقسَّمَهُ بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللّحَامُ

تمخّضت المنونُ له بيومٍ ... أنى، ولكلِ حاملةٍ تِمام[4]

إسلام باذان: قال الزُهْري: فلمّا بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفُرس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت الرسل من الفرس لرسول الله

---

(١) ورد نحوه عن أبي بكرة رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير أن فيه كثير بن زياد، وهو ثقة، وهو عند أحمد طرف منه وكذلك البزار. وفيه: أن ربي قتل كسرى ولا كسرى بعد اليوم. الحديث. انظر (مجمع الزوائد ٨/٢٨٧ ـ ٢٨٨) وانظر (سيرة ابن كثير ١/٤٨، والوفا بأحوال المصطفى ٢/٧٣٢ ـ ٧٣٤، وفتح الباري ٨/١٢٧ ومسند الإمام أحمد ٥/٤٣ وتاريخ الإسلام ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧). وفي كتاب الفردوس عن عمر مدفوعاً: أنّ ربّي عزّ وجلّ قد قتل ربكما الليلة في خمس ساعات مضين منه، قتله ابنه شيرويه، سلطه الله عليه... الحديث قاله لرسول كسرى عظيم الفرس. الديلمي رقم (١٩٣٤) ١/٢٩٥.

قال ابن حجر في تسديد القوس (ق ١٠٣) «رواه أحمد عن أبي بكرة، وأسنده أبو منصور عن عمر» أهـ.

(٢) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأول سنة سبع من الهجرة. وأسلم باذان باليمن في سنة عشر. وفيها بعث رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام. أنظر (فتح الباري ٨/١٢٧)

(٣) قال ابن كثير في السيرة ١/٤٨: «وقال بعضهم: بنوه تمالأوا على قتله» أهـ.

(٤) تمخّضت: أي حملت، والمخاض الحمل. وأنى: أي حان. وفي سيرة ابن كثير ١/٤٩ خطأ: ألا ولكل... أنظر. (الروض الأنف ١/٨٩)

- ﷺ -: إلى مَنْ نحن يا رسول الله؟ قال: «أنتم منّا وإلينا أهل البيت»[1].

قال ابن هشام: فبلغني عن الزُهْري أنه قال: فمن ثمّ قال رسول الله - ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[2].

قال ابن هشام: فهو الذي عنى سطيح بقوله: «نبيٌّ زكيٌّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ». والذي عنى شقّ بقوله: «بل ينقطع برسول مُرسل، يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل»[3].

كتاب الحجر الذي في اليمن: قال ابن إسحاق: وكان في حَجَر باليمن - فيما يزعمون - كتابٌ بالزبور كُتِبَ في الزمان الأول: «لمن مُلْك ذِمار[4] لحمير الأخيار[5]، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار[6]، لمن ملك ذمار؟ لفارس

---

(١) أنظر سيرة ابن كثير.

(٢) رواية ابن هشام فيها انقطاع وإرسال. والحديث قد رواه الطبراني والحاكم ٣/٥٩٨ عن عمرو بن عوف. والديلمي في الفردوس رقم (٣٣٣٩) ٢/٤٧٦ عن علي بن أبي طالب.
جزم الحافظ العراقي بضعف سنده، وقال الهيثمي: فيه عند الطبراني كثير بن عبدالله المزني ضعّفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات» أهـ. وقال الألباني في ضعيف الجامع ٣/٢٢٠: «ضعيف جداً» ثم قال: وقد صحّ موقوفاً على علي رضي الله عنه.
قال ابن كثير في السيرة ١/٤٩: «والظاهر أن هذا كان بعد ما هاجر رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ولهذا بعث الأمراء إلى اليمن لتعليم الناس الخير ودعوتهم الى الله عزّ وجلّ، فبعث أولاً خالدَ بن الوليد وعليَّ بن أبي طالب، ثم أتبعهما أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، ودانت اليمنُ وأهلها للإسلام.

(٣) أنظر سيرة ابن كثير ١/٤٩ - ٥٠.

(٤) حكى ابن هشام عن يونس ذَمار بفتح الذال، فدلّ على أنّ رواية ابن إسحاق بالكسر، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف؛ لأنه اسم لمدينة، والغالب عليه التأنيث، ويجوز صرفه أيضاً؛ لأنه اسم بلد، وإذا فتحت الذال، فهو مبنيّ مثل: رَقاش وحَذام. (الروض ١/٨٩)
وذمار: من ذمرت الرجل، إذا حرّضته على الحرب.

(٥) وقوله: لحمير الأخيار؛ لأنهم كانوا أهل دين، كما تقدّم في حديث فيميون وابن الثامر.

(٦) وأما قوله للحبشة الأشرار: فلما أحدثوا في اليمن من العيْث والفساد وإخراب البلاد، حتى همّوا بهدم بيت الله الحرام، وسيهدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن؛ وذهب من الصدور الإيمان.

الأحرار[1]، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار».

وذمار: اليمن أو صنعاء، قال ابن هشام: ذَمَار: بالفتح، فيما أخبرني يونس.

الأعشى يذكر نبوءة شقّ وسَطِيح: قال إبن إسحاق: وقال الأعشى - أعشى بن قيس بني قيس بن ثعلبة في وقوع قال سَطيح وصاحبه:

ما نظرتْ ذات أشفار[2] كنظرتها حقاً كما صدق الذئْبِيُّ إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبيّ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن ذئب.

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

قصّة ملك الحَضْر[3]

قال ابن هشام: وحدّثني خَلّاد بن قُرّة بن خالد السدوسي، عن جَنّاد -

---

(١) وقوله: لفارس الأحرار؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام، لم يدينوا لملك من غيرهم، ولا أدّوا الإتلوة لذي سلطان من سواهم، فكانوا أحَراراً لذلك.

(٢) يريد: زرقاء اليمامة، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام، وقبل البيت:

قالت: أرى رجلاً في كفّه كتِف أو يخصف النعل لهفي أيّة صنعا

فكذّبوها بما قالت، فصبَّحهم ذو آل حسّان يُزجي الموتَ والسَّلعا

انظر سبب ذلك في (الروض الأنف ٩١/١ وسيرة ابن كثير ٥٠/١).

(٣) قال ابن كثير في السيرة له ٥٠/١ - ٥١: «وقد ذكر قصة هاهنا عبدُالملك بن هشام لأجل ما قاله بعض علماء النسب: إن النعمان بن المنذر الذي تقدم ذكره في وروده سيف بن ذي يزن عليه، وسؤاله في مساعدته في رد ملك اليمن اليه، أنه من سلالة الساطرون صاحب الحضر.

وقد قدّمنا عن ابن إسحاق أن النعمان بن المنذر من ذرية ربيعة بن نصر، وأنه روي عن جبير بن مطعم أنه من أشلاء قنص بن معد بن عدنان، فهذه ثلاثة أقوال في نسبه.

فاستطراد ابن هشام في ذكر صاحب الحضر، والحضر حصن عظيم بناه هذا الملك، وهو الساطرون على حافّة الفرات، وهو منيفٌ مرتفع البناء، واسع الرحبة والفناء، دوره بقدر مدينة عظيمة، وهو في غاية الإحكام والبهاء والحسن والسناء، وإليه يُجبى ما حوله من الأقطار والأرجاء» أهـ.

أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنَّسَب، أنه يقال: إنّ النُّعمان بن المنذر من ولد ساطِرون[1] ملك الحضر. والحضر: حصن عظيم كالمدينة، كان على شاطيء الفرات، وهو الذي ذكر عديّ بن زيد في قوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة يُجبي إليه والخابور[2]
شاده مرمراً وجلّله كلْساً فللطير في ذراه وكور
لم يَهَبْهُ رَيْب المَنُون فبان الملك عنه فبابه مهجور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له:

والذي ذكره أبو دُواد الإيادي في قوله:

وأرى الموت قد تدلّى من الحضر على رب أهله السَاطُرون

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنها لخَلَف الأحمر، ويقال: لحمّاد الراوية.

سابور يستولي على الحضر: وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر[3]، فحصره سنتين[4]، فأشرفت بنت ساطرون[5] يوماً، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلاً، فدسّت إليه: أتتزوّجني إن فتحت

---

(١) واسم الساطرون: الضيزن بن معاوية بن عبيد بن أجرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. كذا نسبه ابن الكلبي.
وقال غيره: كان من الجرامقة، وكان أحد ملوك الطوائف، وكان يَقْدُمهم إذا اجتمعوا لحرب عِدوّ من غيرهم، وكان حصنه بين دجلة والفرات» أهـ. انظر (السيرة لابن كثير ١/٥١ والروض الأنف ١/٩١ ـ ٩٢).

(٢) الخابور: واد معروف. وهو فاعول من خبرت الأرض إذا حرثتها. (الروض ١/٩٦).

(٣) وقال غير ابن هشام: أما الذي غزا صاحب الحضر سابور بن أردشير بن بابك، أول ملوك بني ساسان، أذلّ ملوك الطوائف، وردَّ المُلْكَ إلى الأكاسرة، وأما سابور ذو الأكتاف بن هرمز فبعد ذلك بدهر طويل. والله أعلم. ذكره السهيلي ١/٩٢ ـ ٩٣، وانظر السيرة لابن كثير ١/٥١.

(٤) وقال غير ابن هشام: أربع سنين.

(٥) وكان اسمها: النضيرة.

لك باب الحضْر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرِب حتى سكِر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب[1]، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخرّبه[2]، وسار بها معه فتزوّجها، فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمع، ففتّش فراشها، فوجد عليها ورقة آس؛ فقال لها سابور: أهذا الذي أسْهَرَك؟! قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج، ويُلبسني الحرير، ويُطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إليّ بذلك أسرع، ثم أمر بها، فرُبطت قرون رأسها بذَنَب فَرَس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها[2]، ففيه يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

قول أعشى قيس في قصة الحضر:

ألم تر للحضْر إذ أهلُه ... بنُعْمَى، وهل خالدٌ مَن نعِم
أقام به شاهبورُ الجنو ... دَحولين تضرب فيه القُدُمْ[3]
فلما دعا ربَّهُ دعوةً ... أناب إليه فلم ينتقم[3]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

---

(١) وقال المسعودي: دلّته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.
وقال الطبري: دلّته على طِلَّسم كان في الحضر، وكان في علمهم أنه لا يُفتح حتى تؤخذ حمامةٌ وُرْقاء، وتخضَّب رجلاها بحَيْض جارية بكْر زرقاء، ثم تُرسل الحمامة، فتنزل على سور الحَضْر، فيقع الطلسم، فيفتح الحضر. ففعل فانفتح الباب. انظر (الروض ١/٩٢ وسيرة ابن كثير ١/٥٢)

(٢) القدم: جمع قدوم، وهو الفأس ونحوه.

(٣) قد ذكر ابن كثير في السيرة ١/٥٣ والسهيلي في الروض الأنف زيادة على هذه الأبيات وهي:

فهل زاده ربُّه قوة ... ومثل مجاوره لم يقم
وكان دعا قومه دعوة ... هلُمُّوا إلى أمركم قد صُرِم
فموتوا كراماً بأسيافكم ... أرى الموت يُجْشِمه من جشم

قول عديّ بن زيد: وقال عديّ بن زيد في ذلك:

والحضـر صـابـت عليـه داهيـةٌ ... مـن فـوقـه أيِّـدٌ منـاكـبُـهـا[1]
ربـيَّـة لـم تُـوقِّ والـدَهـا ... لـحَيْنِـهـا إذ أضـاع راقـبُـهـا[2]
إذ غَـبَـقَـتْـهُ صـهـبـاءَ صـافـيـةً ... والخمـرُ وَهْـلٌ يَهِيـمُ شـاربُهـا[3]
فـأسـلَمَـتْ أهـلُهـا بـليـلتـهـا ... تـظنُّ أن الـرئـيسَ خـاطِـبُـهـا
فكان حظُّ العروسِ إذ جَشَـر الصُّـ ... ـبْـحُ دمـاءً تـجـري سبـائبُـهـا[4]
وخُـرِّب الحضْـرُ، واستُبيـح، وقـد ... أحـرِق في خـدرهـا مشـاجِبُهـا[5]

وهذه الأبيات في قصيدة له.

ذِكْر ولد نزار بن مَعد

قال ابن إسحاق: فولَد نزار بن مَعد ثلاثة نفر: مُضر بن نزار، وربيعة بن نزار، وأنمار بن نزار.

---

(١) أيد: شديدة.

(٢) رَبِيَّة لم تُوقِ والدها: يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت، إلاّ أنّ القياس في فَعِيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة، ويكون البناء موافقاً للقياس، وأصحّ من هذين الوجهين أن يكون أراد: ربيئة بالهمز، وسهل الهمزة فصارت ياء، وجعلها ربيئة؛ لأنها كانت طليعة حيث اطلعت، حتى رأت سابور وجنوده، ويقال للطليعة ذكراً كان أو أنثى: ربيئة، ويقال له: رباء على وزن فعال وأنشدوا:

ربـاء شمـاء لا يـأوي لقلتها ـ البيت

وقوله: أضاع راقبها، أي: أضاع المربأة الذي يرقبها ويحرسها، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أي: أضاعها حافظُها. (الروض ١/٩٦).

(٣) والخمر وَهْل: يقال: وهِل الرجل وهلاً ووهَلاً إذا أراد شيئاً، فذهب وهمه إلى غيره. ويقال فيه: وهم أيضاً بفتح الهاء، وأما وهم بالكسر، فمعناه: غلط، وأوهم بالألف معناه: أسقط. (الروض ١/٩٦)

(٤) جشر: ظهر ووضح، سبائبها: السبائب جمع: سبيبة، وهي كالعمامة أو نحوها، ومنه السِّب وهو: الخمار.

(٥) مشاجبها: المشاجب: جمع مشجب، وهو ما تعلق منه الثياب. وانظر السيرة لابن كثير١/٥٣.

قال ابن هشام: وإياد بن نزار. **قال الحارث بن دوس الإيادي - ويُروى لأبي دُوَاد الإيادي - واسمه: جارية بن الحَجَّاج:**

وفُتُوّ حسن أوجُهُهم ... من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت في أبيات له.

فأم مُضر وإياد: سَوْدَة بنت عك بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار: شُقَيْقة بنت عك بن عدنان، ويقال: جُمْعة بنت عك بن عدنان.

أولاد أنمار: قال ابن إسحاق: فأنمار[1]: أبو خثعم وبجيلة. قال جرير ابن عبدالله البجلي وكان سيِّد بجيلة، وهو الذي يقول له القائل:

لولا جرير هلكت بُجَيْلة ... نعم الفتى، وبئست القبيلة!!

وهو ينافر[2] الفُرافِصة[3] الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي:

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ ... إنك إن تَصْرع أخاك تُصرعُ[4]

---

(١) وأما أنمار فسمي: بالأنمار جمع نَمِر، كما سُمُّوا بسباع وكلاب، وأم بنيه: بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو: خثعم، وولدت له عبقر في خمسة عشر، سمّاهم أبو الفرج، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم: وداعة وخُزيمة وصُهيبة والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهْم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو أنمار، ويقال: إنّ بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سَمَّينا، ولم تحضن أفتل، وهو: خثعم. فلم يُنْسبْ إليها. كذا في (الروض الأنف ١/٩٧).

(٢) ينافر: أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت: لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفر، وكانوا إذا تنازع الرجلان، وادّعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه، تحاكموا إلى العلاّمة، فمن فضّل منهما قيل: نفره عليه أي: فضّل نفره على نفر الآخر: فمن هذا أخذت المنافرة. وقال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نِفار أو جَلاء

(الروض ١/٩٨).

(٣) الفرافصة بالضم: اسم الأسد، وبالفتح اسم الرجل، وقد قيل: كل فُرافصة في العرب بالضم إلاّ الفَرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح. (الروض ١/٩٨)

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف ١/٩٨: «وجدت في حاشية أبي بحر: قال: الأشهر في الرواية: إن يُصرع أخوك، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط؛ لأنه في نية التقديم عند سيبويه. وهو على إضمار الفاء عند المبرد». أهـ

وقال:

ابْـنَـيْ نـزار انـصـرا أخـاكـمـا   إنّ أبـي وجـدتـه أبـاكـمـا
لن يُغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت، فلحِقت باليمن.

قل ابن هشام: قالت اليمن: وبجيلة: أنمار، بن إراش، بن لحيان، ابن عمرو، بن الغوث، بن نبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقال: إراش، بن عمرو، بن لحيان، بن الغوث. ودار بجيلة وخثعم: يمانية.

ولدا مُضر: قال ابن إسحاق: فولد مُضَر بن نزار رجلين: الياس بن مُضر، وعيلان[1] بن مُضر. **قال ابن هشام:** وأمّهما: جُرهمية[2].

أولاد الياس: قال ابن إسحاق: فولد الياس بن مُضر ثلاثة نفر: مُدركة ابن الياس، وطابخة بن الياس، وقمَعة بن الياس، وأمهم: خندف[3]، امرأة من اليمن.

قال ابن هشام: خندف بنت عمران بن الحاف بن قُضاعة.

---

(١) وأما عَيْلان أخو الياس، فقد قيل: إنه قيس نفسه لا أبوه، وسمي بفرس له اسمه: عيلان، وكان يجاوره قيس كُبَّة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه، فُرِّق بينهما بهذه الإضافة، وقيل: عيلان اسم كلب له. وكان يقال له: الناس، ولأخيه: إلياس. (الروض ١/٩٨ - ٩٩)

(٢) وذكر ابن إسحاق أم الياس، وقال فيها: امرأة من جُرهم، ولم يسمها، وليست من جرهم، وإنما هي الرِّباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبري، وقد قدمنا ذلك في نسب النبي - ﷺ -. كذا في (الروض الأنف ١/٩٨)

(٣) وخِندف التي عُرف بها بنو الياس. وهي التي ضربت الأمثال بحزنها على الياس، وذلك أنها تركت بنيها، وساحت في الأرض تبكيه: حتى ماتت كمداً، وكان مات يوم خميس، وكانت إذا جاء الخميس بكت من أول النهار إلى آخره.

قال الزبير: وإنما نسب بنو الياس لأمهم؛ لأنها حين تركتهم شغلاً لحزنها على أبيهم، رحمهم الناس فقالوا: هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم، وهمّ صغار أيتام، حتى عرفوا ببني خندف. (الروض ١/٩٩) و(فتح الباري ٦/٥٤٨)

قال ابن إسحاق: وكان اسم مدركة عامراً، واسم طابخة عمراً، وزعموا أنهما كانا في إبلٍ لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً، فقعدا عليه يطبخانه، وعَدَتْ عادية على إبلهما، قال عامر لعمرو: أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أطبخ، فلحِق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما، فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: وأنت طابخة[1].

وأما قَمَعة فيزعم نُسّاب مُضر: أنّ خُزاعة من ولد عمرو بن لُحَيّ بن قمعة بن الياس[2].

(١) وفي الخبر زيادة، وهو أن الياس قال لأمهم ـ واسمها ليلى، وأمها: ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التي ينسب إليها: حِمَى ضرية، وقدْ أقبلت تُخَندف في مشيتها: ـ مالك تخندفين؟ فسمت: خندف، والخندفة: سرعة في مشي، وقال لمدركة:

وأنت قد أدركْتَ ما طلبتا

وقال لطابخه:

وأنت قد أنضجت ما طبختا

وقال لقَمَعة وهو عُمير:

وأنت قد قعدت فانقمعتا كذا في (الروض ١/٩٩)

(٢) والأظهر أنه منهم لا والدهم. وأنهم من حِمْير والله أعلم. (السيرة لابن كثير١/٦٤) وانظر (فتح الباري ٦/٥٤٧ ـ ٥٤٨)

حديث عمرو بن لُحَيّ وذِكْر أصنام العرب

عمرو بن لُحَيّ يجرّ قصبه في النار: قال ابن إسحاق: وحـدّثني عبدالله ابن أبي بكر بن محمد بـن عمرو بن حزم[1]، عن أبيه[2] قال:

حُدِّثت أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قـال: «رأيت عمرو بن لُحَيّ يجـر قُصْبَه[3] في النار فسألته عمّن بيني وبينه من الناس؟ فقال: هلكوا»[4].

---

(١) هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمـرو بن حزم الأنصـاري، أبو محمـد ـ ويقال: أبـو بكر المدني.

قال مالك: كان كثير الأحاديث، وكان رجل صدق.

وقال أحمد: حديثه شفاء.

وقال ابن معـين وأبو حاتم: ثقة.

وقال النسائي: ثقة ثبت.

مـات سنة خمس وثـلاثين ومـائة، ويقـال سنة ثـلاثين ومـائـة. (التهـذيب ٥/١٦٤ ـ ١٦٥ والتقريب ١/٤٠٥)

(٢) وهو أبو بكر بن محمد بن عمـرو بن حزم الأنصـاري البخاري، المـدني القاضي، اسمـه وكنيته واحـد، وقيل: إنـه يكنى أبا محمـد، ثقة عـابد، مـات سنة عشرين ومـائة. وقيـل غير ذلـك. (التقريب ٢/٣٩٩ والتهذيب ١٢/٣٨ ـ ٤٠).

(٣) أي أمعاءه.

(٤) رواية ابن إسحاق هذه مرسلة. والحديث قد رواه البخاري في كتاب المنـاقب، باب (٩) قصـة خزاعة، حديث رقم (٣٥٢١) ٦/٥٤٧ وفي كتاب التفسير، سورة المائدة، بـاب (١٣) حديث رقم (٤٦٢٣) ٨/٢٨٣. ومسلم في كتاب الجنة، باب (١٣) النار يـدخلها الجبـارون، حديث =

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي[1]، أنّ أبا صالح السّمان[2]، حدّثه أنه سمع أبا هريرة ـ قال ابن هشام: واسم أبي هريرة: عبدالله بن عامر، ويقال اسمه: عبدالرحمن بن صخر[3] ـ يقول:

سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لأكثم بن الجَوْن الخُزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمعَة بن خِندف يجرّ قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه». فقال أكثم: عسى أن يضرّني شبَهه يا رسول الله؟ قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البَحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحَمَى الحامي»[4].

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب: قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم أنّ عمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما

= رقم (٢٨٥٦) ٤/٢١٩١ ـ ٢١٩٢. وأحمد ٢/٢٧٥ ـ ٣٦٦ و٣/٣١٨ ـ ٣٥٣ ـ ٣٧٤ و٥/١٣٧ وفتح الباري ٦/٥٤٨ ـ ٥٤٩

(١) هو محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي أبو عبدالله المدني. رأى سعد بن أبي وقاص. قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن خراش: ثقة. وقال ابن سعد: قال محمد بن عمرو: كان محمد بن ابراهيم يكنى أبا عبدالله، توفي سنة عشرين ومائة، وكان ثقة كثير الحديث. وقال العقيلي: عن عبدالله بن أحمد عن أبيه: في حديثه شيء يروي أحاديث مناكير ـ أو منكرة. (التهذيب ٩/٥ ـ ٧)

وقال في التقريب ٢/١٤٠: «ثقة له أفراد» أهـ.

(٢) هو ذكوان، أبو صالح السمان الزيات، المدني، ثقة ثبت. وكان يجلب الزيت الى الكوفة، مات سنة إحدى ومائة» أهـ.

(٣) أنظر الخلاف في اسمه وترجمته في التهذيب ١٢/٢٦٢ ـ ٢٦٧. والتقريب ٢/٤٨٤ والإصابة.

(٤) عزاه ابن حجر في الفتح ٦/٥٤٩ لابن إسحاق في السيرة الكبرى، وقال: ووقع لنا بعلو في (المعرفة) وعند ابن مردويه من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه نحوه، وللحاكم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي عن أبي هريرة. ولكنه قال: عمرو بن قمعة، فنسبه الى جده» أهـ.

وذكره أيضاً ابن كثير في السيرة له ١/٦٥ وقال: «ليس في الكتب من هذا الوجه».

وقد رواه ابن جرير عن هنّاد بن عبدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ بنحوه أو مثله، وليس في الكتب أيضاً أهـ.

قدِم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ـ وهم ولد عملاق. ويقال: عِمْليق، بن لاوذ، بن سام، بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له: هُبَل، فقدِم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[1].

سبب عبادة الأصنام: قال ابن إسحاق: ويزعمون أنّ أول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفُسَح في البلاد، إلّا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخُلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل

---

(١) وكان عمرو بن لُحَيّ حين غلبت خُزاعة على البيت، ونفت جُرهم عن مكة، قد جعلته العرب ربّاً لا يبتدع لهم بدعة إلّا اتّخذوها شرعة؛ لأنه كان يطعم الناس، ويكسو في الموسم، فربّما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلّة، حتى ليقال: إنه اللّاتّ الذي: يلتّ السويق للحجيج على صخرة معروفة تُسمّى: صخرة اللات، ويقال: إنّ الذي يلتّ كان من ثقيف، فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها، وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى: اللات، ويقال: دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة؛ فلما هلك سُمّيت تلك الصخرة: اللات مخففة التاء، واتُّخذ صنماً يعبد، وقد ذكر ابن إسحاق؛ أنه أول من أدخل الأصنام الحرم، وحمل الناس على عبادتها.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٤٩/٦ سبباً آخر غير الذي ذكره ابن هشام لعبادة عمرو بن لحي الأصنام فقال: «وذكر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي أن سبب ذلك أن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له: أبو تمامة. فأتاه ليلة فقال: أجب أبا تمامة.

فقال: لبيك من تهامة.

فقال: ادخل بلا ملامة

فقال: ايت سيف جدة، تجد آلهة معدة، فخذها ولا تهب، وادعُ إلى عبادتها تجب.

قال فتوجه إلى جدة فوجد الأصنام التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس، وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فحملها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب.» أهـ. وانظر (السيرة لابن كثير ٦٢/١)

غيـرَه، فعبـدوا الأوثـان، وصـاروا إلى مـا كـانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحجّ والعُمرة والوقوف على عَرفة والمُزْدَلِفة، وهَدْي البُدْن، والإهلال بالحجّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه. فكـانت كِنانة وقريش إذا أَهَلُّوا قالوا: «لَبَّيك اللهم لَبَّيك، لبّيك لا شريك لـك، إلا شريك هو لك، تملكـه وما ملك»، فيوحّدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده. يقـول الله تبـارك وتعـالى لمحمد ـ ﷺ ـ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] أي: ما يوحّدونني لمعرفة حقّي إلّا جعلوا معي شريكاً من خلقي[2].

أصنام قوم نوح: وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها، قصَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خبرها على رسـول الله ـ ﷺ ـ فقال: ﴿وَقَالُوا: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، آية رقم /١٠٦.

(٢) وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك، لا شريك لك لبيك، حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثّل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلّا شريكاً هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما مَلَك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب. أنظر (الروض ١٠٢/١ وسيرة ابن كثير ٦٣/١)

(٣) سورة نوح، آية رقم /٢٣ ـ ٢٤.

وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله: ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولى﴾. وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْنان فيما ذكروا. وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصاباً، وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا؛ فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسخ العلم عُبدت».

وذكر الطبري هذا المعنى وزاد: أنّ سُواعاً كان: ابن شيث، وأن يغوث كان: ابن سُواع، وكذلك يعوق ونَسْر، كلّما هلك الأول صوّرت صورته، وعُظمت لموضعه من الدين، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف، وقالوا: ما عظم هؤلاء =

فكان الذين اتّخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل: هُذَيل بن مُدركة بن الياس بن مُضَر، اتّخذوا سُواعاً، فكان لهم برهاط[1]. وكلب بن وبرة من قُضاعة، اتّخذوا وَدّا بدُومَة الجندل.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك الأنصاري:

ونـنـسـى الـلات والـعُـزى ووَدّا ونسْلبُهـا القـلائـد والـشُّنُـوفَـا[2]

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله.

قال ابن هشام: وكلب بن وَبْرة، بن تغلب، بن حُلوان، بن عمران، ابن الحاف، بن قُضاعة.

عبّاد يغوث: قال ابن إسحاق: وأنْعم من طَيٍّء، وأهل جُرش من مَذحج اتّخذوا يغوث بجرش.

قال ابن هشام: ويقال: أنعَم. وطَيٍّء بن أدد بن مالك، ومالك: مَذْحِج بن أُدَد، ويقال؛ طَيٍّء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

عُبّاد يعوق: قال ابن إسحاق: وخَيْوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن.

قال ابن هشام: وقال مالك بن نمط الهمداني[3]:

= آباؤنا إلّا لأنها ترزق وتنفع وتضرّ، واتّخذوها آلهة. وهذه أسماء سريانية وقعت إلى الهند، فسمّوْا بها أصنامهم، التي زعموا أنها صور الدراري السبعة، وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي كما ذكر أو غيره، وعلمهم تلك الأسماء؛ وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح. (الروض الأنف ١/١٠٣)

(١) رهاط: من أرض ينبع.

(٢) الشنوفا: مفرده شنف: القرط.

(٣) وهو: أبو ثور، يلقب: ذا المِشْعَار، وهو من بني خارف، وقد قيل: إنه من يام بن أصي؛ وكلاهما من همدان. كذا في (الروض ١/١٠٣)

يــريش الله فــي الــدنيــا ويَبْــري ولا يــبــرى يــعــوقُ ولا يــريش[1]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: اسم همدان: أو سْلَة بن مالك، بن زيد، بن ربيعة، ابن أوسلة، بن الخيار، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقال: أوسلة بن زيد، بن أوسلة، بن الخيار. ويقال: همدان بن أوسلة، بن ربيعة، بن مالك، بن الخيار، بن مالك، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ.

عُبَّاد نَسْر: **قال ابن إسحاق**: وذو الكلاع من حِمْيَر، اتّخذوا نَسراً بأرض حِمْيَر.

عباد عميانس: وكان لخولان صنم يقال له: عُميانِس[2] بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حقّ عميانس من حق الله تعالى الذي سمّوه له تركوه له، وما دخل في حقّ الله تعالى من حقّ عميانس ردّوه عليه. وهم بطن من خولان، يقال لهم: الأديم، وفيهم أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما يذكرون: **﴿وَجَعَلُوا لله مَمَّا ذَرأَ مِنَ ٱلحَرْثِ وَٱلانْعَامِ نَصِيباً، فَقَالُوا: هٰذا لله بزَعْمِهِمْ، وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا، فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَىٰ ٱلله، وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾**[3].

قال ابن هشام: خوْلان بن عمرو، بن الحاف، بن قُضاعة، ويقال: خولان، بن عمرو، بن مُرّة، بن أدد، بن زيد، بن مِهسَع، بن عمرو، بن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ. ويقال: خولان بن عمرو، بن سعد العشيرة، بن مَذحِج.

---

(١) هو من رِشتُ السهم وبريته، استعير في النفع والضرّ. قال سويد:

فَرِشْني بخير طالما قد بَرَيْتَنِي وخير الموالي من يريش ولا يبري

انظر (الروض ١/١٠٣)

(٢) وكذا في الأصنام لابن الكلبي، وفي السيرة لابن كثير ١/٦٩: عم أنس.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٣٦، وانظر السيرة لابن كثير ١/٦٩.

عبّاد سعد: قال ابن إسحاق: وكان لبني مِلْكان ـ بن كِنانة، بن خُزيمة، بن مُدْرِكة، بن الياس، بن مُضَر ـ صنم، يقال له: سعد: صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مُؤَبَّلة؛ ليقِفَها عليه، التماس بركته ـ فيما يزعم ـ فلما رأته الإبل، وكانت مَرْعِيَّة لا تُرْكَب، وكان الصنم يُهراق عليه الدماء نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني، فأخذ حجراً فرماه به، ثم قال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد، ليجمع شملنا ... فَشَتَّتَنَا سعدٌ، فلا نحن من سَعْد
وهل سَعْدُ إلا صخرةٌ بتَنُوفَةٍ[1] ... من الأرض لا تدعو لغيّ ولا رُشْد

دَوس وصنمهم: وكان في دَوْس صنم لعمرو بن حُمَمة الدوسي[2].

قال ابن هشام: سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله.

ودوس بن عُدثان، بن عبدالله، بن زهران، بن كعب، بن الحارث، ابن كعب، بن عبدالله، بن مالك، بن نصر، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: دوس بن عبدالله، بن زهران، بن الأسد، بن الغوث.

عبّاد هُبَل: قال ابن إسحاق: وكانت قريش قد اتّخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له: **هُبَل**[3].

قال ابن هشام: سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه.

إساف ونائلة: قال إبن إسحاق: واتّخذوا إسافاً ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم ـ هو:

---

(١) بتنوفة: بأرض جرداء.

(٢) انظر سيرة ابن كثير ١/٦٩.

(٣) وأما هُبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت، وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة. وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها النبي ـ ﷺ ـ عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها، وتنادي بالويل والثبور... (الروض ١/١٠٥).

إسـاف بن بَغْي ونـائلة بنت دِيـك ـ فـوقـع إسـاف على نـائلة في الكعبـة: فمسخهما الله حجرين[1].

حديث عائشة عن إساف ونائلة: قال إبن إسحـاق: حدّثني عبـدالله بن أبي بكر بن محمد بـن عمرو بن حزم، عن عَمرة بنت عبد الرحمن بن سعد ابن زُرارة، أنها قالت: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: ما زلنا نسمـع أنّ إسافاً ونائلة كانا رجلاً وامـرأة من جُرْهم، أُحْـدَثا[2] في الكعبـة: فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْنِ. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث يُنِيــخُ الأشْعَــرُونَ ركــابَهُــمْ   بِمُفْضَى السيـول من إسافٍ ونـائـلِ

قال ابن هشام: وهـذا البيت في قصيدة لـه، سأذكـرها في مـوضعها إن شاء الله تعالى.

فعل العرب مـع أصنامهم: قـال ابن إسحاق: واتّخـذ أهلُ كـل دارٍ في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجلُ منهم سفراً تمسّح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه إلى سفره، وإذا قَدِمَ من سفره تمسّح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبـل أن يدخـل على أهله، فلما بعث الله رسـولَه محمـداً ـ ﷺ ـ بـالتوحيـد، قالت قـريش: أَجَعَلَ الآلهَـة إلهـاً واحـداً، إنّ هـذا لشيء عُجاب.

---

(١) وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف: ما أمهلهما الله إلى أن يفجرا فيهـا، ولكنه قَبَّلها، فمسخا حجرين، فأخرجا إلى الصفا والمروة، فنصبا عليهما، ليكونا عبـرة وموعـظة، فلمـا كان عمـرو بن لحي نقلهما إلى الكعبـة، ونصبهما على زمـزم، فطاف النـاس بالكعبـة وبهمـا، حتى عُبـدا من دون الله. أنـظر (الـروض الأنف ١/١٠٥ وسيـرة ابن كثيـر ١/٦٩ ـ ٧٠).

(٢) أرادت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الحدث الذي هو الفجـور كما قـال ـ عليه السـلام ـ : «من أحدث حدثاً، أو آوى محدثـاً، فعليه لعنـة الله» وقال عمـر ـ حين كانت الـزلزلـة بالمـدينة: أحدثتم. والله لئن عادت لأخرجنّ من بين أظهركم. (الروض ١/١٠٦)

الطواغيت: وكانت العرب قد اتّخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة، لها سدَنَة وحُجَّاب، وتُهدِي لها كما تهدي للكعبة، وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العُزَّى وسَدَنتها وحجّابها: فكانت لقريش وبني كِنانة: العُزَّى بنخلة، وكان سَدَنتها وحجّابها بنو شيبان من سُليم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن هشام: حلفاء بني أبي طالب خاصة، وسُليمٌ: سليم، بن منصور، بن عِكرِمة، بن خصفة، بن قيس، بن عيلان.

قال ابن إسحاق: فقال شاعر من العرب:

لقد أُنكحتْ أسماء رأس بُقَيْرة ... من الأُدْم أهداها امرؤ من بني غنمْ
رأى قدعاً في عينها إذ يسوقها ... إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوسَّع في القَسْمِ[1]

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قسموه في مَنْ حضرهم. والغبغب: المنحر، ومُهراق الدماء.

قال ابن هشام: وهذان البيتان لأبي خراش الهُذلي واسمه: خُويلد بن مرة في أبيات له.

من هم السَّدَنة: والسدنة: الذين يقومون بأمر الكعبة. قال رؤبة بن العَجَّاج:

---

(١) والقدع: ضعف البصر من إدمان النظر.
وقوله في الغبغب: وهو المنحر ومراق الدم، كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم: بئر بُغبغ وبغيبغ إذا كانت كثيرة الماء. قال الراجز:
بُغيبغ قصيرة الرِّشاء
ومعنى هذا البيت: الذم كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١٠٦ ـ ١٠٧)، وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلّا للذبح والقسم.

فـلا وربّ الآمـنـات الـقـطَّن   يعمـرن أمنـاً بـالحـرام المـأمن
بمحبس الهدي وبيت المَسدن

وهـذان البيتان في أرجـوزة له، وسـأذكر حـديثها إن شـاء الله تعالى في موضعه.

اللات وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحُجّابها بنو معتِّب من ثقيف.

قال ابن هشام: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

مناة وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت مَناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْد.

قال ابن هشام: وقال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن مدركة:

وقـد آلت قبـائـل لا تُـوليّ   مَنَـاةَ ظهـورهـا متحـرّفينـا

وهذا البيت في قصيدة له.

هدم مناة: قال ابن هشام: فبعث رسولُ الله ـ ﷺ ـ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها، ويقال: عليّ بن أبي طالب.

ذو الخلصة وعُبّاده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكان ذو الخَلَصَة لِدَوْس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالة.

قال ابن هشام: ويقال: ذو الخُلُصة. قال رجل من العرب:

لـو كنت يـا ذا الخلص المـوتـورا   مثلي وكـان شيخـك المقبـورا
لم تنه عن قتل العُداة زورا

قال: وكان أبوه قُتل، فأراد الطلب بثأره، فأتى ذا الخُلَصة، فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنهيه عن ذلك، فقال هذه الأبياتِ. ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْديّ، فبعث إليه رسول الله ـ ﷺ ـ جرير

ابن عبد الله البجلي، فهدمه[1].

فِلْس وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت فِلْس[2] لطيء ومن يليها بجبلي طيء، يعنى سَلْمى وأجأ.

قال ابن هشام: فحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله - ﷺ - بعث إليها علي بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما: الرَّسوب، وللآخر: المُخْذَم. فأتى بهما رسول الله - ﷺ - فوهبهما له، فهما سيفا علي رضي الله عنه.

رئام: قال ابن اسحاق: وكان لِحِمْيَر وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام.

قال ابن هشام: قد ذكرت حديثه فيما مضى.

رضاء وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة، ابن كعب، بن سعد، بن زيد مَناة، بن تميم، ولها يقول المستوغر بن

---

(١) أنظر قصة بعث النبي - ﷺ - لجرير من أجل هدم ذي الخلصة الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب (١٥٤) حرق الدور والنخيل، حديث رقم (٣٠٢٠) ٦/ ١٥٤. وباب (١٩٢) البشارة في الفتوح، حديث رقم (٣٠٧٦) ٦/ ١٨٩. وفي كتاب المغازي، باب (٦٢) وفي كتاب الأدب، باب (٦٨) وفي كتاب الدعوات، باب (١٩). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب (٢٩) من فضائل جرير بن عبدالله رضي الله تعالى عنه. حديث رقم (٢٤٧٥ - ٤٥٧٦)، ٤/ ١٩٢٥ - ١٩٢٦. والترمذي في كتاب المناقب، باب (٤٧) وابن ماجة في المقدمة، باب (١١). وأحمد في المسند ١/ ١٠٩ و٤/ ٢١٦ - ٣٦٢ - ٣٦٥ وفيه: ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده على صدري وقال: اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً. . . وانظر ترجمة جرير بن عبدالله رضي الله عنه في الإصابة ١/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه، وهو: أجأ بن عبد الحي، وكان فَجَرَ بسلمى بنت حام، أو اتُّهم بذلك، فصُلبا في ذينك الجبلين، وعندهما جبل يقال له: العوجاء، وكانت العوجاء حاضِنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلبت في الجبل الثالث، فسمي بها. كذا في (الروض ١/ ١٠٧، ١٠٨ والسيرة لابن كثير ١/ ٧٠).

ربيعة، بن كعب، بن سعد، حين هدمها في الإسلام:

ولقد شُدَدْتُ عَلَى رُضَاءٍ شَدَّةً ... فتركتُها بِقَاعٍ أسْحَمَا

قال ابن هشام: قوله:

فتركتها قفراً بقاع أسحما

عن رجل من بني سعد.

عمر المستوغر[1]: ويقال: إنّ المستوغر عمّر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وكان أطول مُضَرٍ كلّها عُمْراً، وهو الذي يقول:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولِها ... وعَمَرْتُ من عَدَدِ السنين مئينا

مائة حَدَتْها بعدها مئتان لي ... وازددتُ من عَدَد الشهور سنينا

هل ما بَقِيَ إلا كما قد فاتنا ... يومٌ يَمُرُّ وليلةٌ تَحْدُونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي[2].

ذو الكعبات وعُبّاده: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابْني وائل وإياد بِسَنْداد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورْنَق والسدير وبارقٍ ... والبيتِ ذي الكعبات من سِنْدادِ[3]

---

(١) ذكر القتبي أنّ المستوغر حضر سوق عكاظ، ومعه ابن ابنه، وقد هرم، والجد يقوده، فقال له رجل: ارفق بهذا الشيخ، فقد طال ما رفق بك، فقال: ومن تراه؟ فقال: هو أبوك أو جدك، فقال: ما هو إلاّ ابن ابني، فقال: ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة! فقال: أنا المستوغر. انظر (الروض الأنف ١/ ١٠٩).

(٢) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة ـ أو عُذْرة ـ بن زيد اللات، بن رفيدة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة. وزهير هذا من المعمَّرين، وهو الذي يقول:

أبُنَيَّ إنْ أهلك فإنّي ... قد بنيت لكم بنيّه

وتركتكم أولاد سادا ... ت زنادهم وريّه

من كل ما نال الفتى ... قد نلته إلاّ التحيّه

انظر (الروض ١/ ١٠٩ ـ ١١٠ وسيرة ابن كثير ١/ ٧٢).

(٣) الخورنق: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور، ليكون ولده فيه عنده، وبناه بنياناً =

قال ابن هشام: وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي. نهشل بن دارم، بن مالك، بن زيد، مناة، بن تميم، في قصيدة له، وأنشدنيه أبو مُحْرز خَلَفُ الأحمر:

أهل الخورنق والسدير وبارق   والبيت ذي الشرفات من سنداد

البَحِيرة والسائبة والموصيلة والحامي

قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهي: بنت السائبة، والسائبة: الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهنّ ذكر، سُيبت فلم يُركب ظهرها، ولم يجزّ وبرها، ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنها، ثم خُلّي سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فُعل بأمّها، فهي البَحِيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أتأمت[1] عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهنّ ذَكَر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلاّ أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورهم وإناثهم.

قال ابن هشام: ويروى: فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم.

= عجمياً لم تَرَ العربُ مثلَهُ، واسم الذي بناه له: سنمار، وهو الذي رُدِّي من أعلاه، حتى قالت العرب: جزائي جزاء سنمار، وذلك أنه لما تم الخورنق، وعجب الناس من حسنه، قال سنمار: أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت، فقال له الملك: أإنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا؟ وغارت نفسه أن يبتني لغيره مثله، وأمر به فطرح من أعلاه، وكان بناه في عشرين سنة...

ومعنى السدير بالفارسية: بيت الملك. يقولون له: «سِهدليّ» أي: له ثلاث شعب، وقال البكري: سمي السدير؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه، فتسدر من علوه، يقال: سدر بصره إذا تحير. والكعبات: المربعة، وكل بناء مربع فهو كعبة. كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١١١ وانظر سيرة ابن كثير ١/٧٢ ـ ٧٣).

(١) أتأمت: جاءت باثنين في بطن واحد.

قال ابن إسحاق: والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذَكَر، حمى ظهره فلم يركب، ولم يجز وبره، وخُلِّيَ في إبله يَضرب فيها، لا يُنتفع منه بغير ذلك.

ابن هشام يخالف ابن إسحاق: قال ابن هشام: وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق[1]. فالبَحِيرة عندهم: الناقة تُشقّ أذنها فلا يُرْكب ظهرها، ولا يُجَزّ وبرها، ولا يَشْرب لبنها إلا ضَيْفٌ، أو يتصدّق به، وتهمل لآلهتهم. والسائبة: التي ينذر الرجل أن يسيبها إن بريء من مرضه وإن أصاب أمراً يطلبه. فإذا كان أساب ناقة من إبله، أو جملاً لبعض آلهتهم، فسابت فرعت لا ينتفع بها. والوصيلة: التي تلد أمُّها اثنين في كل بطن، فيجعل صاحبهما لآلهته الإناث منها، ولنفسه الذكور: فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن، فيقولون: وصلت أخاها؛ فيسيب أخوها معها، فلا يُنتفع به.

قال ابن هشام: حدّثني به يونس بن حبيب النحْوي[2] وغيره. روى بعضٌ ما لم يَرْو بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ـ ﷺ ـ

---

(١) انظر في معنى هذه الألفاظ مجاز القرآن ١/١٧٧ ـ ١٨١، وفتح الباري ٨/٢١٣. والمفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٧ وص ١٣٢ ـ ١٣٣ وتفسير ابن كثير ٢/١٠٧ ـ ١٠٨ وغير ذلك من كتب التفسير الأخرى.

(٢) هو يونس بن حبيب بالولاء، المعروف بالنحوي. ولد سنة ٩٠ هـ، وقيل ٨٠ هـ، وقيل رأى الحجاج، عاش ١٠٢ سنة، وقيل غير ذلك.
يُكْنىٰ أبا عبد الرحمن، أديب نحوي، عالم بالشعر، عارف بطبقات شعراء العرب، من قرية الجبل على دجلة بين بغداد وواسط.
أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم. وكانت له حلقة بالبصرة يرتادها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية. وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها، من تصانيفه: كتاب معاني القرآن الكبير، اللغات، النوادر، الأمثال، ومعاني الشعر. انظر وفيات الأعيان ٢/٥٥١ ـ ٥٥٢ معجم الأدباء ٢٠/٦٤ ـ ٦٧ وشذرات الذهب ١/٣٠١ ـ ٣٠٢ والاعلام ٩/٣٤٤ ومعجم المؤلفين ١٣/٣٤٧.

أنـزل عليه: ﴿مَـا جَعَلَ آللهُ مِنْ بَحِيـرَةٍ، وَلا سَائِبَـةٍ، وَلا وَصِيلَةٍ، وَلا حَـامٍ، وَلٰكِنَّ آلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَىٰ آللهِ آلْكَذِبَ، وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا: مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ آلأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ، سَيَجْزِيهُمْ وَصْفَهُمْ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وأنزل عليه: ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً، قُلْ: آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَىٰ آللهِ تَفْتَرُونَ﴾[3].

وأنزل عليه: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، ومِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ. قُلْ: آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ، أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأنثيينِ، نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ آلإبلِ اثْنَيْنِ، ومِنَ آلبَقَـرِ اثْنَيْنِ. قُلْ: آلـذَّكَرَيْنِ حَـرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ، أَمَّـا اشْتَمَلَتْ عَلَيْـهِ أَرْحَـامُ الأُنْثَيَينِ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَـدَاءَ إِذْ وَصَّـاكُمُ آللهُ بِهٰذا. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللهِ كَذِباً لِيُضِـلَّ آلنَّاسَ بِغَيْـرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ﴾[4].

البَحيرة والوصيلة والحامي لغة: قال ابن هشام: قال الشاعر:

حُولُ الوصائل في شُرَيف حِقَّة　　　والحاميات ظهورها والسُّيَّب

وقال تميم بن أبيّ بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة:

فيه من الأخرج المِرباعِ قَرْقَرة　　　هَدْرَ الدّيافِيّ وسط الهجمة البُحُر[5]

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٥٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٥) المرباع: هو الفحل الذي يبكر بالإلقاح.

يصف في هذا البيت حمار وحش يقول: فيه من الأخرج، وهو: الظليم الذي فيه بياض وسواد، أي: فيه منه قَرْقَرَةٌ أي: صوت وهدر مثل هـدر الدّيـافي أي: الفحل المنسوب إلى دياف بلد بالشام، والهجمة من الإبل: دون المائـة، وجعلها بُحـراً لأنها تـأمن من الغارات، =

وهذا البيت في قصيدة له. وجمع بَحيرة: بحائر وبُحر. وجمع وصيلة: وصائل ووصل. وجمع سائبة الأكثر: سوائب وسُيَّب، وجمع حام الأكثر: حوام.

= يصفها بالمنعة والحماية، كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر. ورأيت في شعر ابن مقبل: من الأخرج المرياع بالياء أخت الواو، وفسره في الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة، كما قال طرفة: «تريع إلى صوت المهيب وتتقي». والنفس إلى الرواية الأولى أسكن. قاله في (الروض ١/١١٣).

عَوْد إلى النَّسَب

نسب خُزاعة[1]: **قال ابن إسحاق**: وخُزاعة تقول: نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن.

قال ابن هشام: وتقول خُزاعة: نحن بنو عمرو، بن ربيعة، بن حارثة، ابن عمرو، بن عامر، بن حارثة، بن امرىء القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسد، بن الغوث، وخِنْدَف[2] أمنا، فيما حدّثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم. ويقال: خُزاعة: بنو حارثة بن عمرو بن عامر. وإنما سُمّيت خُزاعة، لأنهم تخزَّعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمرِّ الظَّهْران، فأقاموا بها. قال عوف بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلَمَة من الخزرج في الإسلام:

فلما هبطنا بطن مَر[3] تخزّعت ... خُزاعة منّا في خيول كَرَاكِر[4]

---

(١) انظر في نسب خزاعة، والاختلاف فيه، فتح الباري ٦/٥٤٧ ـ ٥٤٨.

(٢) خندف ـ بكسر المعجمة وسكون النون وفتح الدال بعدها فاء: اسم امرأة الياس بن مضر، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. لقبت بخندف لمشيتها، والخندفة: الهرولة. انظر (فتح الباري ٦/٥٤٨). وقد سبق ذكر سبب اشتهار بنيها بالنسبة اليها دون أبيهم.

(٣) يريد: مَرَّ الظهران، وسمي: مراً لأن في عرق من الوادي من غير لون الأرض شبه (الميم) الممدودة، وبعدها (را) خلقت كذلك، ويذكر عن كثير أنه قال: سميت: مراً لمرارتها.

(٤) الخيول الكراكر: المجتمعة.

حمت كل واد من تِهامة واحتمت | بصُمّ القَنا والمرهفات البواتر
وهذان البيتان في قصيدة له.

وقال أبو المطهَّر إسماعيل بن رافع الأنصاري، أحد بني حارثة، بن الحارث، بن الخزرج، بن عمرو، بن مالك، بن الأوس:

فلما هبطنا بطنَ مكة أحمدت | خُزاعة دار الآكل المتحامل
فحلَّت أكاريساً، وشنّت قنابلاَ | على كلّ حيّ بين نجد وساحل
نَفَوا جُرهماً عن بطن مكة، واحتَبوا | بِعزٍّ خُزاعيّ شديد الكواهل

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جُرهماً في موضعه.

أولاد مدركة وخُزيمة: قال ابن إسحاق: فولد مُدركة بن الياس رجلين: خُزيمة بن مُدركة، وهُذيل بن مدركة، وأمهما: امرأة من قُضاعة. فولد خُزيمة بن مُدركة أربعة نفر: كِنانة بن خُزيمة، وأسد بن خُزيمة، وأسدة ابن خُزيمة، والهُون بن خُزيمة. فأم كِنانة: عَوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر.

قال ابن هشام: ويقال الهوْن بن خُزيمة.

أولاد كِنانة وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد كِنانة بن خُزيمة أربعة نفر: النضر بن كنانة، ومالك بن كِنانة، وعبد مَناة بن كِنانة، ومِلْكان بن كِنانة[1]. فأم النضر: بَرّة بنت مُرّ، بن أد، بن طابخة، بن الياس، بن مُضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: أم النضر ومالك وملكان: بَرة بنت مُرّ، وأم عبد مَناة: هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة. وشنوءة: عبدالله بن كعب بن

---

(١) وزاد الطبري في ولد كنانة: عامراً والحارث والنضير وغَنْماً وسعداً وعوفاً وجرول والحدال وغَزْوان. انظر (الروض الأنف ١/١١٥ والسيرة لابن كثير ١/٨٢ ـ ٨٣).

عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث، وإنّما سُمّوا شنوءة؛ لشنآنٍ كان بينهم. والشنآن: البُغْض.

من يُطْلَق عليه لقب قرشي[1]**: قال ابن هشام**: النضر: قريش، فمن كان من ولده فهو قُرشيّ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرشيّ.

قال جرير بن عطية أحد بني كُليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان:

فما الأم التي ولدت قريشاً بمقرفة النجار ولا عقيم[2]
وما قرم بأنجب من أبيكم وما خال بأكرم من تميم[3]

يعني: بَرّه بنت مُرّ، أخت تميم بن مر، أم النضر. وهذان البيتان في قصيدة له.

ويقال: فِهْر بن مالك: قريش، فمن كان من ولده فهو قُرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي. وإنّما سُمّيت قريش قريشاً من التقرّش[4]،

---

(١) قريش: هم ولد النضر بن كنانة، وبذلك جزم أبو عبيدة. أخرجه ابن سعد عن أبي بكر بن الجهم. وروي عن هشام بن الكلبي عن أبيه: كان سكان مكة يزعمون أنهم قريش دون سائر بني النضر حتى رحلوا إلى النبي - ﷺ - فسألوه: من قريش؟

قال: من ولد النضر بن كنانة.

وقيل: إن قريشاً هم ولد فهر بن مالك بن النضر وهذا قول الأكثر، وبه جزم مصعب قال: ومن لم يلده فهر فليس قريشاً. وقد قال مثله ابن الكلبي. انظر (فتح الباري ٦/٥٣٤).

(٢) المقرفة: اللئيمة. والنجار: الأصل.

(٣) القرم هنا: السيد من الرجال.

(٤) قيل: أول من نسب إلى قريش قصيّ بن كلاب. فروى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير: متى سميت قريش قريشاً؟

قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها.

فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي، ولم يسمَّ أحد قريشاً قبله. وروى ابنُ سعد من طريق المقداد: لما فرغ قصي من نفي خزاعة من الحرم تجمّعت إليه قريش فسميت يومئذ قريشاً لحال تجمّعها. والتقرش: التجمع.

٢ - وقيل: لتلبّسهم بالتجارة.

٣ - وقيل: لأن الجد الأعلى جاء في ثوب واحد متجمعاً فيه، فسمي قريشاً.

والتقرّش: التجارة والاكتساب. قال رؤبة بن العَجّاج:

قد كان يغنيهم عن الشُّغُوش وَالخشْل من تساقط القروش
شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام: والشُّغوش: قمح يسمى: الشغوش. والخشل: رؤوس الخلاخيل والأسورة ونحوه[1]. والقروش: التجارة والاكتساب، يقول: قد كان

= ٤ ـ وقيل: من التقرش: وهو أخذ الشيء أولاً فأولاً. وقد أكثر ابن دحية من نقل الخلاف في سبب تسمية قريش قريشاً، ومن أول من تسمّى به.

وحكى الزبير بن بكار عن عمه مصعب: أن أول من تسمى قريشاً قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، وكان دليل بني كنانة في حروبهم، فكان يقال: قدمت عير قريش، فسميت قريش به قريشاً. وأبوه صاحب بدر: الموضع المعروف.

٥ ـ وقال المطرزي: سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس. قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي جناحين ريشاً
هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشاً
ولهم آخر الزمان نبيٌّ يكثر القتل فيهم الخموشاً

وقال صاحب (المحكم): قريش دابة في البحر، لا تدع دابة في البحر إلاّ أكلتها، فجميع الدواب تخافها. وأنشد البيت الأول.

قلت: والذي سمعته من أفواه أهل البحر: القِرْش ـ بكسر القاف وسكون الراء ـ لكن البيت المذكور شاهد صحيح، فلعله من تغيير العامة. فإن البيت الأخير من الأبيات المذكورة يدلّ على أنه من شعر الجاهلية، ثم ظهر لي أنه مصغّر القِرش الذي بكسر القاف.

وقد أخرج البيهقي من طريق ابن عباس قال: قريش تصغير قرش، وهي دابة في البحر لا تمرّ بشيء من غث ولا سمين إلاّ أكلته.

٦ ـ وقيل: سمي قريشاً لأنه كان يقرش عن خلّة الناس وحاجتهم ويسدّها. والتقريش: هو التفنيش.

٧ ـ وقيل: سموا بذلك لمعرفتهم بالطعان، والتقريش: وقع الأسنة.

٨ ـ وقيل: التقرش: التنزه عن رذائل الأمور.

٩ ـ وقيل: هو من أقرشت الشجة: إذا صدعت العظم ولم تهشمه.

١٠ ـ وقيل: أقرش بكذا: إذا سعى فيه فوقع له. وقيل غير ذلك. انظر (فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ٦/ ٥٣٤ والروض الأنف ١١٦ ـ ١١٧).

(١) ويقال: الخشل: حمل شجر الدوم، والقروش: ما تساقط من حتاته وتقشر منه.

يغنيهم عن هذا شحم ومحض، والمحض: اللبن الحليب الخالص.

وهذه الأبيات في أرجوزة له. وقال أبو جلدة اليشكُري، ويشكر: بن بكر بن وائل:

إخوة قَرّشوا الذنوب علينا   في حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: ويقال. إنّما سُمّيت قريش قريشاً: لتجمّعها من بعد تفرّقها. ويقال للتجمّع: التقرش.

أولاد النضر وأمهاتهم: فولد النضر بن كِنانة رجلين: مالك بن النضر، ويخلد بن النضر، فأم مالك: عاتكة بنت عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ولا أدري أهي أم يخلد أم لا؟

قال ابن هشام: والصلت بن النضر - فيما قال أبو عمرو المدني - وأمّهم جميعاً: بنت سعد بن ظَرِب العَدْواني. وعدوان: بن عمرو بن قيس ابن عيلان. قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن - وهو كثير عزّة أحد بني مُلَيح بن عمرو، من خُزاعة:

أليس أبي بالصلت لم ليس إخوتي   لكل هجّان من بني النضر أزهرا[1]
رأيت ثياب العَصْب مختلط السَّدَى   بنا وبهم والحضرمي المُخَصَّرا[2]
فإن لم تكونوا من بني النضر، فاتركوا   أراكاً بأذناب الفوائج أخضرا[3]

قال: وهذه الأبيات في قصيدة له.

---

(١) الهجان: الكريم. والأزهر: المشهور.

(٢) العَصب: برود اليمن، لأنها تصبغ بالعصب، ولا ينبت العصب ولا الورس إلّا باليمن وكذلك اللبان، يريد: إن قدودنا من قدودهم، فسدَى أثوابنا، مختلط بسدى أثوابهم. والحضرمي: النعال المخصّرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين... انظر (الروض الأنف ١/١١٨).

(٣) الفوائج: رؤوس الأودية.

والذين يعزَوْن إلى الصلت بن النضر من خُزاعة: بنو مُلَيح بن عمرو، رهط كُثَيِّر عزّة.

أولاد مالك وفِهْر وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر: فِهر بن مالك. وأمه: جندلة بنت الحارث بن مضاض الجُرهميّ.

قال ابن هشام: وليس بابن مضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولد فِهْر بن مالك أربعة نفر: غالب بن فِهر، ومحارب بن فِهر، والحارث بن فِهر، وأسد بن فِهر، وأمّهم: ليلى بنت سعد بن هُذيل بن مدركة.

قال ابن هشام: وجَندلة بنت فِهر، وهي أم يربوع بن حنظلة، بن مالك، بن زيد مَناة، بن تميم. وأمها: ليلى بنت سعد. **قال جرير بن عطية** ابن الخطفي واسم الخطفي: حُذيفة بن بدر بن سلمَة بن عوف بن كليب ابن يربوع بن حنظله:

وإذا غضبتُ رمى ورائي بالحصى ... أبناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد غالب وأمّهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فِهر رجلين: لُؤيّ بن غالب، وتَيْم بن غالب، وأمهما: سلمى بنت عمرو الخُزاعي ـ وتَيْم ابن غالب الذين يقال لهم: بنو الأدْرَم[1].

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمه: سلمى بنت كعب بن عمرو

---

(١) الأدرم: المدفون الكعبين من اللحم، يقال: امرأة درماء وكعب أدرم. قال الراجز:

قامت تريه خشية أن تُصرما ... ساقاً بَخَنْداة وكعباً أدرما

وكَفَلا مثل النقا أو أعظَماً

والأدرم أيضاً: المنقوض الذقن، وكان تيم بن غالب كذلك، فسمي: الأدرم، قاله الزبير. وبنو الأدرم هؤلاء هم: أعراب مكة، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة)، لا من قريش البطاح، (قبائل عبدمَناف) وكذلك بنو محارب من فهر، وبنو معيص بن عامر. كذا في (الروض الأنف ١/١١٩).

الخُزاعي، وهي أم لُؤَيّ وتَيْم ابنَيْ غالب.

أولاد لُؤَيّ وأمّهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد لُؤَيّ بن غالب أربعة نفر: كعب بن لُؤَيّ، وعامر بن لُؤَيّ، وسامة بن لُؤَيّ، وعوف بن لُؤَيّ، فأم كعب وعامر وسامة: ماوية[1] بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر، من قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال: والحارث بن لُؤَيّ، وهم: جُشم بن الحارث، في هِزّان من ربيعة. قال جرير:

بني جُشَم لستم لهِزّان، فانتَموا ... لأعلى الروابي من لُؤَيّ بن غالب
ولا تُنكحوا في آل ضَوْر نساءكم ... ولا في شُكَيْس بئس مثوى الغرائب

وسعد بن لُؤَيّ، وهم بُنانة: في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة: حاضنة لهم من بني القَيْن بن جسر بن شَيْع الله ويقال: سع الله بن الأسد بن وَبْرة بن ثعلبة بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة. ويقال: بنت النمر بن قاسط، من ربيعة. ويقال: بنت جَرْم بن ربّان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة.

وخُزيمة بن لُؤَيّ بن غالب، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة من اليمن[2]، وهي أم بني عبيدة بن خُزيمة بن لُؤَيّ.

وأم بني لُؤَيّ كلهم - إلاّ عامر بن لُؤَيّ: ماوِيَّة بنت كعب بن القين

---

(١) سُمِّيت بالماوية، وهي: المرآة، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها، وقلبت همزة الماء واواً.
ويحتمل اسم المرآة أن يكون من أويته: إذا ضممته اليك. يقال: أويت مثل: ضممت، وآويته مثلي: آذيته. ثم يقال في المفعول من أويته على وزن فَعَلت: ماوى، والمرأة ماويّة ثم تسهّل الهمزة، فتكون ألفاً ساكنة. كذا في (الروض الأنف ١/١١٩).

(٢) وقال غيره: هي بنت الخِمْس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكاً وحارثاً، فهو بنو خزيمة عائذة، ومن بني خزيمة أيضاً: بنو حرب بن خزيمة، قتلتهم المسوِّدة في قريتهم بالشام، وهم يحسبونهم بني حرب بن أمية. كذا في (الروض الأنف ١/١٠٢).

ابن جَسْر. وأم عامر بن لُؤَيّ: مَخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فِهر، ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فِهر.

أمر سامة بن لُؤَيّ

هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق: فأما سامة بن لُؤَيّ فخرج إلى عُمان، وكان بها. ويزعمون أنّ عامر بن لُؤَيّ أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامةُ عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عُمان. فيزعمون أنّ سامة بن لُؤَيّ بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقّها، ثم نهشت سامة فقتلته. فقال سامة حين أحسّ بالموت فيما يزعمون:

عين فابكي لسامة بن لُؤَيّ ... عَلِقت ما بسامة العلَّاقه
لا أرى مثل سامة بن لُؤيّ ... يوم حلوا به قتيلاً لناقه
بلِّغا عامراً وكعباً رسولاً ... أن نفسي إليهما مشتاقه[1]
إن تكن في عُمان داري، فإنّي ... غالبيّ، خرجت من غير فاقه
ربّ كأس هُرقت يا ابن لُؤيّ ... حذر الموت لم تكن مُهراقه
رُمت دفع الحتوف يا ابن لُؤيّ ... ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السري تركْتَ رِديا ... بعد جِدّ وجِدّة ورشاقه[2]

قال ابن هشام: وبلغني أنّ بعض ولده أتى رسول الله - ﷺ - فانتسب

---

(١) بلِّغَا عامراً وكعباً رسولاً: يجوز أن يكون «رسولاً» مفعولاً: ببلغا إذا جعلت الرسول بمعنى: الرسالة، كما قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى، ولا أرسلتهم برسول

أي: برسالة، وإنما سمّوا الرسالة: رسولاً إذا كانت كتاباً، أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم. ويجوز أن يكون (رسولاً) حالاً من قوله: بلغا عامراً... انظر (الروض ١/١٢١ - ١٢٢).

(٢) قوله: وخَروسِ السُّرى تركت ردياً يريد: ناقة صموتاً صبوراً على السري، لا تضجر منه، فسراها كالأخرّس، والردي التي سقطت من الأعياء... انظر (الروض الأنف ١/١٢٢).

إلى سامة بن لُؤيّ، فقال رسول الله - ﷺ -: آلشاعر؟ فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

ربّ كأس هُرقت يا ابن لُؤَيّ حذر الموت لم تكن مهراقه

قال: أجل[1].

أمر عوف بن لُؤَيّ ونَقَلته

سبب انتمائه الى غطفان: قال ابن إسحاق: وأما عوف بن لُؤَيّ فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركْبٍ من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان، أُبطِىء به، فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه في نسب بني ذبيان - ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث ابن غطفان - فحبسه وزوّجه والتاطه[2] وآخاه، فشاع نسبه في بني ذبيان. وثعلبة - فيما يزعمون - الذي يقول لعوف حين أبطيء به، فتركه قومه:

احبس عليّ ابن لُؤَيّ جملك تركك القوم ولا مَتْرَكَ لك

مكانة مُرّة: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير[3]، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حصين، أنّ عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدّعياً حياً من العرب، أو مُلحِقَهم بنا، لادّعيت بني مُرّة بن عوف، إنّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوف بن لُؤَيّ.

نسب مُرّة: قال ابن إسحاق: فهو في نسب غطفان: مُرّة بن عوف،

---

(١) وسنده منقطع كما ترى.

(٢) أي: ألصقه به وألحقه بنسبه.

(٣) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي، المدني، ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر (التقريب ٢/١٥٠ والتهذيب ٩/٩٣).

ابن سعد، بن ذبيان، بـن بغيض، بن رَيْث، بن غطفان. وهم يقـولون، إذا ذُكر لهم هذا النسب: ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحبّ النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع ـ **قال ابن هشام**: أحد بني مُرّة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر، فلحِق بقريش:

فمـا قـومي بثعلبـة بن سعـد ... ولا بفـزارة الشُّعْـر الرقـابا
وقـومي ـ إن سـألت ـ بنـو لُؤيّ ... بمكـة علّمـوا مُضَـر الضـرابا
سفهنـا بـاتّبـاع بنـي بغيضٍ ... وتَـرْكِ الأقـربين لنـا انتسـابا
سفـاهـة مُخْـلِف لَمَّـا تـروَّى ... هـراق الماء، واتّبـع السَّـرابا[1]
فلو طـووعت ـ عمركَ ـ كنت فيهم ... ومـا أُلْفيتُ أنتجـع السحـابا[2]
وخشَّ رَوَاحـة القُـرشيّ رحـلي ... بنـاجيـة ولـم يطلب ثـوابا[3]

قال ابن هشام هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها.

قـال ابن إسحـاق: فقـال الحُصين بن الحُمـام المُـرّي، ثم أحـد بني سهم بن مُرّة يردّ على الحارث بـن ظالم، وينتمي إلى غطفان:

ألا لستُـمُ منّـا، وليسنـا إليكـم ... بـرئنـا إليكم من لُؤيّ بـن غـالب
أقمنـا على عـزّ الحجـاز، وأنتـم ... بمُعتلج البطحـاء بين الأخـاشب[4]

يعني: قريشاً، ثم ندم الحصين على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن

---

(١) المخلف: المستقى للماء.

(٢) ومـا ألفيت انتجع السحـابا. أي: كـانوا يغنـوني بِسيْبهم ومعـروفهم عن انتجـاع السحـاب، وارتياد المراعي في البلاد. (الروض ١/١٢٣).

(٣) وخَشَّ رَوَاحة القرشي رحلي بناجية. أي: بناقة سريعة يقال: خش السهم بالريش، إذا راشه به، فأراد: راشني وأصلح رحلي بناجية، ولم يطلب ثواباً بمدحه بذلـك. ورواحة هـذا: هو رواحة بن مَنقذ بن مَعيص بن عـامر كـان قد ربـع في الجاهليـة أي: رأس، وأخذ المـرباع. انظر (الروض الأنف السهيلي ١/١٢٣).

(٤) بمعتلج البطحاء: أي: حيث تعتلج السيـول، والاعتلاج: عمـل بقوة. والأخـاشب: جبـال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب. (الروض ١/١٢٤).

ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال:

نـدمت على قـولٍ مضى كنت قلتـه تـبيّـنـت فيــه أنــه قـول كــاذب
فليت لسـاني كـان نصفين منهمـا بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبـونـا كِنـانـيّ بـمكـة قـبـره بمعتلج البـطحـاء بين الأخـاشب
لنـا الـرُّبـع من بيت الحـرام وِرَاثـة وربع البطاح عنـد دار ابن حاطب[1]

إي: إنّ بني لُؤيّ كانوا أربعة: كعباً، وعامراً، وسامة، وعوفاً.

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَنْ لا أتّهم أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لـرجال من بني مُـرّة: إن شئتم أن ترجعـوا إلى نسبكم، فـارجعـوا إليه[2].

أشـراف مرة: قـال ابن إسحاق: وكـان القوم أشـرافاً في غـطفان، هم سادتهم وقادتهم. منهم: هرم بن سنان بن أبي حارثة، وخارجة[3] بن سنـان بن أبي حـارثة، والحـارث بن عوف، والحُصَين بن الحمـام، وهـاشم بن حـرملة الذي يقول له القائل:

أحيـا أبـاه هــاشم بن حـرمله[4]
يــوم الهبــاءات ويــوم الـيعـمله
تــرى الملوك عنــده مغــربـله[5]

---

(١) قوله: لنا الربع بضم الراء، يريد: أن بني لؤي كانوا أربعة: أحدهم: أبـوهم، وهو عـوف، وبنو لؤي هم: أهل الحرم، ولهم وراثة البيت كذا في (الروض ١/١٢٤).
(٢) السند إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ منقطع. والله أعلم.
(٣) خـارجة بن سنـان الذي تـزعم قيس أن الجن اختطفتـه لتستفحله نساؤهـا لبراعتـه ونجدتـه. ونجابة نسله. (الروض ١/١٢٤).
(٤) هاشم بن حرملة هو: جد منظور بن زبَّان بن يسار الذي كانت بنته زجلة عند ابن الزبير، فهو جدّ منظور لأمه، واسمها: قهْطِم بنت هاشم. كـانت قهطم قـد حملت بمنظور أربـع سنين، وولدته بأضراسه، فسمي منظوراً لطول انتظارهم إياه. (الروض ١/١٢٥).
(٥) قيل معناه: منتفخة، وذكروا أنه يقال: غربل القتيل إذا انتفخ، وهـذا غير معـروف، وإن كان أبـو عبيد قـد ذكره في الغـريب المصنف، وأيضاً: فـإن الروايـة بفتـح البـاء مغـربَلة، وقـال =

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب لـه

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبيدة هذه الأبيات لعامـر الخصفي: خصفة ابن قيس بن عيلان:

أحيـا أبـاه هـاشم بن حـرمله
يـوم الهبـاءات ويـوم الْيَعْمَله
تـرى الـملوك عنـده مُغَـربله
يقتل ذا الذنب،ومن لا ذنب له!!
ورمحـه لـلوالـدات مُشْكِـلة

وحدّثني أنّ هاشماً قال لعامر: قل فيَّ بيتاً جيداً أثبك عليه، فقال عـامر البيت الأول، فلم يعجب هـاشمـاً، ثم قـال الثـاني، فلم يعجبـه، ثم قـال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع:

يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب له!!

أعجبه، فأثابه عليه[1].

قال ابن هشام: وذلك الذي أراد الكُميت بن زيد في قوله:

وهـاشـم مُـرّة الـمفـني مـلوكـاً بـلا ذنـب إلـيـه ومـذنـبـيـنـا

وهذا البيت في قصيدة لـه. وقول عـامر: يـوم الهباءات. عن غيـر أبي عُبيدة.

قال ابن إسحاق: قوم لهم صيت وذِكر في غطفان وقيس كلهـا، فأقـاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْل[2].

= بعضهم: معناه: يتخيّر الملوك فيقتلهم، والذي أراه في ذلك أنه يريـد بالغـربلة استقصاءهم وتتبّعهم. (الروض ١/١٢٥).

(١) إنما أعجب هاشماً هذا البيت؛ لأنه وصفه فيه بالعز والامتناع، وأنـه لا يخاف حـاكماً يُعْـدِي عليه، ولا تِرَة من طالب ثأر. (الروض ١/١٢٥).

(٢) البسل: هو الحرام، والبسل أيضاً: الحلال، فهو من الأضداد ومنـه: بُسْلة الراقي، أي: مـا =

أمر البَسْل

تعريف البَسْل: والبَسْل ـ فيما يزعمون ـ نسيئهم ثمانية أشهر حُرُم، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أيّ بلاد العرب شاءوا، لا يخافون منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مُرّة.

قال ابن هشام: زهير أحد بني مُزَيْنَة بن أد، بن طابخة، بن الياس، بن مُضَر، يقال: زهير بن أبي سلمى من غطفان، ويقال: حليف في غطفان:

تأمل، فإن تُقْو المرَوْرَاة[1] منهم ... وداراتها لا تُقْو منهم إذاً نخل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فإن تُقْويا منهم فإنهم بسل

أي: حرام. يقول: ساروا في حرمهم.

قال ابن هشام: وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال أعشى بني قيس بن ثعلبة.

أجارتكم بسل علينا محرّم ... وجارتنا حِلّ لكم وحَلِيلها

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له.

أولاد كعب وأمّهم: **قال ابن إسحاق**: فولد كعب بن لُؤَيّ ثلاثة نفر: مُرّة بن كعب، وعدِيّ بن كعب، وهُصَيْص بن كعب، وأمّهم: وحشيّة بنت

= يحلّ له أن يأخذه على الرقية، وبسل في الدعاء بمعنى: آمين: قال الراجز:

لا خاب مِن نفعك من رجاك ... بَسْلاً، وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء: آمين وبسلاً، أي: استجابة. كذا في (الروض ١/١٢٦).

(١) قال السهيلي في (الروض الأنف ١/١٢٦): «وقع في بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة، كأنه جمْع مرْور، وليس في الكلام مثل هذا البناء، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام، فهو فَعَلْعَلَة مثل صمحمحة، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية، وهذا قول سيبويه جعل مثل: شَجَوْجاة... والمروراة اسم مكان كان فيه هذا اليوم.

شيبان بن محارب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

أولاد مُرّة وأمهاتهم: فولد مُرّة بن كعب ثلاثة نفر: كِلاب بن مُرّة، وتَيْم ابن مُرّة، ويقظة بن مُرّة.

فأم كلاب: هند بنت سُرَير بن ثعلبة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن كِنانة بن خُزيمة. وأم يقظة: البارقية، امرأة من بارق، من الأسد من اليمن. ويقال: هي أم تيم. ويقال: تَيْم هند بنت سُرَير أمّ كلاب.

نسب بارق: قال ابن هشام: بارق: بنو عَدِيّ، بن حارثة، بن عمرو، ابن عامر، بن حارثة، بن امريء القيس، بن ثعلبة، بن مازن، بن الأسْد، بن الغوث، وهم في شَنُوءة. قال الكُمَيت بن زيد:

وأزْد شنوءة اندرءوا علينا   بِجُمٍّ يحسبون لها قرونا[1]
فما قلنا لبارق: قد أسأتم   وما قلنا لبارق: أعتبونا

وقال: وهذان البيتان في قصيدة له. وإنما سمّوا ببارق؛ لأنهم تَبِعوا البرق[2].

ولدا كلاب وأمّهما: قال ابن إسحاق: فولد كلاب بن مُرّة رجلين: قُصَيّ بن كلاب، وزُهرة بن كِلاب. وأمهما: فاطمة بنت سعد بن سَيَل أحد بني الجَدَرَة، من جُعْثُمَة الأزد، من اليمن، حلفاء في بني الدِّيل[3] بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة.

---

(١) أي: يناطحون بلا عُدّة ولا قوة كالكباش الجم التي لا قرون لها، ويحسبون أن لهم قوة. (الروض ١/١٢٧).

(٢) وقد قيل: إنهم نزلوا عند جبل يقال له: بارق، فسموا به. كذا في (الروض الأنف ١/١٢٧).

(٣) المعروف عند أهل النسب: أن الديل في عبد القيس، وهو الديل بن عمرو بن وديعة، والديل أيضاً في الأزد، وهو ابن هدهاد بن زيد مناة، والديل أيضاً في تغلب وهو ابن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب، والديل أيضاً في إياد، وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إياد، وأما الذي في كنانة، وهم الذين ينسب اليهم أبو الأسود الدؤلي، وهو ظالم بن عمرو، وهم =

نسب جُعثمة: **قال ابن هشام:** ويقال: جُعْثمة الأسْد، وجُعثمة الأزْد، وهو جُعثمة بن يشكر، بن مبشّر، بن صعب، بن دُهْمان، بن نصر، بن زهران، بن الحارث، بن كعب، بن عبد الله، بن مالك، بن نصر، بن الأسد، بن الغوث. ويقال: جعثمة بن يشكر، بن مُبشر، بن صعب، بن نصر بن زهران، بن الأسد بن الغوث.

وإنما سُمّوا الجدَرَة؛ لأنّ عامر بن عمرو بن جُعثمة تزوّج بنت الحارث ابن مُضاض الجُرْهمي، وكانت جُرْهم أصحاب الكعبة. فبنى للكعبة جداراً، فسمّي عامر بذلك: الجادر، فقيل لولده: الجدرة لذلك[1].

قال ابن إسحاق: ولسعد بن سَيَل يقول الشاعر:

ما نرى في الناس شخصاً واحداً ... مَن علمناه كسعد بن سَيَل
فارساً أضبط، فيه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقف القِرْن نزل[2]
فارساً يستدرج الخيل كما اسـ ... ـتدرج الحرُّ القَطامي الحجَل[3]

قال ابن هشام: قوله: كما استدرج الحرّ. عن بعض أهل العلم بالشعر.

نِعم بنت كلاب وأمّها وولداها: **قال ابن هشام:** ونِعَم بنت كلاب،

= حلفاء الجدرة، فابن الكلبي ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه: الدُئِل ـ بضم الدال وهمزة مكسورة ـ وينسبون اليه: دؤلي، وطائفة من أهل اللغة منهم الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه: الديل ـ بكسر الدال، وينسبون اليه: الديليّ، واختاره أبو عبيدة... والذي تقيد عن ابن إسحاق في الديل بن بكر ـ بكسر الدال والياء الساكنة، وقد وافقه على ذلك من النساب: العدوي وابن سالم الجمحي، ومن تقدم ذكره من أهل اللغة.

والديل فكأنه سمي بالفعل من ديل عليهم من الدولة على وزن ما لم يسمَّ فاعله، وقد قيل: إن الدئل بن بكر سمي بالدئل، وهي دويبة صغيرة.

(١) ذكر أنّ السيل دخل الكعبة ذات مرّة، وصدّع بنيانها، ففزعت لذلك قريش، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر، وأن يذهب شرفهم ودينهم، فبنى عامر لها جدراً. (الروض ١/١٢٨).

(٢) الأضبط: الذي يعمل بكلتا يديه، والعسرة: الشدّة. والقرن: الشديد في الحرب.

(٣) الحر القطامي: الصقر.

وهي أم سعد وسعيد ابنَيْ سهم، بن عمرو، بن هُصيص، بن كعب، بن لُؤيّ. وأمها: فاطمة بنت سعد بن سَيَل.

أولاد قُصَيّ وأمّهم: **قال ابن إسحاق:** فولد قُصَيّ بن كِلاب أربعة نفر وامرأتين: عبد مَناف بن قُصَيّ، وعبد الدار بن قُصَيّ، وعبد العُزَّى بن قُصَيّ، وعبد قُصَيّ بن قُصَيّ، وتخمر بنت قُصيّ، وبَرَّة بنت قُصي. وأمهم: حُبيّ بنت حُلَيل بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ.

قال ابن هشام: ويقال: حبْشيه بن سلول.

أولاد عبد مَناف وأمّهاتهم: **قال ابن إسحاق:** فولد عبد مَناف ـ واسمه: المغيرة بن قُصَيّ ـ أربعة نفر: هاشم بن عبد مَناف، وعبد شمس بن عبد مَناف، والمطّلب بن عبد مَناف. وأمّهم: عاتكة بنت مُرّة، بن هلال، بن فالج، بن ذكوان، بن ثعلبة، بن بُهْثَة، بن سُلَيم، بن منصور، بن عكرمة، ونوفل بن عبد مَناف، وأمه: واقدة بنت عمرو المازنية. مازن: بن منصور بن عِكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النسب خالفهم عُتبة بن غزوان، بن جابر، بن وهب، بن نُسيْب، بن مالك، بن الحارث، بن مازن، بن منصور، بن عِكرِمة.

قال ابن هشام: وأبو عمرو، وتماضر، وقلابة، وحَيَّة، ورَيْطة، وأم الأخثم، وأم سفيان: بنو عبد مَناف.

فأم أبي عمرو: ريطة، امرأة من ثقيف، وأم سائر النساء: عاتكة بنت مُرّة بن هلال أم هاشم بن عبد مَناف. وأمها صفيّة بنت حَوْزة، بن عمرو، بن سلول، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن. وأم صفية: بنت عبدالله بن سعد العشيرة[1] بن مَذْحج.

---

(١) في هذا الكلام وهم لأنّ سعد العشيرة بن مَذْحِج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مَذْحِج إلاّ =

أولاد هاشم وأمّهاتهم: قال ابن هشام: فولد هاشم بن عبد مَناف أربعة نفر، وخمس نسوة: عبد المطّلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صَيْفيّ بن هاشم، ونضلة بن هاشم، والشِّفاء، وخالدة، وضعيفة، ورُقيّة، وحيّة. فأمّ عبد المطّلب ورُقيّة: سلمى[1] بنت عمرو، بن زيد، بن لَبيد، بن خداش، بن عامر، بن غَنْم، بن عديّ، بن النجّار. واسم النجّار: تَيْم الله، بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، بن عامر.

وأمها: عُميرة بنت صخر، بن حبيب، بن الحارث، بن ثعلبة، بن مازن، بن النّجار. وأم عميرة: سلمى بنت عبد الأشهل النجّارية. وأم أسد: قَيْلة بنت عامر بن مالك الخُزاعيّ. وأم أبي صيفي وَحَيّة: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأم نَضْلة والشّفاء: امرأة من قُضاعة. وأم خالدة وضعيفة: واقدة بنت أبي عديّ المازنية.

أولاد عبد المطّلب بن هاشم

أولاد عبد المطّلب وأمهاتهم: قال ابن هشام: فولد عبد المطّلب بن هاشم عشرة نفر، وست نسوة: العبّاس، وحمزة، وعبدالله، وأبا طالب ـ واسمه: عبد مَناف ـ والزبير[2]، والحارث، وجَحلا، والمقوِّم، وضِرَارا، وأبا

= أقلّها، فيستحيل أن يكونْ في عصر هاشم من هو ابن له لصُلْبه، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام ورواه غيره: بنت عبدالله من سعد العشيرة، وهي رواية الغساني. كذا في (الروض ١/١٢٩ ـ ١٣٠).

(١) وأمها: عُمَيرة بنت صَخْر المازنية، وابنها: عمرو بن أُحَيْحَة بن الجلاح، وأخوه: معبد، ولدتهما لأحيحة. (الروض ١/١٣٠).

(٢) الزبير، وهو أكبر أعمام النبيّ ـ ﷺ ـ وهو الذي كان يُرْقِص النبيّ ـ ﷺ ـ وهو طفل، ويقول:

محمد بن عَبْدَمِ ... عشت بعيش أنعم
في دولة ومغنم ... دام سجيس الأزلم

وبنته: ضباعة كانت تحت المقداد. وعبدالله ابنه: مذكور في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكان الزبير ـ رضي الله عنه ـ يُكَنّى أبا الطاهر بابنه: الطاهر، وكان من أظرف فتيان قريش، وبه سَمّى رسول الله ـ ﷺ ـ ابنه الطاهر. وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات، =

لهب[1] ـ واسمه عبد العُزَّى ـ وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأُميمة، وأروَى، وبَرّة.

فأم العباس وضرار: نُتَيلة بنت جناب، بن كُلَيب، بن مالك، بن عمرو، بن عامر، بن زيد مَناة، بن عامر ـ وهو الضحيان ـ بن سعد، بن الخزرج، بن تَيْم الّلات، بن النَّمِر، بن قاسط، بن هِنْب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار. ويقال: أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة.

وأم حمزة والمقوم وجَحْل ـ وكان يلقّب بالغيداق لكثرة خيره، وسعة ماله ـ وصفية: هالة بنت أهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

وأم عبدالله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو، بن عائذ، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّها: صخرة بنت عبد، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم صخرة: تخمر بنت عبد، بن قُصَيّ، بن كلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطّلب: سمراء بنت جُندب، بن جُحَير، بن رئاب، بن حُبَيْب، بن سُوَاءة، بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة.

= فقال: بأيّ عقوبة كان موته؟ فقيل: مات حتف أنفه، فقال: وإن فلا بدّ من يوم ينصف الله فيه المظلومين، ففي هذا دليل على إقراره بالبعث. (الروض ١/١٣٢).

(١) واسمه: عبد العُزَّى، وكُنّي: أبا لهب لإشراق وجهه، وكان تَقْدِمة من الله ـ تعالى ـ لما صار إليه من اللهب، وأمه: لبنى بنت هاجِر بكسر الجيم من بني ضاطرة بضاد منقوطة. واللبنى في اللغة: شيء يتميّع من بعض الشجر. (الروض ١/١٣٢).

وأم أبي لهب: لُبنَى بنت هاجر، بن عبد مَناف، بن ضَاطِر، بن حُبْشية، بن سلول، بن كعب، بن عمرو الخُزاعيّ.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها: قال ابن هشام: فولد عبدُالله بن عبد المطّلب: رسول الله ـ ﷺ ـ سيّد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأمه: آمنة بنت وهْب، بن عبد مَناف، بن زُهرة، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّها: بَرَّة بنت عبد العُزَّى، بن عثمان، بن عبدالدار، بن قُصَيّ، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأمّ بَرة: أم حبيب بنت أسد، بن عبد العُزَّى، بن قُصَيّ، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

وأم أم حبيب: بَرَّة[1] بنت عوف بن عُبيد، بن عُويج، بن عَدِيّ، بن كعب، بن لُؤَيّ، بن غالب، بن فِهر، بن مالك، بن النضر.

قال ابن هشام: فرسول الله ـ ﷺ ـ أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبل أبيه، وأمه ـ ﷺ.

---

(١) ذكر في آخر أمّهاته ﷺ: بَرَّة بنت عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدِيّ وهنّ كلهن قرشيات؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا: أم بَرَّة، وأم أمها، وأمّ أمّ الأم، ولكنّهنّ من غير قريش، قال محمد بن حبيب: وأم بَرَّة: قِلابة بنت الحارث، بن مالك، ابن طابخة، بن صعصعة، بن غادية، بن كعب، بن طابخة، بن لحيان، بن هُذَيل، وأم قلابة: أُميمة بنت مالك، بن غَنْم، بن لحيان، بن غادية، بن كعب، وأم أُمَيْمة: دبَّة بنت الحارث، بن لحيان، بن غادية، وأمها: بنت كهف الظلم من ثقيف، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث، وزعم أن أباها الحارث كان يُكْنى: أبا قلابة، وأنه أقدم شعراء هذيل. كذا في (الروض الأنف للسهيلي ١/١٣٢).

حديث مولد رسول الله ﷺ

احتفار زمزم: قال: حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام، قال: وكان من حديث رسول الله - ﷺ - ما حدّثنا به زيادُ بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي[1]: بينما عبد المطّلب بن هاشم نائم في الحِجْر، إذ أُتي؛ فأُمر بحفر زمزم، وهي دفن بين صنمَيْ قريش: إساف ونائلة، عند منحر قريش. وكانت جُرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة، وهي: بئر إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - التي سقاه الله حين ظميء وهو صغير، فالتمست له أمّه ماء فلم تجده، فقامت إلى الصفا تدعو الله، وتستغيثه لإسماعيل، ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك. وبعث اللهﷺ تعالى جبريل عليه السلام، فهمز له بعَقِبه[2] في الأرض، فظهر الماء، وسمعت أمّه أصوات

---

(١) السير والمغازي لابن اسحاق ص ٢٣ وفيه: نائماً في الحجر وانظر (السيرة لابن كثير ١/١٦٧).

(٢) ولذلك زمزم تُسمّى: هَمْزَة جبريل بتقديم الميم على الزاي، ويقال فيها أيضاً: هزمة جبريل، لأنها هَزْمَة (أي: نقرة) في الأرض، وحكي في اسمها: زُمَازِمُ وزمزم. حكي ذلك عن المُطرز، وتسمّى أيضاً: طعام طُعْم، وشفاء سُقْم، وقال الجُرْبي: سميت زمزم، بزمزمة الماء: وهي صوته، وقال المسعودي: سُمّيت زمزم؛ لأن الفُرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها. والزمزمة: صوت تخرجه الفُرس من خياشيمها عند شرب الماء: وقد كتب عمر - رضي الله عنه - إلى عماله: أن انهوا الفرس عن الزمزمة، وأنشد المسعودي: =

السباع فخافتها عليه، فجاءت تشتدّ نحوه، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خدّه ويشرب، فجعله حسياً[1].

أمر جُرهم ودفْن زمزم

وُلاة البيت من ولد إسماعيل: قال ابن هشام: وكان من حديث جُرهم، ودفْنها زمزم، وخروجها من مكة، ومن وليَ أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطّلب زمزم، ما حدّثنا به زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبي، قال: لما تُوُفّي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ـ ما شاء الله أن يليه ـ ثم ولي البيت بعده: مُضاض بن عمرو الجُرْهُمي.

قال ابن هشام: ويقال: مِضاض بن عمرو الجُرْهمي.

بغْي جُرْهم وقاطوراء: قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدّهم: مضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهم[2]، وجُرهم وقطوراء[3] يومئذٍ أهل مكة، وهما ابنا عمّ، وكانا ظعنا في اليمن، فأقبلا سيّارةً، وعلى جُرهم: مُضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السَّميدع[4] رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا

= زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنها سميت: زمزم لأنها زُمَّت بالتراب؛ لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال ابن هشام: والزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع. (الروض ١/١٣٤ ـ ١٣٥، ومروج الذهب ١/٢٤٢، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للقاضي الفاسي، بتحقيقنا ـ ج ١/٤٠٥).

(١) الحسى: الحفيرة الصغيرة، أو هو ما يختفي في الرمل، فإذا نبش ظهر.

(٢) هو قحطان بن عامر، بن شالخ، بن أرفخشذ، بن سام، بن نوح، ويقال؛ جُرهم بن عابر، وقد قيل: إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلّم إسماعيل العربية. وقيل: إن الله تعالى أنطقه بها إنطاقاً، وهو ابن أربع عشرة سنة. (الروض ١/١٣٥).

(٣) هو قطوراء: بن كَرْكر.

(٤) هو السميدع بن هوثر ـ بثاء مثلثة ـ قيّدها البكري ـ ابن لاي بن قطورا بن كركر بن =

من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم. فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جُرهم بأعلى مكة بقُعَيقِعان، فما حاز. ونزل السَّمَيْدع بقطوراء، أسفل مكة بأجْياد، فما حاز. فكان مضاض يعشّر من دخل مكة من أعلاها، وكان السَّمَيدع يعشّر من دخل مكة من أسفلها، وكلٌّ في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إنّ جُرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا المُلك بها، ومع مضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّمَيْدع. فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض بن عمرو من قُعَيْقِعان في كتيبته سائراً إلى السَّمَيْدع، ومع كتيبته عُدّتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعقع بذلك معه، فيقال ما سُمّي قُعَيقِعان: بقُعَيْقِعان إلا لذلك[1]. وخرج السَّمَيدع من أجياد، ومعه الخيل والرجال، فيقال: ما سُمّي أجياد: إلا لخروج الجياد[2] من الخيل مع السَّمَيدع منه. فالتقوا بفاضح، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل السميدع، وفُضحت قطوراء. فيقال: ما سُمّي فاضح: فاضحاً إلا لذاك. ثم إنّ القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ: شِعباً بأعلى مكة، واصطلحوا به، وأسلموا الأمر الى مُضاض. فلما جُمع إليه أمر مكة، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم، فاطّبخ الناس وأكلوا، فيقال: ما

= عِملاق، ويقال: إنّ الزَّبّاء الملكة كانت من ذُرّيته، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنَة بن ظَرِب بن حسان، وبين حسّان وبين السَّمَيدع آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال: إنّ حسّان ابنه لصُلبه، لبعد زمن الزبّاء من السميدع. (الروض ١/١٣٦).

(١) وذكره غيره في أخبار مكة أنّ قعيقعان سُمّي بهذا الأسم حين نزل تُبع مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان، فسُمِّيَ: قعيقعان بقعقعة السلاح فيه والله أعلم. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٦).

(٢) لم يُسَّم بأجياد من أجل جياد الخيل، كما ذُكر لأنّ جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد: جمع جِيد.

وذكر أصحاب الأخبار أنّ مُضاضاً ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة، فسُمّي الموضع: بأجياد، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب، ومن شِعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلّم الناس قبل يوم القيامة، وكذلك روي عن صالح مولى التّوأمة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٦).

سُمّيت المطابخ إلا لـذلك. وبعض أهـل العلم يـزعم أنهـا إنّمـا سُمّيت المطابخ، لما كان تُبّع نحر بها، وأطعم، وكانت منزله. فكـان الذي كـان بين مضاض والسَّمَيدع أول بغْي كان بمكة فيما يزعمون.

انتشار ولد إسماعيل: ثم نشـر الله ولد إسمـاعيل بمكـة، وأخوالهم من جُرهم وُلاة البيت والحكّام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال. فلمـا ضاقت مكـة على ولد إسماعيل انتشروا في البـلاد، فلا ينـاوئون قـوماً إلا أظهـرهم الله عليهم - بدينهم - فوطئوهم.

بغي جُرْهم ونفْيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان يطردون جُرهما: ثم إنّ جرهماً بغـوا بمكة، واستحلّوا خِلالاً من الحرمة، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الـذي يُهـدى لها[1]، فـرقّ أمرهم. فلمـا رأت بنو بكـر، بن عبد مَنـاة، بن كِنانـة، وغبشان، من خُزاعـة ذلك، أجمعـوا لحربهم وإخـراجهم من مكة؛ فـآذنوهم بالحرب فاقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغبشان، فنفوهم من مكة. وكـانت مكة في الجاهلية لا تقرّ فيها ظلماً ولا بغياً، ولا يبغي فيهـا أحد إلا أخـرجته، فكـانت تُسمّى: الناسَّة، ولا يريدها ملك يستحّل حرمتها إلا هلك مكانه، فقـال: إنها ما سُمّيت ببكّة إلا أنها كانت تبكّ[2] أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً.

---

(١) فمن ذلك أنّ إبراهيم عليه السلام، كان احتفر بئراً قريبـة القَعْر عنـد باب الكعبـة، كان يلقي فيها ما يُهدى إليها، فلما فسد أمر جُرهم سـرقوا مـال الكعبة مـرة بعد مـرة، فيذكـر أنّ رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة، فسقط عليه حجر من شَفير البئر فحبسه فيها، ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي. سوداء المتن. بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة، وقامت في البئر ـ فيمـا ذكروا ـ نحـواً من خمسمائـة عام. أنـظر (الروض الأنف ١/١٣٧).

(٢) أي: تكسرهم وتَقْدَعهم، وقيل: من التبَاكّ، وهو: الازدحام، ومكة من تمكّكت العظم، إذا اجتذبت ما فيه من المخ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة، فكأنها تجتذب إلى نفسها مـا في البلاد من الناس والأقوات التي تأتيها في المواسم. =

معنى بكّة: **قال ابن هشام**: أخبرني أبو عُبيدة: أنّ بكة اسم لبطن مكة؛ لأنهم يتباكّون فيها، أي: يزدحمون، وأنشدني:

إذا الشريب أخذته أكّه ... فخلّه حتى يبكّ بكّه

أي: فدعه حتى يبكّ إبله، أي: يخليها إلى الماء، فتزدحم عليه، وهو موضع البيت والمسجد. وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناة بن تميم[1].

قال ابن إسحاق: فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالَي الكعبة وبحجر الركن، فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جُرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك[2]، وليس بمضاض الأكبر:

وقائلةٍ والدمع مُبادر سَكْب ... وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر[3]
فقلت لها والقلب منّي كأنّما ... يُلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنّا أهلها، فأزالنا ... صروف الليالي، والجُدود العواثر
وكنّا وُلاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت، والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعزّ، فما يحظى لدينا المكاثر

= وقيل: لما كانت في بطن واد، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر، وتنجذب إليها السيول. ومن أسماء مكة أيضاً: الرأس، وصَلاح، وأم رُحْم، وكُوثى.

(١) مجاز القرآن ١/٩٧.

(٢) وكان الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ بن نبت بن جُرهم الجرهمي قد نزل بقنَوْنَى من أرض الحجاز، فضلّت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم، فأراد دخوله، ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحي: من وجد جرهمياً، فلم يقتله، قطعت يده، فسمع بذلك الحارث، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تُنحر، ويُتوزع لحمها، فانصرف بائساً خائفاً ذليلاً، وأبعد في الأرض، وهي غربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل. كذا في (الروض الأنف ١/١٣٨).

(٣) الحَجُون: بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة. والسامر: اسم الجماعة يتحدثون بالليل.

ملكنـا فعـززنـا فـأعـظمْ بملكنـا | فـليس لحيّ غيـرنـا ثـم فـاخـر
ألم تُنكحـوا من خير شخص علمتـه | فـأبنـاؤه منّـا، ونحن الأصـاهـر[1]
فـإن تَنْثَن الـدنيـا علينا بحـالهـا | فـإنّ لهـا حـالاً، وفيهـا التشـاجـر
فـأخـرجنـا منهـا المليـك بقُـدرة | كذلك - يـا للناس - تجـري المقادر
أقـول إذا نـام الـخليّ - ولـم أنـم | : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر[2]
وبُـدّلت منهـا أوجهـاً لا أحبّهـا | قبـائـلُ منهـا حِمْيَـر ويُحـابـر
وصـرنـا أحـاديث وكنّـا بـغبـطة | بـذلـك عضّتنـا السنـون الغـوابـر
فسحّت دمـوع العين تـبكـي لبلدة | بهـا حَـرَم أمنٍ، وفيهـا المشـاعـر[3]
وتبكي لبيت لـيس يُؤذَى حَـمـامُـهُ | يـظّل بـه أمنـاً، وفيـه العصـافـر[4]
وفيـه وحـوش - لا تُـرام - أنيسـة | إذا خـرجت منـه، فليست تغـادر

قال ابن هشام: «فأبناؤه منّا»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن الحارث - أيضاً - يذكر بكـراً وغبشان، وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم:

يـا أيهـا النـاس سيـروا إنّ قصـركم | أن تصبحـوا ذات يوم لا تسيـرونـا[5]
حُثـوا المـطيّ، وأرخـو من أزمّتهـا | قبـل الممات، وقَضُّـوا مـا تقضـونـا
كنّـا أُنـاسـاً كمـا كنتم، فغيّـرنـا | دهـرٌ، فـأنتم كمـا كنّا تكـونـونـا

قـال ابن هشـام: هـذا مـا صـحّ لـه منهـا. وحـدّثني بعضُ أهـل العلم بالشعر: أنّ هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب، وأنها وجـدت مكتوبـة في

(١) خير شخص: هو إسماعيل عليه السلام.
(٢) عامر: جبل من جبال مكة، يدل على ذلك قول بـلال رضي الله عنه: وهـل يبدُوَن لي عـامر وطَفيل.
(٣) المشاعر: أماكن التعبّد في الحجّ.
(٤) أراد: العصـافير، وحـذف اليـاء ضـرورة؛ ورفـع العصـافيـر على المعنى، أي: وتـأمن فيـه العصـافير، وتـظل به أمنـاً، أي: ذات أمن، ويجوز أن يكـون أمْنـاً جمـع آمن مثـل: ركْب جمع: راكب كذا في (الروض الأنف ١/١٣٨).
(٥) قصركم: نهايتكم.

حجر باليمن[1]، ولم يسمّ لي قائلها.

---

(١) قال السهيلي في الروض ١/١٣٩ - ١٤٠. «وألفيت في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبراً لهذه الأبيات، وأسنده أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبدالله بن عبد السلام البصري، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التّمار، قال: أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال: وُجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْم وجَديس في قرية يقال لها: معنق، بينها وبين الحجر ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تبّع، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً:

يا أيّها الملك الذي ... بالملك ساعده زمانه
ما أنت أوّل من علا ... وعلا شئون الناس شانه
أقصِرْ عليك مراقباً ... فالدهر مخذول أمانه
كم من أشمّ مُعَصب ... بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما ... ن، وكان ذا خَفْض جنانه
تجري الجداول حوله ... للجُنْد مُتْرعة جِفانه
قد فاجأته مَنيّة ... لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرّقت أجناده ... عنه، وناح به قِيانه
والدهر من يَعْلِق به ... يطحنْه، مُفترشاً جِرانه
والناس شتّى في الهوى ... كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة ... والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ... ولقد يُشرّفه بيانه

ووجد في الحجر الثاني مكتوباً أبيات:

كل عيش تَعِلّةْ ... ليس للدهر خلّه
يوم بُؤسَى ونُعْمَى ... واجتماع وقلّه
حبّنا العيش والتكا ... ثر جهل وضِلّه
بينما المرء ناعم ... في قصور مُظلّه
في ظلال ونعمة ... ساحباً ذيل حلّه
لا يرى الشمس مِلْغضا ... رَة إذ زلّ زلّة
لم يُقلها، وبَدّلَتْ ... عِزّة المرء ذِلّه
آفة العيش والنعـ ... ـيم كُرور الأهِلّةْ
وصْل يومٍ بليلة ... واعتراض بِعِلّه
والمنايا جوائم ... كالصقور المدلّه
بالذي تكره النفـ ... ـوس عليها مُطلّه

وفي الحجر الثالث مكتوباً:

يا أيُّها الناس سيروا إنّ قِصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُثّوا المَطِيّ، وارخوا من أزِمّتها ... قبل الممات وقَضّوا ما تقضونا
كنّا أناساً كما كنتم فغيّرنا ... دهرٌ فأنتم كما كنّا تكونونا

استبداد قومٍ من خُزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق: ثم إنّ غُبْشان من خُزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مَناة، وكان الذي يليه منهم: عمرو بن الحارث الغُبشاني، وقريش إذ ذاك حلول وصِرْم، وبيوتات متفرّقون في قومهم من بني كِنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كأن آخرهم حُليل بن حَبَشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخُزاعي.

قال ابن هشام: يقال: حُبْشية بن سلول.

تزوّج قُصَيّ بن كِلاب حُبي بنت حُلَيل

أولاد قُصَيّ وحُبيّ: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قُصَيّ بن كِلاب خطب إلى حُليل بن حبشية بنته حُبي، فرغب فيه حُليل فزوَّجه، فولدت له عبد الدار، وعبد مَناف، وعبد العُزّى، وعبداً. فلما انتشر ولد قُصَيّ، وكثر ماله، وعظم شرفه، هلك حُليل.

مساعدة رزاح لقُصَيّ في تولّي أمر البيت: فرأى قُصَيّ أنه أوْلى بالكعبة وبأمر مكة من خُزاعة وبني بكر، وأنّ قريشاً قُرعة[1] إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده. فكلّم رجالاً من قريش، وبني كِنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه. وكان ربيعة بن حرام من عُذرة بن سعد ابن زيد قد قدِم مكة بعدما هلك كِلاب، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيَل، وزُهرة يومئذ رجل، وقُصَيّ فطيم، فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيّاً معها، وأقام زُهرة، فولدت لربيعة رِزاحاً. فلما بلغ قُصَيّ، وصار رجلاً أتى مكة[2]،

---

(١) هكذا بالقاف، وهي الرواية الصحيحة، وفي بعض النسخ: فرعة بالفاء، والقرعة بالقاف هي: نخبة الشيء، وخياره، وقريع الإبل: فحلها، وقريع القبيلة: سيدها، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمّي من العرب بالأقرع. كذا في (الروض الأنف ١/١٤٢).

(٢) كان قُصَيّ رضيعاً حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة، فنشأ ولا يعلم لنفسه أباً إلاّ ربيعة، ولا يدعى إلا له، فلما كان غلاماً يَفَعَه أو حَزَوَّراً (دون البلوغ) سابّه رجل من قضاعة، فعيّره =

فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه، كتب إلى أخيه من أمه، رزاح ابن ربيعة، يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة، ومعه إخوته: حنّ بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير أمه فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاجّ العرب، وهم مجمعون لنصرة قُصَيّ. وخُزاعة تزعم أنّ حُليل بن حبشية أوصى بذلك قُصيّاً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر. وقال: أنت أولى بالكعبة، وبالقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قُصَيّ ما طلب[1]، ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم أيّ ذلك كان.

= بالدعوة، وقال: لست منّا، وإنّما أنت فينا ملصق، فدخل على أمه، وقد وجم لذلك، فقالت له: يا بني صدق، إنك لست منهم، ولكنّ رهطك خير من رهطه، وآباؤك أشرف من آبائه، وإنما أنت قرشي، وأخوك وبنو عمك بمكة، وهم جيران بيت الله الحرام، فدخل في سيارة حتى أتى مكة، والمعروف أنّ اسمه: زيد، وإنما كان قُصَياً أي: بعيداً عن بلده فسُمّي: قُصَيّاً. (الروض الأنف ١/١٤٢ ـ ١٤٣).

(١) وذكر المؤرّخون أسباباً لانتقال ولاية البيت إلى قُصَيّ وهو أنّ حُلَيْلاً كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حبي، حين كبر وضعف، فكانت بيدها، وكان قُصَيّ ربما أخذها في بعض الأحيان، ففتح البيت للناس وأغلقه، ولما هلك حُليل أوصى بولاية البيت إلى قُصَيّ، فأبت خُزاعة أن تُمضي ذلك لقُصَيّ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خُزاعة، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم.

ويذكر أيضاً أن أبا غُبْشَان من خُزاعة، واسمه: سليم ـ وكانت له ولاية الكعبة ـ باع مفاتيح الكعبة من قُصَيّ بزِقّ خمر، فقيل: أخسر من صفقة أبي غبشان. ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال.

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَر إلى خُزاعة أنّ الحرم حين ضاق عن ولد نزار، وبغت فيه إياد أخرجتهم بنو مُضر بن نزار، وأجلوهم عن مكة، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود، فاقتلعوه، واحتملوه على بعير فرزح البعير به، وسقط إلى الأرض، وجعلوه على آخر، فرزح أيضاً، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا، فلما أصبح أهل مكة، ولم يروْه، وقعوا في كرب عظيم، وكانت امرأة من خُزاعة قد بَصُرت به حين دُفن، فأعلمت قومها بذلك، فحينئذ أخذت خُزاعة على وُلاة البيت أن يتخلّوا لهم عن ولاية البيت، ويدلّوهم على الحجر، ففعلوا ذلك، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخُزاعة إلى أن صيّرها أبو غُبْشَان إلى عبد مَناف، هذا معنى قول الزبير. كذا في (الروض الأنف ١/١٤٢).

ما كان يليه الغوث بن مُرّ من الإجازة للناس بالحجّ

وكـان الغوث بن مُـرّ، بن أد، بن طابخـة، بن الياس، بن مُضـريلي الإجـازة للناس بـالحجّ من عَـرَفة، وولـدُه من بعده، وكـان يقال لـه ولولـده: صُوفة[1].

وإنّما ولي ذلك الغوث بن مُرّ، لأنّ أمّه كانت امرأة من جُرهم، وكـانت لا تلد. فنذرت لله إنْ هي ولدت رجـلًا: أن تَصَّدَّق بـه على الكعبة عبـداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت، فكان يقوم على الكعبـة في الدهـر الأول مع أخواله من جُرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفـة، لمكانـه الذي كـان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا. فقال مُرّ بن أد لوفاء نذر أمه:

إنــي جـعــلتُ رب مــن بَـنِـيّـه ... رَبــيــطةً بــمــكــة الــعــليّـه

فـبــارَكــنّ لــي بــهــا ألــيَّــه ... واجعله لي من صــالـح البــريّـة

وكان الغوث بن مُرّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال:

لا هُـمَّ إنّــي تــابــع تَـبَــاعــه ... إن كــان إثـم فـعـلى قُـضــاعــه[2]

---

(١) قال أبو عُبيدة: وصوفة وصوفان يقال لكلّ من ولي من البيت شيئاً من غير أهله، أو قام بشيء من خدمة البيت، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم: صوفة وصوفان. قال أبو عبيـدة: لأنه بمنزلة الصوف، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر، ليسوا من قبيلة واحدة.

وذكر أبو عبدالله أنه حدّثه أبـو الحسن الأثرم، عن هشـام بن محمد بن السـائب الكلبي قـال: إنّما سُمّي الغـوث بن مُرّ: صـوفة، لأنـه كان لا يعيش لأمـه ولد، فنـذرت: لئن عاش لتعلقنّ برأسه صوفة، ولتجعلنّه رَبِيطاً للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفـة، ولولـده من بعده، وهو: الربيط.

وحدّث إبراهيم بن المنذر، عن عمر بن عبدالعزيز بن عمران، قال: أخبرني عقـال بن شَبة قال: قالت أم تميم بن مُرّ ـ وولدت نسوة ـ فقالت: لله عليّ. لئن ولدت غلاماً لأعَبّدَنّه للبيت، فولدت، الغوث، وهو أكبر ولد مر، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر، فمـرت به ـ وقـد سقط وذوى واسترخى فقـالت: ما صـار ابني إلا صوفـة، فسُمّي صوفـة. عن (الروض الأنف ١/١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) سبب قوله: إن كان إثماً فعلى قُضاعة، إنما خصّ قُضاعـة بهذا؛ لأنّ منهم مُحلّين يستحلّون الأشهر الحُرُم، كما كانت خثعم وطيء تفعل، وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرّمت صفراً أو =

صوفة ورمي الجمار: **قال ابن إسحاق**: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير[1] عن أبيه قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز بهم إذا نفروا من مِنَى، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي. فكان ذوو الحاجات المتعجّلون يأتونه، فيقولون له: قم فارْم حتى نرمي معك، فيقول: لا والله، حتى تميل الشمس، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبّون التعجّل يرمونه بالحجارة، ويستعجلونه بذلك، ويقولون له: ويلك! قم فارم، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس، قام فرمى الناس معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النفر من مِنَى، أخذت صوفة بجانبي العقبة، فحبسوا الناس وقالوا: أجيزي صوفة، فلم يجز أحد من الناس حتى يمرّوا، فإذا نفرت صوفة ومضت، خلّي سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك، حتى انقرضوا، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد[2] بنو سعد، بن زيد مَناة، بن تميم، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شِجنة.

نسب صفوان بن جناب: **قال ابن هشام**: صفوان بن جناب بن شجنة: عُطارد بن عوف، بن كعب، بن سعد، بن زيد مَناة، بن تميم.

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحجّ: **قال ابن إسحاق**: وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحجّ من عَرَفة ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام: كرب بن صفوان. وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي:

= غيره من الأشهر بدلاً من الشهر الحرام ـ يقول قائلهم: قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المُحِلّين.

(١) وثقه ابن معين، ومات شاباً بعد المائة، وله ست وثلاثون سنة أنظر (ميزان الاعتدال ٣٨٨/٤، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٥٠).

(٢) أي بالقرابة، وذلك أنّ سعداً هو: ابن زيد مَناة بن تميم بن عامر. وكان سعد أقعد بالغوث ابن مر من غيره من العرب (الروض ١/ ١٤٤).،

لا يبرح الناس ما حجّوا مُعرَّفهم حتى يقال: أجيزوا آل صفوانا

قال ابن هشام: هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء.

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المُزْدَلِفة

ذو الأصبع يذكر هذه الافاضة: وأما قول ذي الإصبع العدواني ـ واسمه حرثان بن عمرو ـ وإنّما سُمّي ذا الإصبع؛ لأنه كان له إصبع فقطعها:

عذير الحيّ من عدوا ن كانوا حَية الأرض[1]
بغى بعضهم ظلماً فلم يُرْع على بعض
ومنهم كانت السادا ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا س بالسُّنَّة والفرض
ومنهم حَكم يقضي فلا يُنقض ما يَقضي

وهذه الأبيات في قصيدة له ـ فلأنّ الإفاضة من المزدلفة[2] كانت في عدوان ـ فيما حدّثني زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق ـ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيَّارة، عُمَيلة بن الأعزل[3]، ففيه يقول شاعر من العرب:

---

(١) يقال: فلان حية الأرض، وحية الوادي؛ إذا كان مَهيباً يُذْعَر منه، كما قيل:
يا مُحْكم بن طفيل قد أتيح لكم لله درّ أبيكم حية الوادي
يعني بحية الوادي: خالد بن الوليد رضي الله عنه.
وعذير الحيّ من عدوان. نصب عذيراً على الفعل المتروك إظهاره، كأنه يقول: هاتوا عذيره، أي: من يعذره، فيكون العذير بمعنى: العاذر، ويكون أيضاً بمعنى: العذر مصدراً كالحديث ونحوه. (الروض ١/١٤٦).

(٢) المزدلفة: مفتعلة من الازدلاف: وهو الاجتماع، وفي التنزيل: (وازلفنا ثَمّ الآخرين) وقيل: بل الازدلاف: هو الاقتراب، والزلفة: القربة، فسميت مزدلفة: لأن الناس يزدلفون فيها الى الحرم وفي الخبر: أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم يزل يزدلف الى حواء وتزدلف، حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة، فسميت جمعاً، وسميت المزدلفة. عن (الروض الأنف ١/١٤٤).

(٣) وقال غيره: اسمه: العاصي. قاله الخطابي: واسم الأعزل: خالد، ذكره الأصبهاني، =

نحن دفعنا عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له: فلذلك يقول: «سالماً حماره».

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب حاكم العرب: **قال ابن إسحاق**: وقوله: حَكَم يقضى يعني: عامر بن ظرب، بن عمرو، بن عياذ، بن يشكر، بن عدوان العدواني. وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1]، ولا عُضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختُصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خُنْثى، له ما للرجل، وله ما للمرأة، فقالوا: أنجعله رجلًا أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه. فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب! فاستأخروا عنه؛ فبات ليلته ساهراً يقلّب أمره، وينظر في شأنه، لا يتوجّه له منه وجه. وكانت له جارية يقال لها: سُخَيلة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا سرحت فيقول: صبَّحت والله يا سُخَيل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيت والله يا سخيل! وذلك أنها كانت تؤخّر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخّر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلّة قراره على فراشه قالت: مالك لا

= وكانت له أتان عوراء خطامها ليف، يقال: إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها يعني الراجز في قوله:

حتى يجيز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء؛ ولذلك يقول:

لا هُمّ مالي في الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أُحسد
فَقِ أبا سيارة المُحَسَّد من شر كل حاسد إذ يحسد

(عن الروض ١/١٤٦).

(١) النائرة: الكائنة الشنيعة بين القوم.

أبالك! ما عراك في ليلتك هذه؟ قال: ويلكِ! دعيني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتي مما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إليّ في ميراث خُنثى، أأجعله رجلاً أو امرأة؟ فوالله ما أدري ما أصنع، وما يتوجّه لي فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! أتبع القضاء المَبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة، فهي امرأة. قال: مَسِّي سخيل بعدها أو صبحي، فرَّجْتِها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه به(1).

غلب قُصَيّ بن كلاب على أمر مكة وجمْعه أمر قريش ومعونة قُضاعة له

قُصَيّ يتغلّب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخُزاعة وولايتهم. فأتاهم قُصَيّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العقبة، فقال: لنحن أولى بهذا منكم، فقاتلوه، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، ثم انهزمت صوفة، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك.

---

(1) وهو حكم معمول به في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وجه الدلالة على الكذب في الدم أنّ القميص المُدَمّى لم يكن فيه خرْق ولا أثر لأنياب الذئب، وكذلك قوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ الآية، وقول النبيّ - ﷺ - في المولود: «إن جاءت به أورق جعداً جُمَالِيّاً فهو للذي رميت به».

فالاستدلال بالإمارات أصل ينبني عليه كثير من الأحكام في الحدود والميراث، وغير ذلك، والحكم في الخنثى أن يعتبر المَبَال، ويعتبر بالحيض، فإن أشكل من كل وجه، حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف، وفي الدية كذلك، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد. عن (الروض الأنف ١/١٤٧).

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قُصَيّ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة. فلما انحازوا عنه بادأهم، وأجمع لحربهم، وخرجت له خُزاعة وبنو بكر فالتقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، وإلى أن يحكِّمُوا بينهم رجلاً من العرب، فحكّموا يعمر بن عوف، بن كعب، بن عامر، بن ليث، بن بكر، بن عبد مَناة، بن كِنانة، فقضى بينهم بأنّ قُصَيّاً أولى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة، وأنّ كل دم أصابه قُصَيّ من خُزاعة وبني بكر: موضوع يشدخه تحت قدميه، وأنّ ما أصابت خُزاعة وبنو بكر من قريش وكِنانة وقُضاعة، ففيه الدية مؤدّاة، وأن يخلّى بين قُصَيّ وبين الكعبة ومكة.

فسُمّي يعمر بن عوف يومئذ: الشدّاخ[1]، لما شدخ من الدماء ووضع منها.

قُصَيّ يتولّى أمر مكة: **قال ابن إسحاق:** فولِّي قُصَيّ البيت وأمر مكة، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه، إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقرّ آل صفوان وعَدْوان والنسأة ومُرّة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله. فكان قُصَيّ أول بني كعب بن لؤي أصاب مُلكاً أطاع له به قومُه، فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة[2]،

---

(١) ويعمر الشدّاخ هو جدّ بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم: عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، وأبوه؛ يزيد، وحُذيفة بن دأب، ودأب هو: ابن كرز بن أحمر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خُزاعة، أي: أبطلها، وأصل الشدخ: الكسر والفضخ، ومنه الغرَّة الشادخة، شبهت بالضربة الواسعة. عن (الروض ١/١٤٨).

(٢) وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور، ولفظها مأخوذ من لفظ النّديّ. والنادي والمنتدى: وهو مجلس القوم الذي يَندون حوله، أي: يذهبون قريباً منه، ثم يرجعون إليه، والتندية في الخيل: أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريباً، ثم تعاد إلى الشرب، وهو المندّى، وهذه الدار تصيّرت بعد بني عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خُويلد بن أسد =

واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رِباعاً بين قومه، فأنزل كل قـوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها. ويزعم الناس أنّ قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم، فقطعها قُصَيّ بيده وأعوانه[1]فسمّتـه قريش: مجمّعـاً لمـا جمع من أمـرها، وتيمنت بـأمره، فمـا تُنكح امرأة، ولا يتزوّج رجـلٌ من قـريش، وما يتشـاورون في أمر نـزل بهم، ولا يعقدون لـواء لحرب قـوم من غيـرهم إلاّ في داره، يعقده لهم بعض ولـده، وما تدَّرع جـاريـة إذا بلغت أن تدرع من قريش إلاّ في داره، يشقّ عليها فيها درعها ثم تدرِّعه، ثم ينطلق بهـا إلى أهلها. فكان أمره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موتـه، كالـدِّين المتّبـع لا يعمل بغيـره. واتّخذ لنفسـه دار الندوة، وجعـل بـابهـا إلى مسجـد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها.

قال ابن هشام: وقال الشاعر:

قُصَيّ لعمـرِي كـان يـدعى مُجَمِّعـاً ... بـه جمَّـع الله القبـائـل من فِهـر

= ابن عبـد العُزّى بن قُصَيّ، فباعها في الإسـلام بمائـة ألف درهم، وذلك في زمن معـاوية، فلامه معاوية في ذلك، وقال: أبعت مَكرُمة آبـائك وشـرفهم؟! فقال حكيم: ذهبت المكـارم إلا التقـوى. والله لقد اشتـريتها في الجـاهلية بـزقّ خمر، وقـد بعتهـا بمـائـة ألف درهم، وأشهـدكم أنّ ثمنها في سبيـل الله، فأيّنـا المغبون؟! ذكـر خبر حكيم هـذا: الدارقـطني في أسماء رجال الموطأ له. (الروض ١/١٤٩).

(١) قال الواقدي: الأصحّ في هذا الخبر أنّ قـريشاً حين أرادوا البنيـان قالـوا لقُصَيّ: كيف نصنع في شجر الحرم، فحذّرهم قطعها وخوّفهم العقوبة في ذلـك، فكان أحـدهم يحوف بـالبنيان حول الشجرة، حتى تكون في منزلـه. قال: فـأول من ترخص في قـطع شجر الحـرم للبنيان عبدالله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقُعَيْقِعان، لكنّه جعل دية كل شجرة: بقرة. وكذلك يروى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنـه قطع دوحـة كانت في دار أسـد بن عبد العُزّى، كانت تنـال أطرافها ثيـاب الطائفين بـالكعبة، وذلـك قبل أن يـوسّع المسجـد، فقطعهـا عمر ـ رضي الله عنه ـ ووداها بقرة، ومذهب مـالك ـ رحمـه الله ـ في ذلك: ألا ديـة في شجر الحـرم. قال: ولم يبلغني في ذلك شيء. وقد أساء من فعل ذلك، وأما الشـافعي ـ رحمه الله ـ فجعـل في الدوحة بقـرة، وفيما دونهـا شاة. وقـال أبو حنيفـة ـ رحمه الله ـ: إن كـانت الشجرة التي في الحرم مما يغـرسها النـاس، ويستنبتونهـا، فلا فـدية على من قـطع شيئاً منهـا، وإن كان من غيرها، ففيه القيمة بالغاً ما بلغت. (الروض الأنف ١/١٤٩).

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن حبَّاب[1] صاحب المقصورة يحدّث، أنه سمع رجلاً يحدّث عمر ابن الخطاب ـ وهو خليفة ـ حديث قُصَيّ بن كلاب، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خُزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره.

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة: قال ابن إسحاق: فلما فرغ قُصَيّ من حربه، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه، وقال رزاح في إجابته قُصياً:

لما أتى من قُصَيّ رسول ... فقال الرسول: أجيبوا الخليلا
نهضنا إليه نقود الجياد ... ونطرح عنا المَلول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح ... ونكمي النهار؛ لئلا نزولا[2]
فهنّ سراع كورد القَطا ... يُجبْن بنا من قُصَيّ رسولا
جمعنا من السر من أشمذَينْ ... ومن كل حيّ جمعنا قبيلا[3]
فيالك حُلبة ما ليلة ... تزيد على الألف سَيْباً رسيلا[4]
فلما مررن على عسجر ... وأسهلن من مُستناخ سبيلا[5]
وجاوزن بالركن من وَرِقان ... وجاوزن بالعَرْج حيا حُلولا[6]
مررن على الحيل ما ذقنه ... وعالجن من مرّ ليلاً طويلاً[7]

---

(١) السائب بن خباب المدني أبو مسلم، صاحب المقصورة. قال البخاري: يقال: له صحبة، مات قبل ابن عمر. انظر (تهذيب التهذيب ٣/٤٤٦ ـ ٤٤٧، والتقريب ١/٢٨٣).

(٢) نكمي النهار، أي: نكمن ونستتر، والكَمِيُّ من الفرسان، الذي تَكَمّى بالحديد. وقيل: الذي يَكْمِي شجاعته، أي: يسترها، حتى يظهرها عند الوغى.

(٣) الأشمذان: جبلان، ويقال: اسم قبيلتين.

(٤) الحلبة: الجماعة من الخيل. والسيب: المشي السريع. والرسيل: الذي فيه تمهّل: أي تمشي سراعاً، ولكن في رفق كما تزحف الحية.

(٥) عسجر: اسم موضع. وكذلك ورقان: اسم جبل.

(٦) العرج: واد ناحية الطائف.

(٧) الحيل: هو الماء المستنقع في بطن واد، ووجدت في غير أصل الكتاب روايتين، إحداهما: =

نُـدَنـي مـن الـعـوُذ أفـلاءهـا ... إرادة أن يـسـتـرقـن الـصـهـيـلا[1]
فـلـمـا انـتـهـيـنـا إلى مـكـة ... أبـحـنـا الـرجـال قـبـيـلاً قـبـيـلا
نُـعـاورهـم ثـمّ حـدّ الـسـيـوف ... وفـي كـل أوب خلسـنـا العـقـولا
نُـخـبِّـزهـم بـصـلاب الـنـسـو ... ر خبْز القـوي العـزيـز الـذليـلا[2]
قـتـلـنـا خُـزاعـةَ فـي دارهـا ... وبـكـراً قتـلـنـا وجـيـلاً فـجـيـلا
نـفـيـنـاهـم مـن بـلاد الـمـلـيـك ... كـمـا لا يـحـلّون أرضـاً سُـهـولا
فـأصـبـح سبْيهـم في الـحـديـد ... ومـن كـل حيّ شـفـيـنـا الـغـلـيـلا

شعر ثعلبة القُضاعي في هذه القصة: وقال ثعلبة بن عبدالله، بن ذبيان، بن الحارث، بن سعد، بن هُذيم القُضاعي في ذلك من أمر قُصَيّ حين دعاهم فأجابوه:

جلبنـا الـخيـل مـضمـرة تَـغـالَى ... من الأعـراف أعـراف الجنـاب[3]
إلى غَـوْريْ تهـامـة، فـالتقينـا ... مـن الـفـيـفـاء فـي قـاع يـبـاب
فـأمـا صـوفـة الـخنثيّ، فـخلّوا ... مـنـازلـهـم مـحـاذرة الـضِّـراب
وقـام بـنـو عـليّ إذ رأونـا ... إلى الأسيـاف كـالإبـل الطِّراب[4]

شعر قصي: وقال قُصَيّ:

أنـا ابـن العـاصـمين بـني لُـؤَيّ ... بـمـكـة مـنـزلـي، وبـهـا ربـيـت

= مررن على الحِلِّ والأخرى: مررن على الحِليْ، فأما الحل: فجمع حلة، وهي بقلة شاكة. ذكره ابن دريد في الجمهرة. وأما الحلي، فيقال: إنه ثمر القُلْقَلان وهو نبت. (الروض ١/١٥١).

(١) العوذ: الفرس التي لها أولاد. والأفلاء: جمع فلو المهر العظيم.
(٢) نخَبِّزهم: أي: نسوقهم سوقاً شديداً. (الروض ١/١٥١).
(٣) تغالي: ترتفع في سيرها. والأعراف: الرمل المرتفع. والجناب: موضع ببلاد قضاعة. (الروض ١/١٥١).
(٤) بنو عليّ، وهم بنو كِنانة، وإنّما سُمّوا ببني علي؛ لأنّ عبد مَناة بن كنانة كان ربيباً لعلي بن مازن من الأزد جدّ سطيح الكاهن، فقيل لبني كِنانة: بنو علي، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مَناة؛ لأنهم قاموا مع خزاعة. (الروض ١/١٥١).

إلى البطحاء قد علمت معد ومَروَتها رضيت بها رَضيت
فلست لغالب إن لم تَأثَّل بها أولاد قيذر، والنبيت
رزاح ناصري، وبه أُسامي فلست أخاف ضيماً ما حييت

فلما استقرّ رزاح بن ربيعة في بلاده، نشره الله ونشر حُنّا، فهما قبيلا عُذرة[1] اليوم. وقد كان بين رزاح بن ربيعة، حين قدِم بلاده، وبين نهد بن زيد وحوْتكة بن أسلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة شيء، فأخافهم حتى لحِقوا باليمن، وأجلوا من بلاد قضاعة، فهم اليوم باليمن، فقال قُصَيّ بن كلاب - وكان يحبّ قُضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها، لما بينه وبين رزاح من الرحم، ولبلائهم عنده إذا أجابوه إذ دعاهم إلى نُصرته، وكره ما صنع بهم رزاح:

ألا من مبُلّغ عنّي رزاحاً فإنّي قد لَحَيْتُك في اثنتين
لَحَيْتُك في بني نهد بن زيد كما فرَّقتَ بينهمُ وبيني
وحوتكة بن أسلم إن قوماً عنوهم بالمساءة قد عنوني

قال ابن هشام: وتُرْوَى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي.

قُصَيّ يفضّل عبد الدار على سائر ولده: **قال ابن إسحاق**: فلما كبر قُصَيّ ورقّ عظمه، وكان عبد الدار بكرَه، وكان عبد مَناف قد شرُف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب، وعبد العُزّى وعبد. قال قُصَيّ لعبد الدار: أما والله يا بني لألحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك: لا يدخل رجل منهم الكعبة، حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلّا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلّا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلّا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلّا في دارك، فأعطاه

---

(١) في قضاعة: عُذْرَتان: عذرة بن رفيدة، وهم من بني كلب بن وبرة. وعذرة بن سعد، بن سُود، بن أسلم، بن الحاف، بن قضاعة، وأسلُم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة. (الروض ١/١٥١).

داره دار الندوة، التي لا تقضي قريش أمراً من أمورها إلّا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

الرفادة: وكانت الرفادة خَرْجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قُصَيّ بن كلاب، فيصنع به طعاماً للحاجّ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أنّ قُصَياً فرضه على قُريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإنّ الحاج ضيف الله وزوّار بيته، وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحجّ، حتى يصدروا عنكم، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خَرجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيام مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنى للناس حتى ينقضي الحجّ.

قال ابن إسحاق: حدّثني بهذا من أمر قُصَيّ بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده: أبو إسحاق بن يَسار، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب[1] رضي الله عنهم، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له: نُبَيْه بن وهب[2]، بن عامر، بن عكرمة، بن عامر، بن هاشم، بن عبد مَناف، بن عبد الدار، بن قُصَيّ.

قال الحسن: فجعل إليه قُصَيّ كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصَيّ لا يُخالف، ولا يُردّ عليه شيء صنعه.

---

(١) أبو محمد المدني، أبوه: ابن الحنفية، ثقة فقيه، مات سنة مائة، أو قبلها بسنة، انظر التقريب ١/١٧١.

(٢) أنظر تهذيب التهذيب ١٠/٤١٨ ـ ٤١٩ وتقريب التهذيب ٢/٢٩٧.

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قُصَيّ وحلف المطيّبين[1]

النزاع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قُصَيّ بن كلاب هلك، فأقام أمرَه في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده، فاختطوا مكة رِباعاً ـ بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم، وفي غيرهم: من حلفائهم ويبيعونها. فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع، ثم إن بني عبد مناف بن قُصَيّ: عبد شمس وهاشماً والمطّلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيّ مما كان قُصَيّ جعل إلى عبد الدار، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرّقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف في رأيهم؛ يرون أنهم أحقّ به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بني عبد الدار، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قُصَيّ جعل إليهم.

فكان صاحب أمر بني عبد مَناف: عبد شمس بن عبد مَناف، وذلك أنه كان أسنّ بني عبد مَناف.

وكان صاحب أمر بني عبد الدار: عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.

فكان بنو أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وبنو زُهرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرّة بن كعب، وبنو الحارث بن فِهر بن مالك بن النضر، مع بني عبد مَناف.

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مُرّة، وبنو سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب، وبنو عَدِيّ بن كعب،

(١) أنظر فتح الباري ١٠/٥٠٢.

مع بني عبد الدار. وخرجت عامر بن لُؤَيّ ومحارب بن فِهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين.

فعقد كلُّ قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحر صوفة.

فأخرج بنو عبد مَناف جَفنة مملوءة طيباً، فيزعمون أنّ بعض نساء بني عبد مَناف[1]، أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسُمُّوا المطيَّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً، على أن لا يتخاذلوا، ولا يسلّم بعضهم بعضاً، فسُمُّوا الأحلاف.

تقسيم القبائل في هذه الحرب: ثم سوند[2] بين القبائل، ولزّ[3] بعضها ببعض، فعبيت بنو عبد مَناف لبني سهم، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار، وعبيت زُهرة لبني جُمح، وعبيت بنو تَيْم لبني مخزوم، وعبيت بنو الحارث بن فِهر لبني عَدِيّ بن كعب. ثم قالوا: لتَفْن كل قبيلة من أسند إليها.

تصالح القبائل: فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بني عبد مَناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت، ففعلوا ورضي كلُّ واحد من

---

(١) قد سمّاها الزبير في موضعين من كتابه، فقال: هي أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطّلب عمة رسول الله - ﷺ - وتوأمة أبيه. قال: وكان المطيبون يسمون: الدافة: جمع دائف بتخفيف الفاء، لأنهم دافوا الطيب، أي خلطوه. عن (الروض ١/١٥٣ - ١٥٤).

(٢) سوند: من السناد، وهي المقابلة في الحرب بين كل فريق، وما يليه من عدوّه، ومنه أخذ سناد الشعر، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت، فيكون قبل حرف الرويّ حرف مدّ ولين، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الرويّ حرف لِين، وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها.

(٣) لزّ: شدّ.

الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كلّ قـوم مع من حـالفوا. فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسـلام، فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ: **«ما كان من حلف في الجاهلية، فإنّ الإسلام لم يزده إلا شدة»**[1].

---

(١) الحـديث رواه الامام مسلم في صحيحـه، في كتاب فضـائل الصحـابة، بـاب (٥٠) مؤآخاة النبي ﷺ بين أصحابه، رضي الله عنهم، حديث رقم (٢٥٣٠) ٤/١٩٦١.
قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبدالله بن نمير وأبـو أسامـة، عن زكريـاء، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيـه، عن جبير بن مـطعم، قال: قـال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا حلف في الاسلام، وأيّما حِلْفٍ كان في الجاهلية، لم يزده الإسلام إلا شدة».
ورواه أبـو داود في كتـاب الفـرائض، بـاب (١٧) في الحلف، حـديث رقم (٢٩٢٥) ٣/١٢٩
والترمـذي في كتـاب السيـر، بـاب (٢٩) مـا جـاء في الحلف، حـديث رقم (١٥٨٥) ٤/١٤٦ ولفظه عند الترمذي: «أوفوا بحلف الجاهليـة ـ فإنـه لا يزيـده ـ يعني الإسلام ـ إلا شدة، ولا تحدثوا حلفاً في الاسلام»، والدارمي في كتـاب السير، بـاب (٨١) لا حلف في الاسلام. ٢/٢٤٣.
وأحمد في المسند ١/١٩٠ ـ ٣١٧ ـ ٣٢٩
و٢/١٨٠ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ـ ٢١٣ ـ ٢١٥
و٣/١٦٢ ـ ٢٨١ و٤/٨٣ و٥/٦١.

حلف الفضول

سبب تسميته: قال ابن هشام: وأما حلف الفضول(1) فحدّثني زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق، قال: تداعت قبائلُ من قريش إلى

---

(1) ذكر ابن قُتيبَة سبب تسمية هذا الحلف؛ فقال: كان قد سبق قريشاً إلى مثل هذا الحلف جُرهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبِعهم، أحدهم: الفضل بن فَضالة، والثاني: الفضل بن وَداعة، والثالث: فُضَيْل بن الحارث. هذا قول القتبي. وقال الزبير: الفضيل بن شُراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجُرْهميين سُمّي: حلف الفضول، والفضول: جمع فَضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدّم ذكرهم. وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن.

ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى. روى الحُمَيْديُّ، عن سفيان، عن عبدالله، عن محمد وعبدالرحمن ابنَيْ أبي بكر، قالا: قال رسول الله - ﷺ -: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جُدعان حِلْفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن تُرَدّ الفضول على أهلها، وألا يَعُزَّ ظالم مظلوماً». ورواه في مسند الحارث بن عبدالله بن أبي أسامة التميمي، فقد بيّن هذا الحديث: لِم سُمّي حلف الفضول؟

وكان حلف الفضول بعد الفِجَار، وذلك أنّ حرب الفجار كانت في شعبان، وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به، وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلّم به ودعا إليه: الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أنّ رجلاً من زُبيد قدِم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف، فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوماً وجمَح وسَهْماً وعَدِيّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصي ابن وائل، وزَبَرُوه - أي: انتهروه -، فلما رأى الزبيدي الشرّ، أوفى على أبي قُبَيْس عند =

حِلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جُدعان، بن عمرو، بن كعب، بن سعد، بن تَيْم، بن مُرّة، بن كعب، بن لُؤَيّ، لشرفه وسنّه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطّلب، وأسد بن عبدالعُزّى، وزُهرة بن كلاب، وتَيْم بن مُرّة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى تُردّ عليه مظلِمتُه، فسمّت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول.

حديث رسول الله ﷺ فيه: قال ابن إسحاق: فحدّثني محمد بن زيد ابن المهاجر بن قُنْفُذ التيمي[1]، أنّه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري[2] يقول: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد شهدتُ في دار عبدالله بن

= طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا لَلرجال وبين الحِجر والحَجر
إنّ الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الْغُدر

فقال في ذلك الزبير بن عبدالمطّلب، وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزُهرة وتَيم بن مرة في دار ابن جُدعان، فصنع لهم طعاماً، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياماً، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله: ليكوننّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، حتى يؤدّى إليه حقّه ما بلّ بحر صوفة، وما رسا حراء وثبير مكانهما، وعلى التأسّي في المعاش، فسمّت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاصي بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي، فدفعوها إليه.

(١) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ بن عمير بن جدعان القرشي التيمي المدني، رأى ابن عمر، وروى عن أبيه وأمه أم حرام وعمير مولى آبي اللحم، وعبدالله بن عامر وأبي أمامة بن ثعلبة وسالم بن عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب وطلحة بن عبدالله بن عوف ومحمد بن المنكدر وابن سبلان وغيرهم.
وروى عنه الزهري ومالك وهشام بن سعد وعبدالرحمن بن عبدالله بن دينار وآخرون.
قال أحمد: شيخ ثقة. وقال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال أبو داود والعجلي: ثقة.
وعمّر حتى بلغ مائة سنة.
أنظر التهذيب ٩/١٧٣ ـ ١٧٤ والتقريب ٢/١٦٢.

(٢) هو طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري، المدني، القاضي، ابن أخي عبد الرحمن، أبو عبدالله، ويقال: أبو محمد، كان يقال له: طلحة الندى، ولي قضاء المدينة، وروى عن عمه وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبدالرحمن بن عمرو بن سهل وابن عباس وأبي =

جـدعان[1] حِلْفـاً، ما أحبّ أن لي بـه حُمْر النعم، ولـو أُدْعىٰ بـه في الإسـلام لأجبتُ»[2].

الحسين يهـدّد الوليـد بالـدعوة إلى إحيـاء الحلف: قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني يـزيـد بن عبـد الله بن أسـامـة بن الهـادي الليثي[3] أنّ محمـد بن إبراهيم بن الحارث التيمي[4] حـدّثه: أنـه كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما[5]، وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان ـ والوليد يومئذ

= هريرة وعائشة وغيرهم. . .

قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي والعجلي: ثقة.

وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وتوفي بالمدينة سنة سبع وتسعين، وهـو ابن ٧٢ سنة وكذا قـال ابن حبان. وزاد: كـان يكتب الوثـائق بالمـدينـة. . أنـظر تهـذيب التهـذيب ١٩/٥.

(١) وعبدالله بن جدعان هذا تيْمي هو: ابن جدعـان بن عمرو، بن كعب، بن سعـد، بن تَيم، يُكَنّى: أبا زُهير ابن عم عائشة ـ رضي الله عنهـا ـ ولذلـك قالت لـرسول الله ـ ﷺ ـ: إنّ ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامـة؟ فقال: «لا إنـه لم يقل يوماً: ربّ إغفر لي خطيئتي يوم الدين» أخرجه مسلم.

قال ابن قتيبة: وكـانت جفنته يـأكل منهـا الراكب على البعيـر، وسقط فيها صبيّ، فغـرق فيها.

ومدحه أُميّة بن أبي الصلت فقال:

لـه داعٍ بـمـكـة مُـشْـمَـعِـلٌ ... وآخـر فـوق كـعـبـتـهـا يـنـادي
إلى رُدُح مـن الـشِّـيـزَى عـلـيـهـا ... لـبـاب الـبـر يُـلـبـك بـالـشـهـاد

عن (الروض ١/١٥٨).

(٢) رواية ابن اسحاق مـرسلة. فطلحـة تابعي، وهـو يروي عن رسـول الله ـ ﷺ ـ دون أن يذكـر اسم الصحابي الذي حدّثه. والله أعلم.

ورواه الحميدي ـ كما مر آنفاً ـ عن سفيان، عن عبدالله، عن محمد وعبدالرحمن بن أبي بكر مرفوعاً.

والحارث في مسنده. أنظر (الروض الأنف ١/١٥٥ ـ ١٥٦).

(٣) أبو عبدالله المدني، ثقة، مكثر، مات سنة مائة وتسع وثلاثين. التقريب ٢/٣٦٧.

(٤) هو محمد بن ابراهيم بن الحارث بن خـالد التيمي، أبـو عبدالله المـدني، ثقة، لـه أفراد، مات سنة عشرين ومائة على الصحيح. التقريب ٢/١٤٠.

(٥) هـو الحسين بن علي بن أبي طالب الهـاشمي أبو عبـدالله المـدني، سبط رسـول الله ـ ﷺ ـ وريحانته من الدنيا، وأحد سيدَيْ شباب أهل الجنة.

أنظر تهذيب التهذيب ٢/٣٤٥ ـ ٣٥٧.

أمير على المدينة، أمّره عليها عمّه معاوية بن أبي سفيان ـ منازعة في مال كان بينهما بذي المَرْوَة، فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه ـ لسلطانه ـ فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفني من حقّي، أو لآخذنّ سيفي، ثم لأقومنّ في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ ثم لأدعوَنّ بحلف الفضول قال: فقال عبدالله بن الزبير، وهو عند الوليد حين قال الحسين ـ رضي الله عنه ـ ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفي، ثم لأقومنّ معه، حتى يُنْصَفَ من حقّه أو نموت جميعاً. قال: فبلغت المِسْوَر بن مخرمة بن نوفل الزُهْري، فقال مثل ذلك، وبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عُتبة أنصف الحسين من حقّه حتى رضي.

خروج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف: قال ابن إسحاق: وحدّثني: يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهادي الليثي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: قدِم محمد بن جبير بن مطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف ـ وكان محمد بن جُبير أعلم قريش ـ فدخل على عبدالملك بن مروان بن الحَكَم حين قُتل ابن الزبير، واجتمع الناس على عبدالملك، فلما دخل عليه قال له: يا أبا سعيد، ألم نكن نحن وأنتم ـ يعني بني عبد شمس بن عبد مَناف وبني نوفل بن عبد مَناف ـ في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلمْ. قال عبدالملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وأنتم منه، قال: صدقت.

هاشم يتولّى الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: فولّي الرفادة[1] والسقاية: هاشم بن عبد مَناف، وذلك أنّ عبد شمس كان رجلاً سفّاراً قلّما

---

(١) الرفادة: هي إطعام الحاج في كل موسم وشرابهم. (أخبار مكة للأزرقي ٢/١٠٩) وقال الفاسي في شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٢: إن الرفادة كانت في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا (أي إلى عصر الفاسي في النصف الأول من القرن ٩ هـ.) فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمِنى للناس، حتى ينقضي الحاجّ.

يقيم بمكة. وكان مقلاً ذا ولد، وكان هاشم موسراً فكان ـ فيما يزعمون ـ إذا حضر الحج، قام في قريش فقال: «يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله وحجّاج بيته، وهم ضيف الله، وأحقّ الضيف بالكرامة: ضيفه، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بدّ لهم من الإقامة بها؛ فإنه ـ والله ـ لو كان مالي يسع لذلك ما كلّفتكموه، فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم، كل امرئٍ بقَدْر ما عنده، فيُصنع به للحجّاج طعامٌ، حتى يصدروا منها.

أفضال هاشم على قومه: وكان هاشم ـ فيما يزعمون ـ أول من سَنَّ الرحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجّاج بمكة، وإنما كان اسمه: عَمراً، فما سُمّي هاشماً إلا بهشْمه الخبزَ بمكة لقومه، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب[1]:

عمرو الذي هشَم الثريد لقومه ... قوم بمكة مُسْنِتين[2] عِجافُ
سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء، ورحلة الإيلافُ[3]

---

(١) هو ابن الزبَعْرى وسبب هذا المدح، وهو سهمي ـ أي من بني سعد بن سهم ـ لبني عبد مناف ـ فيما ذكره ابن إسحاق في رواية يونس ـ أنه كان قد هجا قُصَيّا بشعرٍ كتبه في أستار الكعبة، أوله:

أَلْهَى قصَيّاً عن المجد الأساطيرُ ... ومِشية مثل ما تمشي الشقارير

فاستَعْدُوا عليه بني سهم، فأسلموه إليهم، فضربوه وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه، فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر، وبأشعار كثيرة. (الروض الأنف ١/١٦١).

(٢) المسنتون: الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة.

(٣) أنظر البيتين أو أحدهما بألفاظ مختلفة في كلٍّ من: أخبار مكة ١/١١٢ والعقد الفريد ٣/٣٢٧، والمعارف لابن قتيبة ١١٧، وتاريخ الطبري ٢/٢٥١ و٢٥٢، وأمالي المرتضى ٢/٢٦٩، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٤٥٣، وشرح شواهد العيني على حاشية خزانة الأدب للبغدادي ١/١٤٠، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٥٨، والروض الأنف ١/١٦١، نهاية الأرب للنويري ١٦/٣٤، والطبقات الكبرى ١/٧٦، وتاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٤٧، وجمهرة النسب لابن الكلبي ١/٩٢.

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز:

قوم بمكة مُسْنِتِين عِجاف

المطّلب يلي الرفادة والسقاية: قال ابن إسحاق: ثم هلك هاشم بن عبد مَناف بغزّة[1] من أرض الشام تاجراً، فوُلِّي السقاية والرفادة من بعده المطّلب بن عبد مَناف، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم، وكان ذا شرف في قومه وفضل، وكانت قريش إنما تسمّيه: الفَيْض؛ لسماحته وفضله.

زواج هاشم بن عبد مَناف: وكان هاشم بن عبد مَناف قدِم المدينة، فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عديّ بن النّجّار[2]، وكانت قبله عند أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَريش[3]. قال ابن هشام: ويقال: الحَريش بن جَحْجَبَى بن كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، فولدت له عمرو بن أُحيحة، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلاً فارقته[4].

سبب تسمية عبدالمطّلب باسمه: فولدت لهاشم: عبدالمطّلب، فسمّته شيبة، فتركه هاشم عندها حتى كان وصِيفاً[5] أو فوق ذلك، ثم خرج إليه عمّه المطّلب؛ ليقبضه، فيلحقه ببلده وقومه، فقالت له سلمى: لست بمرسلته معك، فقال لها المطّلب: إنّي غير منصرف حتى أخرج به معي، إنّ ابن أخي قد بلغ، وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل بيت شرفٍ في قومنا؛ نلي

---

(١) كان عمره يوم مات ٢٥ سنة وقبره بغزة، وقدِم بتركته ومتاعه أبو رهم بن عبد العُزّى بن أبي قيس. (أنساب الأشراف ١/٦٣ رقم ١٢٣).

(٢) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذي يزن أو ابنه معدي كرب بن سيف مالك اليمن لعبدالمطّلب حين وفد عليه في ركْبٍ من قريش: مرحباً بابن أختنا، لأنَّ سلمى من الخزرج، وهم من اليمن من سبأ، وسيف من حِمْيَر بن سبأ. (الروض الأنف ١/١٦١).

(٣) قال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر: إن كل ما في الأنصار فهو: حريس بالسين غير معجمة إلّا هذا. (الروض الأنف ١/١٦٢).

(٤) انظر المحبّر لابن حبيب ٣٩٨، نهاية الأرب، ١٦/٣٦.

(٥) الوصيف: الغلام دون المراهقة.

كثيراً من أمرهم، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم، أو كما قال.

وقال شيبة لعمّه المطّلب ـ فيما يزعمون ـ : لست بمفارِقها إلاّ أن تأذن لي، فأذِنت له، ودفعته إليه، فاحتمله، فدخل به مكة مردِفه معه على بعيره، فقالت قريش: عبدالمطّلب ابتاعه، فيها سُمّي شيبة: عبدالمطّلب. فقال المطّلب: ويحكم! إنما هو ابن أخي هاشم، قدِمْتُ به من المدينة[1].

وفاة المطّلب: ثم هلك المطّلب بردْمان من أرض اليمن، فقالِ رجل من العرب يبكيه:

قد ظميء الحجيج بعد المطّلب بعد الجفان والشراب المنثَغِب[2]
ليت قريشاً بعده على نَصب

مطرود يبكي المطّلب وبني عبد مَناف: وقال مطرود بن كعب الخُزاعيّ[3]، يبكي المطّلب وبني عبد مَناف جميعاً حين أتاه نعيّ نوفل بن عبد مَناف، وكان نوفل آخرهم هُلكا:

يا ليلةً هيَّجتِ ليلاتي إحدى لياليَّ القسِيَّات[4]
وما أقاسي من هموم، وما عالجت من رزء المنيّات
إذا تذكّرت أخي نوفلاً ذكّرني بالأوّليَّات

---

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١/٨٢، تاريخ الطبري ٢/٢٤٦ ـ ٢٤٨، أنساب الأشراف ١/٦٤، ٦٥، الكامل في التاريخ ٢/١١، نهاية الأرب ١٦/٤١، ٤٢.

(٢) ورد هذا البيت بألفاظ مختلفة في: أنساب الأشراف ١/٦١ رقم ١٢٢، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٤.

(٣) انظر بعض الأبيات بألفاظ مختلفة، في. المحبّر لابن حبيب ١٦٣، ١٦٤، والمنمّق له أيضاً ٢٥، وأنساب الأشراف ١/٦٢، ومعجم البلدان ٣/٤٠، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٥.

(٤) القسِيّات: فعيلات من القسوة: أي: لا لين عندهن، ولا رأفة فيهنّ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القَسي، وهو الزائف، وقد قيل في الدرهم القسي: إنه أعجميّ معرّب، وقيل: هو من القساوة، لأن الدرهم الطيّب ألْيَن من الزائف، والزائف أصلب منه، ونصب ليلةً على التمييز. (الروض الأنف ١/١٦٢).

ذكّـرني بـالأُزُرِ الحُمـر والـ ـأرديـة الصُّفْـر القشيبـات
أربـعـة كـلّهـم سـيّـد أبـنـاء سـادات لـسـادات
ميت بـردْمـان وميت بَسلْـ ـمـان وميت بين غَـزّات[1]
وميت أُسكِن لَحْـداً لـدى الـ ـمحجوب شرقي البَنِيّـات[2]
أخلصهم عبـد مَنـاف فهم من لـوم مَنْ لام بـمـنـجـاة
إنَّ المغيـرات[3] وأبنـاءهـا من خيـر أحيـاء وأمـوات

اسم عبد مَناف وترتيب أولاده موتـاً: وكان اسم عبـد مَناف: المغيـرة، وكان أول بني عبد مَناف هُلكا: هاشم، بغزّة من أرض الشـام، ثم عبد شمس بمكـة، ثم المطّلب بـرَدْمان من أرض اليمن، ثم نـوفـلاً بسَلمـان من نـاحيـة العراق[4].

شعر آخر لمطرود: فقيل لمطرود ـ فيما يزعمون ـ لقد قلت فأحسنت، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن، فقال: أنظِروني لياليَ، فمكث أياماً، ثم قال:

يا عين جُودي، وأذْرِي الدمع وانهمري وابكي على السرّ من كعب المُغيرات
يا عين، واسْحَنْفِري[5] بالدمع واحتفلي وابكي خبيئـة نفسي في الملمـات
وابكي على كـلّ فيّـاض أخي ثقـة ضخم الدَّسيعة[6] وهّاب الجزيـلات

---

(١) بغـزّات. هي: غـزة، ولكنّهم يجعلون لكـل نـاحيـة أو لكـل رَبَض من البلدة اسم البلدة، فيقولون: غزّات في غزّة، ويقولون في بغدان: بغادين، كما قال بعض المحدّثين:
شـربـنـا فـي بـغـاديـن عـلـى تـلـك الـمـيـاديـن
ولهذا نظائر، (الروض ١/١٦٣).
(٢) البَنِيّات يعني: البنية، وهي: الكعبة، وهو نحو ما تقدّم في غزّات. (الروض ١/١٦٣).
(٣) المغيرات: بنو المغيرة، وهو عبد مَناف، كما قالوا: المناذرة في بني المنذر، والأشعرون في بني أشعر بن أدَد، (الروض ١/١٦٣).
(٤) أنظر معجم البلدان ٣/٤٠، وأنساب الأشراف ١/٦٣.
(٥) اسحنفري: أديمي.
(٦) ضخم الدسيعة: كثير العطاء.

محض الضريبة، عالي الهمّ، مُختلق | جلد النحيزة، ناء بالعظيمات[1]
صعب البديهة لا نِكس[2] ولا وكل | ماضي العزيمة، متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب إذا نُسبوا | بُحبوحة المجد والشمُ الرفيعات
ثم اندبي الفيض والفياض مُطلبا | واستخرطي[3] بعد فيضات بجمات
أمسى بِرَدْمان عنّا اليوم مغترباً | يا لهف نفسي عليه بين أموات
وابكي - لك الويل - إما كنت باكية | لعبد شمس بشرقي الثنيَّات
وهاشم في ضريح وسط بَلقعة | تسفي الرياح عليه بين غزّات
ونَوْفل كان دون القوم خالصتي | أمسى بسلْمان في رَمس بموْماة[4]
لم ألق مثلهم عُجْماً ولا عرباً | إذا استقلّت بهم أُدم[5] المطيات
أمست ديارهُم منهم معطّلة | وقد يكونون زينا في السَّريّات[6]
أفناهم الدهر، أم كلّت سيوفهم | أم كل من عاش أزواد المنيّات
أصبحت أرضي من الأقوام بعدهم | بسط الوجوه وإلقاء التحيات
يا عين فابكي أبا الشُّعث الشجيات | يبكينه حسراً مثل البليّات[7]

---

(١) الضريبة: الطبيعة أي عظيم الخلْق. ناء بالعظيمات. ليس قوله: ناء من النأي، فتكون الهمزة فيه عين الفعل، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض، فالهمزة فيه لام الفعل، كما هو في جاء عند الخليل، فإنه عنده مقلوب، ووزنه: فالع، والياء التي بعد الهمزة هي: عين الفعل في جاء يجيء. (الروض ١/١٦٣).

(٢) النِكس: الدنيء.

(٣) استخرطي: استكثري.

(٤) الموماة: القفر.

(٥) الأدم: الإبل الكرام.

(٦) السريات: جمع سرية. الجماعة من الجيش.

(٧) شدّد الياء من الشجيّات، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: ياء الشجي مخففة، وياء الخلي مشدّدة، وقد اعترض ابن قُتيبة على أبي تمام الطائي في قوله:

أيا ويح الشَّجيّ من الخَليِّ | وويح الدمع من إحدى بَليّ

واحتجّ بقول يعقوب في ذلك، فقال له الطائي: ومن أفصح عندك: ابن الجرمُقانية يعقوب، أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول:

ويلي الشجيِّ من الخلي فإنه | وَصِب الفؤاد بشجوه مغموم

وبيت مطرود أقوى في الحجّة من بيت أبي الأسود الدؤلي، لأنه جاهليّ محكَّك، وأبو الأسود: =

يبكين أكـرم من يمشي عـلى قـدم	يُعْـوِلنـه بـدمـوع بعـد عبـرات
يبكين شخصاً طويل الباع ذا فَجَـر[1]	آبى الهضيمـة، فـراج الجليـلات
يبكين عمـرو العلا إذ حـان مصرعـه	سمـح السجيـة، بسـام العشيّـات[2]
يبكينـه مـستكينـات على حَـزَن	يـا طـول ذلـك من حـزن وعـوْلات
يبكين لمّـا جـلاهن الـزمـان لـه	خضـر الخدود كـأمثـال الحمِيات[3]
محتـزمـات على أوسـاطهنّ لمـا	جـرّ الزمـان من أحداث المصيبات
أبـيت لـيلي أراعـي النجم مـن ألم	أبكي، وتبكي معي شجـوى بُنيَّـاتي
مـا في القـروم لهم عِـدل ولا خـطر	ولا لمن تـركـوا شَـروى بـقيـات
أبنـاؤهم خيـر أبنـاء، وأنـفسهم	خيـر النفـوس لـدى جَهـد الأليـات

= أول من صنع النحو، فشعره قريب من التوليد، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال: شجيّ وشَجٍ، لأنه في معنى: حزن وحزين، وقد قيل: من شدّد الياء، فهو فعيلٍ بمعنى مفعول. والبليّات مفردها البليَّة: الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات، حتى تموت جوعاً وعطشاً، ويقولـون: إنه يحشـر راكباً عليهـا، ومن لم يفعل معه هذا حشـر راجلاً، وهـذا على مذهب من كـان منهم يقول بالبعث، وهم الأقلّ، ومنهم زهير، فإنه قال:

يؤخّـر فيـوضـع في كتـاب فيُـدَّخَـر ... لِيـوم الحسـاب، أو يُعجـل فَيُنْقَم

وقال الشاعر في البلية:

والبـلايـا رؤوسهـا فـي الـولايـا ... مـانـحـات السَّمـوم حُـرَّ الخُـدود

والولايا: هي البراذع، وكانوا يثقبون البـرذعة، فيجعلونهـا في عنق البلية، وهي معقـولة، حتى تموت، وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا:

لا تـتـركـن أبـاك يـحشـر مـرة ... عَـدْوا يخر على اليـدين، ويَنكُب

في أبيات ذكرها الخطابي. (الروض الأنف ١/١٦٤، ١٦٥).

(١) الفجر؛ الجود، شبه بانفجار الماء. ويروى ذا فَنَع، والفنع: كثرة المال.

(٢) بَسَّام العشيات: يعني: أنه يضحك لـلأضياف، ويبسم عنـد لقائهم، كمـا قال الآخـر، وهو حاتم الطائي:

أضـاحـك ضيفي قبـل إنـزال رحله ... ويَخصِب عنـدي، والمَحَـلّ جـديب

وما الخصب للأضيـاف أن يَكثُر الْقِـرى ... ولـكنمـا وجـه الـكـريم خصيـب

(٣) كأمثال الحميات. أي: محترقات الأكباد كـالبقر أو الـظباء التي حمِيت المـاء وهي عاطشة، فحمية بمعنى محمية. لكنها جاءت بالتاء، لأنهـا أجريت مجـرى الأسماء كـالرميـة والضحية والطريدة. وفي معنى الحمى قول رؤبة:

قَواطن مكة من وُرقِ الحِمي

يريد الحمام المحمي، أي: الممنوع. (الروض ١/١٦٥).

كم وهبــوا من طِمِــرّ ســابــح أرن ... ومـن طِمِــرَّة نـهب فـي طمــرات[1]
ومن سيــوف من الهنـدي مُخلَصــة ... ومن رمـاح كـأشــطان الـركيــات[2]
ومن تــوابــع ممــا يُـفضـلون بهــا ... عنـد المسـائـل من بـذل العـطيـات
فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معي ... لم أقض أفعــالهم تـلك الهـنيــات
هم المــدلـون إمــا معشـر فخــروا ... عنــد الفخــار بــأنســاب نـقيــات
زين البيــوت التي حلُّوا مســاكنهــا ... فــأصبحت منهم وحشــا خليــات
أقـول والعين لا تـرقــا مـدامعهــا: ... لا يُبْعــد الله أصحــاب الــرزيــات

قال ابن هشام: الفَجَر: العطاء.

قال أبو خراش الهذلي:

عَجَّف أضيــافي جميــل بن معمــر ... بــذي فَجَـر تــأوي إليــه الأرامــل

قال ابن إسحاق: أبو الشُّعث الشجيَّات: هاشم بن عبد مَناف.

عبـد المطّلب يلي السقـاية والـرفادة: ثم وُلّي عبـد المطّلب بن هـاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطّلب، فأقامها للناس، وأقام لقـومه مـا كان آبـاؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبّه قومه وعظُم خطره فيهم[3].

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخُلْف فيها[4]

سبب حفر زمزم: ثم إنَّ عبدالمطّلب بينما هو نائم في الحجْر إذ أُتـي، فأُمر بحفر زمزم.

---

(١) الطمر: الفرس الخفيف السريع.
(٢) أشطان الركيات: حبال الآبار.
(٣) شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٢٦.
(٤) الطبقات الكبـرى ١/٨٣، أخبار مكـة للأزرقي ٢/٤٢، الكـامل في التـاريخ ٢/١٢، نهـاية الأرب ١٦/٤٣، السيرة لابن كثير ١/١٦٧، تهـذيب سيرة ابن هشـام ٣١، شرح المـواهب للزرقاني ١/٩٣، البدء والتاريخ ٤/١١٣.

قال ابن إسحاق: وكان أول ما ابتدىء به عبدالمطّلب من حفرها، كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري، عن مَرثد بن عبد الله اليزني، عن عبد الله بن زُرَير الغافقي: أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدّث حديث زمزم حين أُمر عبدالمطّلب بحفرها، قال:

قال عبدالمطّلب: إنّي لنائم في الحجْر، إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طيبة. قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنّي. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر بَرّة. قال: فقلت: وما برّة؟ قال: ثم ذهب عنّي، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة. قال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عنّي. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم[1]. قال: قلت: وما زمزم؟ قال لا تنزف أبداً ولا تذم[2]، تسقي الحجيج

---

(١) من أسماء زمزم: هزمة جبريل، وسقيا الله اسماعيل، لا شرق، ولا تدم، وهي بركة، وسيّدة، ونافعة، ومضنونة، وعونة، وبشرى، وصافية، وَبرَّة، وعصمة، وسالمة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومغذّية، وطاهرة، ومفدّاة، وحرمية، ومروية، ومؤنسة، وطعام طعم، وشفاء سقم، وطيبة، وتكتم، وشبّاعة العيال، وشراب الأبرار، وقرية النمل، ونقرة الغراب، وهزمة إسماعيل وحفيرة العباس، وسابق، وغيره. (انظر: المشترك وضعاً لياقوت الحموي ١٤٠ و١٤١ وشفاء الغرام ـ بتحقيقنا ـ ١/٤٠٤ و٤٠٥).

(٢) لا تنزف أبداً: وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله، فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين، أقواها وأكثرها ماء: من ناحية الحجر الأسود، وذكر هذا الحديث الدارقطني. (الروض ١/١٧٠).

وقوله: ولا تذم، فيه نظر، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمّها أحد، ولو كان من الذمّ لكان ماؤها أعذب المياه، ولتضلّع منه كل من يشربه، وقد ورد في الحديث أنه لا يتضلع منها منافق، فماؤها إذاً مذموم عندهم، وقد كان خالد بن عبدالله القسري أمير العراق يذمّها، ويسمّيها: أم جعلان، واحتفر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبدالملك، وجعل يفضّلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرّك بها دون زمزم جرأة منه على الله ـ عزّ وجلّ ـ وقلّة حياء منه، وهو الذي يُعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ على المنبر، وإنما ذكرنا هذا، أنها قد ذمت، فقوله إذا: لا تذم، من قول العرب: بئر ذَمَّة أي: قليلة الماء، فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة: كما تقول: أجبنتُ الرجل: إذا وجدته جباناً، وأكذبته إذا وجدته كاذباً، وفي التنزيل: «فإنهم لا =

الأعظم، وهي بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل[1].

قريش تنازع عبدَ المطّلب في زمزم: قال ابن إسحاق: فلما بُيّن له شأنها، ودُلّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدق، غدا بِمِعْوَلِه ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطّلب، ليس له يومئذٍ ولد غيره، فحفر فيها. فلما بدا

= يكذِّبونك» وقد فسّر أبو عُبَيد في غريب الحديث قوله حتّى مررنا ببئر ذمة: وأنشد:

مَخَيِّسَةٌ خُزْراً كأنّ عيونها ... ذِمام الرَّكايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حُمل عليه معنى قوله: ولا تذم؛ لأنه نفي مطلق، وخبر صادق - والله أعلم - (الروض ١/١٧٠) والموائح جمع مائحة وهو من ينزل البئر بدلوه فيملؤه وذلك من قلة مائها.

(١) فسُمّيت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام وقيل له: احتفر بَرَّة، وهو اسم صادق عليها أيضاً، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجّار، وقيل له: احفر المضنونة. قال وهب بن منبّه: سُمّيت زمزم: المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يَتَضَلّع منها منافق، وروى الدارقطني ما يقوّي ذلك مسنداً عن النبيّ - ﷺ: «من شرب من زمزم فليتضلّع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين، لا يستطيعون أن يتضلّعوا منها» أو كما قال. وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى، رواها الزبير: أنّ عبدالمطلب قيل له: احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك. أما الفرث والدم، فإنّ ماءها طعام طُعْم، وشفاء سُقْم، وهي لما شُربت له، وقد تقوّت من مائها أبو ذرّ - رضي الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة، فسمن حتى تكسّرت عُكَنُه. (الروض ١/١٦٨). أما الغراب الأعصم، قال القتبي: الأعصم من الغربان الذي في جناحيه بياض، فالغراب في التأويل: فاسق، وهو أسود، فدلّت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان، فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذِن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقِبلة الرحمن، وسُقيا أهل الإيمان، وذلك عندما يرفع القرآن، وتحيا عبادة الأوثان. وفي الصحيح عن رسول الله - ﷺ - «ليخربنّ الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْن من الحبشة» وفي الصحيح أيضاً من صفته: أنه «أفْحَجُ» وهذا أيضاً ينظر إلى كون الغراب أعصم؛ إذ الفحج: تباعُدٌ في الرِّجلين، كما أن العَصَم اختلاف فيهما، والاختلاف: تباعد.

وأما قرية النمل، ففيها من المشاكلة أيضاً، والمناسبة: أنّ زمزم هي عين مكة التي يرِدُها الحجيج والعُمّار من كل جانب، فيحملون إليها البُرّ والشعير، وغير ذلك، وهي لا تُحرث ولا تُزرع، كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام: «ربنا إني أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع». إلى قوله: «وارزقهم من الثمرات» وقرية النمل لا تُحرث ولا تُبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، وفي مكة قال الله سبحانه: «وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان». (الروض ١/١٦٩).

لعبد المطّلب الطيّ[1]، كبّر.

التحاكم في بئر زمزم: فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبدالمطّلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقاً فأشْرِكنا معك فيها. قال: ما أنا بفاعل، إنَّ هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، وأُعْطِيته من بينكم، فقالوا له: فأنصِفْنا، فإنَّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيْم[2]، قال. نعم قال: وكان بأشراف الشام[3]، فركب عبدالمطّلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مَناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض إذ ذاك مفاوز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبدالمطّلب وأصحابه، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنّا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبدالمطّلب ما صنع القوم، وما يتخوّف على نفسه وأصحابه، قال: ما ترون؟ قالوا ما رأينا إلاّ تبع لرأيك، فمُرْنا بما شئت، قال: فإنّي أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوّة - فكلّما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروْه - حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضِيعة[4] رجل واحد أيسر من ضِيعة ركْب جميعاً قالوا: نِعم ما أمرت به. فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إنَّ عبدالمطّلب قال لأصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا، لَعَجْز،

---

(١) قال الخشني: الطيّ: الحجارة التي طويت بها البئر، سُمّيت بالمصدر. وفي طبقات ابن سعد ١/٨٣ «الطويّ: أي البئر المطويّة بالحجارة.

(٢) وقيل: «سعد ابن هذيم» - بإثبات الألف في ابن - بين سعد وهذيم، أبو قبيلة، وهو ابن زيد ابن ليث بن سود، لكن حضنه عبد حبشيّ أسود اسمه هذيم فغلبه عليه، ونُسب إليه، انظر الخشني ١/٥٠.

(٣) بأشراف الشام: أي ما ارتفع من أرضها.

(٤) ضِيعة: بكسر الضاد، أي غير مفتقد ولا متعهد.

فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحِلُوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم فاعلون، تقدّم عبدالمطّلب إلى راحلته فركبها. فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عين ماءٍ عذْب، فكبّر عبدالمطّلب، وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا. ثم قالوا: قد ـ والله ـ قُضي لك علينا يا عبدالمطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنَّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

قال ابن إسحاق: فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم، وقد سمعت من يحدّث عن عبدالمطّلب أنه قيل له حين أُمر بحفر زمزم:

ثم ادع بالماء الرَّويِّ غير الكَدِر يسقي حجيج الله في كل مَبَر[1]
ليس يخاف منه شيء ما عَمَر

فخرج عبدالمطّلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال: تعلّموا أنّي قد أُمرت أن أحفر لكم زمزم، فقالوا: فهل بُيّن لك أين هي؟ قال: لا. قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يك حقّاً من الله يبيّن لك، وإنْ يك من الشيطان فلن يعود إليك. فرجع عبدالمطّلب إلى مضجعه، فنام فيه، فأُتي فقيل له: احفر زمزم، إنك إنْ حفرتها لم تندم، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل لم يُقسم، يَنْذِر فيها ناذر لمُنعِم، تكون ميراثاً وعقداً مُحكَم، ليست كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم.

---

(١) وقوله: ماء رويّ بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمدّ. وفيه: مَبَر: هو مفعل من البرّ، يريد: في مناسك الحجّ ومواضع الطاعة.

قال ابن هشام: هذا الكلام، والكلام الذي قبله، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله: «لا تنزف أبداً ولا تذم» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعراً.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك، قال: وأين هي؟ قيل له عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غدا. والله أعلم أيّ ذلك كان.

عبدالمطّلب يحفر زمزم: فغدا عبدالمطّلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذٍ ولد غيره، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين: إساف ونائلة[1]، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها. فجاء بالمِعْول وقام ليحفر حيث أُمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه، فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبدالمطّلب لابنه الحارث: ذد عنّي حتى أحفر، فوالله لأمضينّ لما أُمِرت به. فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر، وكفّوا عنه، فلم يحفر إلّا يسيراً، حتى بدا له الطيّ، فكبّر وعرف أنه قد صُدِق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللّذان دفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة، ووجد فيها أسيافاً قَلْعيَّة[2] وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبدالمطّلب، لنا معك في هذا شرك وحقّ، قال: لا، ولكن هلُمّ إلى أمر نصف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح، قالوا: وكيف تصنع: قال: أجعل للكعبةِ قِدْحين، ولي قِدْحين ولكم قِدْحين، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له، ومن تخلّف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفت، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين

---

(١) في حديث لعائشة رضي الله عنها: «ما زلنا نسمع أن إسافاً ونائلة ـ رجل وامرأة من جُرْهم ـ زَنَيا في الكعبة فمُسِخا حجرين». انظر: أخبار مكة ١١٩/١، الأصنام للكلبي ٢٩، مروج الذهب ٥٠/٢، تاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٧٠، الروض الأنف ١٠٥/١، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٦٠/١.

(٢) أسيافاً قلعية: القلعية نسبة الى القلعة، بفتح فسكون، والمسمّى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند، والثاني باليمن، وإليهما معاً تُنسب السيوف القلعية.

لعبدالمطّلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب بها عند هُبَل ـ وهُبَل: صنم في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم، وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أُحُد حين قال: أعْلِ هُبَل أي: أظهِرْ دينك ـ وقام عبدالمطّلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، فضرب صاحب القِداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، وخرج الأسودان في الأسياف، والادراع لعبدالمطّلب، وتخلّف قِدحا قريش. فضرب عبدالمطّلب الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالين من ذهب، فكان أوّل ذهب حليته الكعبة ـ فيما يزعمون ـ ثم إنَّ عبدالمطّلب أقام سقاية زمزم للحجّاج.

ذكر بئار قبائل قريش

قال ابن هشام: وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة[1]، فيما حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق، قال:

عبد شمس يحفر الطويّ: حفر عبد شمس بن عبد مَناف الطوِيّ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء، دار محمد بن يوسف[2].

هاشم يحفر بذّر: وحفر هاشم بن عبد مَناف بذّر[3]، وهي البئر التي

---

(١) ذكروا أنّ قُصَيّاً كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها: بئر ميمون الحضرمي، وكان ينبذ لهم الزبيب.
ثم احتفر قُصيٌّ العَجُولَ في دار أم هانيء بنت أبي طالب، وهي أول سقاية احتُفرت بمكة، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا، فقالوا:
نُروى على العجول، ثم ننطلق إنّ قُصَيّاً قد وفى وقد صدق
فلم تزل العجول قائمة حياةَ قُصَيّ، وبعد موته، حتى كبُر عبد مَناف بن قُصَيّ، فسقط فيها رجل من بني جُعَيْل، فعطّلوا العجول، واندفنت. (انظر الروض الأنف ١/١٧٢).

(٢) أخبار مكة ٢/٢١٧، ٢١٨ وفي فتوح البلدان للبلاذري ١/٦٥ أن سُبَيعة بنت عبد شمس قالت في الطويّ:
إنّ الطويّ إذا شربتم ماءها صوبُ الغمام عذوبةً وصفاءَ

(٣) لفظ بذّر مأخوذ من التبذير، وهو التفريق، ولعلّ ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد.

عند المستنذر[1]، خطم الخَندَمة، على فم شِعْب أبي طالب، وزعموا أنه قال حين حفرها: لأجعلنّها بلاغاً للناس.

قال ابن هشام: وقال الشاعر.

سقى الله أمواهاً عرفتُ مكانها ... جُراباً ومَلْكُوماً وبذَّر والغَمْرا[2]

سجلة والاختلاف فيمن حفرهما: قال ابن إسحاق: وحفر سجْلة، وهي بئر المُطْعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف التي يسقون عليها اليوم. ويزعم بنو نوفل أنّ المُطْعِم ابتاعها من أسد بن هاشم، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم، فاستغنوا بها عن تلك الآبار[3].

أُميَّة بن عبد شمس يحفر الحَفْر: وحفر أميّة بن عبد شمس الحفْر[4] لنفسه.

بنو أسد تحفر سقية: وحفرت بنو أسد بن عبد العُزَّى: سُقَيَّة[5]، وهي

---

(١) المستنذر: جبل يسمّى أيضاً الأبيض قريب من الخندمة.

(٢) وانظر: أخبار مكة ٢/٢١٦، ومعجم ما استعجم ١/٢٣٥، ٢٣٦، ومعجم البلدان ١/٣٦١. وشفاء الغرام ٢/١٤٢ (بتحقيقنا)، والروض الأنف ١/١٧٣.

(٣) ويقال أن قصيّ هو الذي حفرها وقال في ذلك:

أنا قصيّ، وحفرت سجْله ... تروي الحجيج زُغلة فزُغْلة

وقيل: بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعديّ بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم:

نحن وهبنا لعديّ سجْله ... تروي الحجيج زُغْلة فزُغْلة

(الروض ١/١٧٢، ١٧٣) والزغلة: الجرعة. وانظر: فتوح البلدان ١/٥٦، وأخبار مكة ٢/٢١٧، ومعجم ما استعجم ٣/٧٢٤، ومعجم البلدان ٣/١٩٣، وشفاء الغرام ١/٥٤٥ وفيه انها عند مسجد الراية. وانظر ١/٥٤٣ (بتحقيقنا).

(٤) ذكرها ياقوت مرتين في المعجم ٢/٢٧٥ فقال: حَفْر: بئر لبني تميم بن مُرّة بمكة. وفي ٢/١٤٧ الجفْر: بالجيم. كذلك أثبتها في أخبار مكة ٢/٢١٨ بالجيم «الجفْر»، وفي فتوح البلدان ١/٥٦.

(٥) هكذا في أصول السيرة، وأصول أخبار مكة ٢/٢١٨. وفي: فتوح البلدان ١/٥٧، ومعجم ما استعجم ٣/٧٢٥ و ٨٠٥، ومعجم البلدان ٣/٣٥٣، والروض الأنف ١/١٧٤ «شُفَيّة» بالشين المضمومة.

بئر بني أسد[1].

بنو عبد الدار تحفر أم أحْراد: وحفرت بنو عبد الدار: أم أحْراد[2].

بنو جُمَح تحفر السُنْبُلَة: وحفرت بنو جُمَح: السنبلة، وهي بئر خَلَف بن وهْب[3].

بنو سهم تحفر الغَمْر: وحفرت بنو سهم: الغَمْر، وهي بئر بني سهم[4].

---

(١) وهذه البئر تسمّى أيضاً شفيَّة بئر بني أسد، فقال فيها الحويرث بن أسد:

ماء شفية كماء المُزْن ... وليس ماؤها بطرْق أجن

(الروض ١/١٧٤).

(٢) وأما أم أحراد، فأحراد: جمع: حرد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سُمّيت بهذا، لأنها تنبت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا والحرْد: القَطا الواردة للماء، فكأنها تردها القطا والطير، فيكون أحراد جمع: حُرْد بالضمّ على هذا. وقالت أُميَّة بنت عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبدالدار امرأة العوّام بن خُوَيْلد حين حفرت بنو عبدالدار أم أحراد:

نحن حفرنا البحر أم أحراد ... ليست كبَذر البرور الجماد

فأجابتها ضُرَّتُها: صفيّة بنت عبدالمطّلب أم الزبير بن العوّام رضي الله عنه:

نحن حفرنا بذْرْ ... نسقي الحجيج الأكبرْ

من مقبل ومدبر ... وأم أحراد شَرّ

(الروض ١/١٧٣) وانظر: أخبار مكة ٢/٢٢٢.

(٣) وأما سُنْبُلَة: بئر بني جُمَح، وهي بئر بني خلف بن وهْب ـ فقال فيها شاعرهم:

نحن حفرنا للحجيج سُنْبُلَه ... صوب سحاب ذو الجلال أنزله

ثم تركناها برأس القُنْبُلَه ... تصبّ ماء مثل ماء المعبله

نحن سقينا الناس قبل المسئله

(الروض ١/١٧٥) وانظر: معجم البلدان ٣/٢٦١، وأخبار مكة ٢/٢١٩، وفتوح البلدان ١/٥٧، ومعجم ما استعجم ٣/٧٥٩.

(٤) وقال فيها بعضهم:

نحن حفرنا الغمر للحجيج ... تثجّ ماءً أيما ثجيج

(الروض ١/١٧٥) وانظر: أخبار مكة ٢/٢٢٠، وفتوح البلدان ١/٥٨، ومعجم ما استعجم ٣/١١٠٣، ومعجم البلدان ٤/٢١١.

أصحاب رُمّ وخُمّ والحفرة: وكانت آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة من عهد مُرَّة بن كعب، وكِلاب بن مُرَّة، وكُبراء قريش الأوائل منها يشربون وهي رُمّ[1]. ورُمّ: بئر مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ. وخُمّ[2]، وخُمّ: بئر بني كِلاب بنْ مُرَّة، والحَفْر.

قال حُذَيفة بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ:

قال ابن هشام: وهو أبو أبي جهْم بن حُذَيْفة:

وقِدْما غنينا قبل ذلك حِقبة ... ولا نستقي إلّا بخُمّ أو الحَفر

قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

فضل زمزم على سائر المياه: قال ابن إسحاق: فَعَفَّتْ[3] زمزم على المياه[4] التي كانت قبلها يسقي عليها الحاجّ، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام؛ ولفضلها على ماسِواها من المياه؛ ولأنها بئر إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام[5].

بنو عبد مَناف يفتخرون بزمزم: وافتخرت بها بنو عبد مَناف على قريش

---

(١) رُمْ بئر بني كلاب بن مُرّة، فمن رممت الشيء إذا جمعته وأصلحته، ومنه الحديث: كنا أهل ثُمّة ورُمّة، ومنه: الرمان في قول سيبويه، لأنه عنده فُعلان، وأما الأخفش فيقول فيه: فعال، فيجعل فيه النّون أصلية، ويقول: إن سميت به رجلاً صرفته. ومن قول عبد شمس بن قُصَيّ:

حفرت رُمّاً، وحفرت خُمّا ... حتى ترى المجد بها قد تمّا

(الروض ١/١٧٤) وانظر: فتوح البلدان ١/٥٧، وأخبار مكة ٢/٢١٤، ومعجم البلدان ٣/٧٠.

(٢) وأما خُمّ وهي بئر مُرّة، فهي من خممت البيت إذا كنسته، ويقال؛ فلان مخموم القلب أي: نقيّه، فكأنها سُمّيت بذلك لنقائها. (الروض ١/١٧٤) وانظر: أخبار مكة ٢/٢١٤، وفتوح البلدان ١/٥٧، ومعجم البلدان ٢/٣٨٩، و٣/٧٠، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٤١.

(٣) عفّت على المياه: غطّت عليها وأذهبتها.

(٤) في نسخة الأبياري والسّقّا ١/١٥٠ «البئار».

(٥) أنظر في فصل زمزم ٢/٤٩ وما بعدها، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٤٠٦ وما بعدها.

كلّها، وعلى سائر العرب، فقال مسافر[1] بن أبي عمرو[2] بن أُميَّة بن عبد مَناف، وهو يفخر على قريش بما وُلُّوا عليهم من السقاية والرفادة، وما أقاموا للناس من ذلك، وبزمزم حين ظهرت لهم، وإنَّما كان بنو عبد مَناف أهل بيت واحد، بعضهم لبعض شرف، وفضل بعضهم لبعض فضل.

ورِثْنا المجدَ من آبا ... ئنا فنَمَى بنا صُعُدا
ألم نسْقِ الحجيجَ وننـ ... ـحَرُ الدّلَّافَة[3] الرُّفُدا[4]
ونُلْقَى عند تصريف الـ ... ـمنايا شُدَّدا رُفُدا[5]
فإنْ نهلِك، فلم نُمْلَك ... ومن ذا خالداً[6] أبداً[7]
وزمزم في أُرومتنا ... ونفقأ عينَ من حَسَدا

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال حُذَيفة بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ:

وساقي الحجيج، ثم للخبز هاشم ... وعبد مَناف ذلك السيد الفِهْري
طوى زمزماً عند المقام، فأصبحت ... سقايته فخراً على كلّ ذي فخر

---

(١) مسافر: أحد شعراء قريش، كان يناقض عمارة بن الوليد. وله شعر في هند بنت عتبة بن ربيعة وكان يهواها. وكان سيّداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وإنما سُمّوا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مارّاً طريقاً ولا محتاجاً يجتاز بهم ألا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعن. (الأغاني ٨/٤٨ بولاق).

(٢) واسم أبي عمرو: ذكوان، وهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

لَيْتَ شِعْرِي مسافر بن أبي عمـ ... ـرو، ولَيْتٌ يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضح الرمان والزيتون

في شعر يرثيه به، وكان مات من حبّ صَعْبَة بنت الحضرميّ. (الروض الأنف ١/١٧٥).

(٣) الدّلّافة: المراد بها الإبل التي تمشي متمهّلة لكثرة سمنها. وفي الأغاني ٩/٥٥ «المذلاقة».

(٤) الرفد: جمع رفود من الرِّفد، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب. (الروض ١/١٧٥).

(٥) هو جمع رفود أيضاً من الرِّفد وهو: العون. (الروض ١/١٧٥)

(٦) وفي طبعة الابياري والسقّا ١/١٥١ «ومن ذا خالد».

(٧) في الأغاني ـ طبعة دار الكتب ٩/٥٥ «وهل من خالدٍ خلدا».

قال ابن هشام: يعني عبد المطّلب بن هاشم. وهذان البيتان في قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

ذِكر نَذْر عبد المطّلب ذبْح ولده[1]

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطّلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن ولد له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه؛ لينحرنَّ أحدّهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قِدْحا ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني. ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هُبَل في جوف الكعبة، وكان هُبَل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدَى للكعبة.

قِداح هُبَل السبعة: وكان عند هُبَل قِداح سبعة، كل قِدْح منها فيه كتاب. قِدْح فيه (العقل)، إذا اختلفوا في العَقْل[2] من يحمله منهم، ضربوا بالقِداح السبعة، فإنْ خرج العقل فعلى من خرج حَمله. وقِدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يُضرب به القِداح، فإن خرج قِدح نعم، عملوا به. وقِدح فيه (لا) إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القِداح، فإنْ خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقِدْح فيه: (مِنكم) وقِدْح فيه (مُلْصَق): وقِدْح فيه (مِن غيرِكم) وقِدْح فيه: (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، أو يُنكحوا منكحاً، أو يَدفنوا ميتاً، أو

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٨٨، نهاية الأرب ١٦/٥٠، شرح المواهب ١/٩٤، الروض الأنف ١/١٧٦، السيرة لابن كثير ١/١٧٤، تاريخ الطبري ٢/٢٣٩، أنساب الأشراف ١/٧٨، البدء والتاريخ ٤/١١٤.

(٢) العقل: الدِيَة.

شكّـوا في نَسَب أحدهم، ذهبـوا به إلى هُبَـل وبمئة دِرهم وجَـزُور، فأعـطوها صاحبَ القِداح الـذي يضرب بهـا، ثم قرّبـوا صاحبهم الـذي يريـدون به مـا يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كـذا وكذا، فـأخرج الحَقَّ فيه. ثم يقولـون لصاحب القِـداح: اضرب: فـإن خرج عليـه: (منكم) كان منهم وسيطاً. وإنْ خرج عليه: (من غيركم) كان حليفاً، وإن خرج عليه: (مُلصق) كان على منزلته فيهم، لانَسَب له، ولا حِلف، وإن خـرج فيه شيء، مما سوى هذا مما يعملون به (نعم) عملوا به، وإن خـرج: (لا) أخَّروه عـامه وذلك حتّى يأتوه به مرّة أخرى، ينتهـون في أمورهم إلى ذلـك مما خـرجت به القِداح[1].

عبد المطّلب يحتكم إلى القِداح: فقال عبد المطّلب لصـاحب القِداح: اضرب على بَنيّ هؤلاء بقِداحهم هذه، وأخبره بنـذره الذي نـذر، فأعـطاه كلَّ رجل منهم قِدْحَه الذي فيـه اسمه، وكـان عبدالله بن عبـد المطّلب أصغـر بني أبيـه[2]، كان هـو والزبيـر وأبو طـالب لفاطمـة بنت عمرو بن عـائذ بن عبـد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم[3].

---

(١) أنـظر عن هذا المـوضوع: بلوغ الأرب في أحـوال العرب لـلألوسي ٣/ ٧٠ ـ ٧٥ والقِـدح: بالكسر: السهم قبل أن يراش ويُنصل.

(٢) وهـذا غير معـروف، ولعلّ الـرواية: أصغـر بني أمّه، وإلاّ فحمـزة كان أصغـر من عبـدالله، والعبّاس: أصغر من حمزة، وروي عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: أذكر مولد رسـول الله ـ ﷺ ـ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحـوها، فجيء بي حتى نـظرت إليه، وجعـل النسوة يقلن لي: قبِّلْ أخاك، قبِّلْ أخاك، فقبّلتـه. فكيف يصح أن يكـون عبدالله هـو الأصغر مـع هذا؟! ولكن رواه البكّائي كما تقدّم، ولروايته وجه، وهو أن يكون أصغـر ولد أبيـه حين أراد نحره، ثم وُلد له بعد ذلك حمزة والعباس. (الروض الأنف ١/ ١٧٦).

(٣) والصحيح ما قاله ابن هشام؛ لأنّ الزُبَيريّين ذكروا أنّ عبداً هو أخو عائذ بن عمران، وأنّ بنت عبد هي: صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قـول ابن إسحاق؛ لأنهـا كانت لـه عمّة، لا بنت عمّ، فقد تكرّر هذا النَّسَب في السيرة مراراً، وفي كل ذلك يقول ابن اسحاق: عائذ بن عبد ابن عمران، يخالفه ابن هشام. وصخرة بنت عبد أمّ فاطمة أمّها تخمر بنت عبـد بن قُصَيّ، وأم تخمر سلمى بنت عُميرة بن وديعة بن الحارث بن فِهْر. (الروض ١/ ١٧٥).

خروج القِداح على عبدالله: قال ابن إسحاق: وكان عبدالله ـ فيما يزعمون ـ أحبّ ولد عبد المطّلب إليه، فكان عبد المطّلب يرى أنّ السهم إذا أخطأه فقد أشوى[1]. وهو أبو رسول الله ـ ﷺ ـ فلما أخذ صاحب القِداح ـ القِداح ـ ليضرب بها، قام عبد المطّلب عند هُبَل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القِداح، فخرج القِدْح على عبدالله.

عبد المطّلب يحاول ذبح ابنه ومنع قريش له: فأخذه عبد المطّلب بيده وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطّلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعذر فيه. لئن فعلتَ هذا لايزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟!.

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة ـ وكان عبدالله ابن أخت القوم ـ : والله لا تذبحه أبداً، حتى تُعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لاتفعل، وانطلق به إلى الحجاز، فإنّ به عرّافة[2] لها تابع، فسَلْها، ثم أنت على رأس أمرك، إن أَمَرتْك بذبحه ذبحته، وإنْ أَمَرَتْك بأمرٍ لك وله فيه فَرَج قبِلْتَه.

ما أشارت به عرّافة الحجاز: فانطلقوا حتى قدِموا المدينة، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر. فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقصّ عليها عبدالمطّلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به ونذْره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عنّي اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم غَدَوْا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدِية فيكم؟ قالوا: عشْر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى

(١) أشوى: أبقى. يقال: أشويت من الطعام، إذا أبقيت.
(٢) اسمها: قطبة. ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات. وذكر ابن إسحاق في رواية يونس أن اسمها: سجاح. (الروض الأنف ١/١٧٧).

بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبكم، وقرِّبوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإنْ خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم[1].

تنفيذ وصيّة العرّافة ونجاة عبدالله: فخرجوا حتى قدِموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر، قام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم قرَّبوا عبدالله وعشراً من الإبل، وعبدالمطّلب قائم عند هُبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ!! ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله عزَّ وجلَّ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا من الإبل، فبلغت الإبل أربعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القِدْح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائة، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا عبدالمطّلب، فزعموا أنَّ

---

(١) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الأبل قبل هذه القصّة: وأول من وُدي بالمائة إذاً: عبدالله. وقد ذكر الأصبهانيّ عن أبي اليقظان أنّ أبا سَيَّارة هو أول من جعل الدية مائةً من الإبل، وأما أول من وُدي بالإبل من العرب: فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جدّ بني عامر بن صعصعة. (الروض ١/١٧٦)

عبدالمطّلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبدالله، وعلى الإبل، وقام عبدالمطّلب يدعو الله، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثانية، وعبدالمطّلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، ثم عادوا الثالثة، وعبدالمطّلب قائم يدعو الله، فضربوا، فخرج القِدْح على الإبل، فنُحِرت، ثم تُرِكَت لايُصَدّ عنها إنسان ولا يُمْنع.

قال ابن هشام: ويقال: إنسان لا سَبُع.

قال ابن هشام: وبين أضعاف هذا الحديث رَجز لم يصحّ عندنا عن أحدٍ من أهل العلم بالشعر.

ذِكْر المرأة المتعرّضة لنكاح عبدالله بن عبدالمطّلب(1)

عبد الله يرفضها: قال ابن إسحاق: ثم انصرف عبدالمطّلب آخذاً بيد عبدالله، فمرّ به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد(2) بن عبد العُزّى بن

(1) الطبقات الكبرى ١/٩٥، تاريخ الطبري ٢/٢٤٣، الكامل في التاريخ ٢/٧، نهاية الأرب ١٦/٥٨، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٩، السيرة لابن كثير ١/١٧٦، أنساب الأشراف ١/٧٩، عيون الأثر ١/٢٣.

(2) ويروى أنّ عبدالله بن عبدالمطّلب حين دعته المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النّبوَّة، ورجت أن تحمل بهذا النبيّ، فتكون أمّه دون غيرها، فقال عبدالله حينئذ فيما ذكروا:

أما الحرام فالحمام دونه ... والحِلّ لا حِلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عِرْضه ودينه؟!

واسم هذه المرأة: رُقيّة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل، تُكنى: أم قَتّال، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس، عن ابن إسحاق، وذكر البَرْقيّ، عن هشام بن الكلْبي، قال: إنّما مَرّ على امرأة اسمها: فاطمة بنت مُرّ، كانت من أجمل النساء وأعفّهنّ، وكانت قرأت الكتب، فرأت نور النُّبُوّة في وجهه، فدعته إلى نكاحها، فأبى، فلما أبى قالت:

إنّي رأيت مُخِيلَةً نشأت ... فتلألأت بحناتم القطرِ
فلَمَاتُها نوراً يضيء به ... ما حوله كإضاءة الفجرِ
ورأيته سُقياها حيا بلد ... وَقَعَتْ به وعِمارة القفرِ
ورأيته شرفاً أبوء به ... ما كلّ قادحِ زنده يوري
لله ما زُهْرِيّة سَلَبَتْ ... منك الذي اسْتَلَبَتْ وما تدري =

قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: وهي أخت ورقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزَّى؛ وهي عند الكعبة. فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبدالله؟ قال: مع أبي. قالت: لك مثل الإبل التي نحرت عنك، وقَعْ عليَّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه. ولا فراقه.

عبدالله يتزوج آمنة بنت وهْب: فخرج به عبدالمطّلب حتى أتى به وهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر - وهو يومئذٍ سيّد بني زُهرة نسباً وشرفاً - فزوَّجه ابنته آمنة بنت وهْب، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

أمّهات آمنة: وهي لِبَرّة بنت عبدالعُزَّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وبَرَّة: لأمّ حبيب بنت أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأم حبيب: لبَرَّة بنت عَوف بن عُبَيد بن عُوَيْج بن عُدَيّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

سبب زُهد المرأة المتعرّضة لعبد الله فيه: فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله - ﷺ - ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها: ما لكِ لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضْتِ عليّ بالأمس؟ قالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة. وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تَنَصَّر واتّبع الكتب: أنه كائن في هذه الأمة نبيّ.

= وفي غريب ابن قتيبة: أنّ التي عرضت نفسها عليه هي: ليلى العدوية. (الروض الأنف ١/١٨٠). وانظر: مجمع الأمثال للميداني ٢/٢٥، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣٩، وتاريخ الطبري ٢/٢٤٤، والكامل لابن الأثير ٢/٨، وعيون الأثر ١/٢٤، ونهاية الأرب ١٦/٦٠، والبداية والنهاية ٢/٢٥٠، والسيرة لابن كثير ١/١٧٨، والطبقات لابن سعد ١/٩٦.

قصّـة حمل آمنـة برسـول الله (ﷺ): قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني أبي إسحاق بن يَسَار: أنـه حُدّث، أنَّ عبـدالله إنما دخـل على امرأة كـانت له مـع آمنـة بنت وهْب، وقد عمـل في طين لِه، وبـه آثار من الـطّين، فدعـاهـا إلى نفسـه، فأبـطأت عليه لمـا رأت به من أثـر الطين، فخـرج من عندهـا فتوضّـأ وغسّل ما كان به من ذلك الطّين، ثم خرج عامداً إلى آمنة، فمـرّ بها، فـدعته إلى نفسها، فأبى عليهـا، وعمد إلى آمنـة، فدخـل عليها فـأصابهـا، فحملت بمحمد ـ ﷺ ـ ثم مرَّ بامرأته تلك: فقال لها: هل لك؟

قالت: لا، مررتَ بي وبين عينيك غُرّة، فدعوتك فأَبَيْتَ عليّ، ودخلت على آمنة فذهَبَتْ بها.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث: أنه مَرَّ بها وبين عينيه غُرَّة مثـل غُرَّة الفـرس، قالت: فـدعوتُـهُ رجاء أن تكـون تلك بي، فأبى عليّ، ودخل على آمنة، فـأصابهـا؛ فحملت برسـول الله ـ ﷺ ـ فكان رسـول الله ـ ﷺ ـ أوسط قـومه نَسَبـاً، وأعظمهم شـرفاً من قِبـل أبيه وأمّـه ـ صلّى الله عليه وسلم.

ذكر ما قيل لآمنة
عن حَمْلها برسول الله صلَّى الله عليـه وسلَّم

رؤيـا آمنة: ويـزعمون ـ فيمـا يتحدّث النـاسُ والله أعلم ـ أن آمنة ابنـة وهب أم رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ كانت تحدّث:

أنها أُتِيَتْ، حين حملتْ برسول الله ـ ﷺ ـ فقيل لهـا: إنك قـد حملتِ بسيّد هذه الأمّة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولي: أُعيـذه بالـواحد، من شـرّ كل حاسد، ثم سمّيه: محمداً[1]. ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأَتْ به

---

(١) لا يُعرف في العرب من تسمَّى بهذا الاسم قبله ـ ﷺ ـ إلا ثلاثـة طمع آبـاؤهم ـ حين سمعوا بذكر محمد ـ ﷺ ـ وبقرب زمانه، وأنه يبعث في الحجاز ـ أن يكـون والداً لهم. ذكـرهم ابن =

قصورَ بُصرى، من أرض الشام.

وفاة عبد الله: ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطّلب، أبو رسول الله - ﷺ - أنْ هلك، وأم رسول الله - ﷺ - حامل به[1].

= فَوْرَك في كتاب الفصول، وهم: محمد بن سفيان بن مجاشع، جدّ جدّ الفرزدق الشاعر. والآخر: محمد بن أُحيحة بن الجلّاح بن الحريش بن جُمَحي بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر: محمد بن حَمْران بن ربيعة، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبيّ - ﷺ - وباسمه، وكان كلّ واحد منهم قد خلّف امرأته حاملاً، فنذر كلّ واحد منهم: إنّ وُلِد له ذَكَر أن يسمّيه محمداً، ففعلوا ذلك.

وهذا الاسم منقول من الصفة، فالمحمَّد في اللغة هو الذي يُحمد حمْداً بعد حمد، ولا يكون مفعَّل مثل: مضرَّب وممدَّح إلّا لمن تكرر فيه الفِعل مرّة بعد مرّة. (الروض الأنف ١/١٨٢)

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد. ذكره الدَّوْلابي وغيره، وقيل: ابن شهرين، ذكره ابن أبي خَيْثمة، وقيل: أكثر من ذلك، ومات أبوه عند أخواله بني النّجّار، ذهب ليمْتَارَ لأهله تمراً، وقد قيل: مات أبوه، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهراً. (الروض ١/١٨٤)

ولادة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1]

ابن إسحاق يحدّد الميلاد: قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكّائي، عن محمد بن إسحاق قال: وُلد رسول الله - ﷺ - يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خَلَت من شهر ربيع الأول، عام الفيل[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٠، تاريخ الطبري ٢/١٥٥، أنساب الأشراف ١/٨٠، تاريخ دمشق (السيرة) ٥٣، تاريخ الخميس ١/١٩٧، عيون التواريخ ١/٨، المعارف ١٥٠، مروج الذهب ٢/٢٧٤، نهاية الأرب ١٦/٦٧، شرح المواهب ١/١٣٠، الروض الأنف ١/١٨٤، تاريخ الإسلام (السيرة - بتحقيقنا) ٢٢، تاريخ خليفة ٥٢، تهذيب الأسماء للنووي ١ ق ١/٢٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٠، المستدرك للحاكم ٢/٦٠٣، البداية والنهاية ٢/٢٦٢، السيرة لابن كثير ١/١٩٨، عيون الأثر ١/٢٦، البدء والتاريخ ٤/١٣١.

(٢) ذُكر أنّ مولده عليه السلام كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال: إنّ أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم.

وذكروا أنّ الفيل جاء مكة في المحرَّم، وأنه - ﷺ - وُلد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً، وهو الأكثر والأشهر، وأهل الحساب يقولون: وافق مولده من الشهور الشمسيّة نيسان، فكانت لعشرين مضت منه، وولد بالغَفْر من المنازل، وهو مولد النبيّين، ولذلك قيل: خير منزلتين في الأبد بين الزنابا والأسد، لأنّ الغفر يليه من العقرب زُناباها، ولا ضرر في الزنابا إنما تضرّ العقرب بذنبها، ويليه من الأسد أَلْيَته، وهو السِّماك، والأسد لا يضرّ بأليته إنما يضرّ بمخلبه ونابه.

وولد بالشِّعب، وقيل بالدار التي عند الصّفا، وكانت بعدُ لمحمد بن يوسف أخي الحَجَّاج، ثم بنتها زُبيدة مسجداً حين حجّت. (الروض الأنف ١/١٨٤)

قال ابن إسحاق: وحدّثني المطّلب بن عبدالله بن قيس بن مَخْرَمَة، عن أبيه، عن جدّه قيس بن مخرمة. قال:

وُلِدْت أنا ورسول الله ـ ﷺ ـ عام الفيل: فنحن لِدَتَانِ[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف، عن يحيى بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أسعد[2] بن زُرارة الأنصاري، قال: حدّثني مَنْ شئت من رجال قومي عن حسّان بن ثابت، قال: والله إنّي لَغُلام يفَعَة[3]، ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذا سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطَمَة[4] بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما لك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي وُلد به[5].

قال محمد بن إسحاق: فسألت سعيد بن عبدالرحمن بن حسّان بن ثابت، فقلت: ابن كم كان حسّان بن ثابت مقْدَمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة؟

فقال: ابن ستين، وقدِمها رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ابن ثلاثٍ وخمسين سنة، فسمع حسّان ما سمع، وهو ابن سبع سنين.

إعلام جدّه بولادته وما فعله به: قال ابن إسحاق: فلما وضعته أمه ـ ﷺ ـ أرسلت إلى جدّه عبدالمطّلب: أنه قد وُلد لك غلام، فأتِه فانظرْ إليه، فأتاه فنظر إليه، وحدّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَتْ به أن تسمّيه.

---

(١) إسناده حَسَن. أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ٥/٢٤٩ (٢٣) باب ما جاء في ميلاد النبيّ ـ ﷺ ـ، رقم(٣٦٩٨) وهو أطول من هنا. وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث محمد بن إسحاق.

وأخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة ـ بتحقيقنا) ٢٣.

(٢) في المطبوع «سعد» والصحيح ما أثبتناه.

(٣) اليفعة: الصبيّ إذا ارتفع ولم يبلغ الاحتلام.

(٤) أطمة: حصن.

(٥) تاريخ الإسلام (السيرة) ٢٦.

فيزعمون أنّ عبدالمطّلب أخذه، فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله، ويشكر له ما أعطاه[1] ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها، والتمس لرسول الله - ﷺ - الرُّضَعاء[2].

قالَ ابن هشام: المراضع. وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾[3] (سورة القصص - الآية ١٢).

---

(١) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٠٣ وانظر: أنساب الأشراف ١/٨١ رقم ١٤١
وفي غير رواية ابن هشام أنّ عبدالمطّلب قال وهو يعوّذه:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالبيت ذي الأركان
حين يكون بُلْغَة الفتيان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العِنان
ذي همّة ليس له عينان ... حتى أراه رافع الشان
أنت الذي سمّيت في القرآن ... في كتب ثابتة المثاني
أحمد مكتوب على البيان

(الروض الأنف ١/١٨٤) وانظر: الطبقات الكبرى ١/١٠٣، وأنساب الأشراف ١/٨١، وتاريخ دمشق (السيرة)٦٩، والسير والمغازي ٤٥، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٥١، والبداية والنهاية ٢/٢٦٤، ونهاية الأرب ١٦/٧١.

(٢) وسبب دفْع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع، فقد يكون ذلك لوجوه. أحدها: تفريغ النساء إلى الأزواج، كما قال عمّار بن ياسر لأمّ سَلَمَة - رضي الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة، حين انتزع من حجْرها زينب بنت أبي سَلَمَة، فقال: «دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله - ﷺ -» وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المَعَدِّيَّة كما قال عمر رضي الله عنه: تمعدَدُوا وتمعززوا واخشوشنوا. وقد قال - عليه السلام - لأبي بكر - رضي الله عنه - حين قال له: ما رأيت أفصح منك يا رسول الله، فقال: «وما يمنعني، وأنا من قريش، وأرضعت في بني سعد؟!» فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرُّضَعاء إلى المراضع الأعرابيات.

وقد ذُكر أنّ عبدالملك بن مروان كان يقول: أضرّ بنا حب الوليد؛ لأنّ الوليد كان لحّاناً، وكان سليمان فصيحاً؛ لأنّ الوليد أقام مع أمه، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية، فتعرّبوا، ثم أدّبوا فتأدّبوا. وكان من قريش أعراب، ومنهم حضر، فالأعراب منهم: بنو الأدرم وبنو محارب، وأحسب بني عامر بن لُؤَيّ كذلك؛ لأنهم من أهل الظواهر، وليسوا من أهل البطاح: (الروض الأنف ١/١٨٧، ١٨٨)

(٣) الذي قاله ابن هشام ظاهر؛ لأنّ المراضع جمع: مُرْضِع، والرُّضَعَاءُ: جمع رضيع، ولكن

مُرضعته حليمة: قال ابن إسحاق: فاسترضع لـه امرأةً من بني سعـد بن بكر. يقال لها: حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب.

نَسَب مرضعته: وأبو ذُؤَيب: عبدالله بن الحارث بن شِجْنة بن جـابر بن رِزَام بن ناصرة بن قُصَيَّـة[1] بن نصر بن سعـد بن بكر بن هـوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان.

زوج حليمــة ونسبـه: واسم أبيــه الـذي أرضعــه ـ ﷺ ـ الحـارث بن عبد العُزّى بن رفاعة بن مَلان بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد بن بكـر بن هوازن[2].

قال ابن هشام ويقال: هلال بن ناصرة.

أولاد حليمــة: قال ابن إسحـاق: وإخوتـه من الـرضـاعـة: عبـدالله بن

= لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين، أحدهما: حذف المضاف كأنه قال: ذوات الرضعاء، والثاني: أن يكون أراد بالرضعاء: الأطفال على حقيقـة اللفظ؛ لأنهم إذا وجدوا لـه مُرضعـة ترضعه، فقد وجدوا له رضيعاً، يرضع معه، فلا يبعد أن يقال: التمسوا له رضيعاً، عِلماً بأنّ الرضيع لا بدّ له من مرضع. (الروض الأنف ١/١٨٦)

(١) وقيل: «فُصَيَّة» بالفاء تصغير: فصاة، وهي النواة، ووقع في الأصل في جميع النسـخ: قصيّة بالقاف. وقال أبو حنيفة أيضاً: الفَصَا: حَبّ الزبيب، وهو من هذا المعنى. (الـروض الأنف ١/١٨٦)

(٢) لم يذكر لـه إسلامـاً، ولا ذكره كثيـر ممن ألّف في الصحابـة، وقد ذكـره يونس بن بُكَيْـر في روايته، فقال: حدّثنا ابن إسحاق قال: حدّثني والدي إسحـاق بن يَسَار، عن رجـالٍ من بني سعـد بن بكر قـال: قدِم الحـارث بن عبد العُـزَّى، أبو رسـول الله ـ ﷺ ـ من الرضـاعة على رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة حين أُنزل عليه القرآن، فقالت له قريش: ألا تسمع يا حـار ما يقـول ابنك هذا؟ فقال: وما يقـول؟ قالـوا: يزعم أنّ الله يبعث بعـد الموت، وأنّ لله دارَين يعـذّب فيهما من عصاه، ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شتّت أمرنا، وفرّق جماعتنا. فأتاه، فقال: أي بنيّ مـالك ولقـومك يشكـونك، ويـزعمون أنـك تقول: إنّ النـاس يبعثون بعـد المـوت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: نعم أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت، لقد أخذت بيدك، حتى أعرِّفك حديثك اليـوم، فأسلم الحـارث بعد ذلـك، وحسُن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي، فعرّفني ما قال، لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة. (الروض ١/١٨٥)

الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وخِذامة[1] بنت الحارث، وهي الشَّيْماءُ، غلب ذلك على اسمها فلا تُعرف في قومها إلاّ به. وهم لحليمة بنت أبي ذُؤَيب، عبدالله بن الحارث، أمّ رسول الله - ﷺ - ويذكرون أنّ الشَّيماء كانت تحضنه مع أمّها إذا كان عندهم.

قال ابن إسحاق: وحدّثني جَهْم بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمحي، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، أو عمّن حدّثه عنه قال:

حديث حليمة: كانت حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعْدِيَّة، أمّ رسول الله - ﷺ - التي أرضعته[2]، تحدّث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير تُرضعه في نِسْوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرُضَعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء[3]، لم تُبق لنا شيئاً. قالت: فخرجت على أتان لي قَمْراء[4]، معنا شارف[5] لنا، والله ما تبضّ[6] بقَطْرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّنا الذي معنا، من بُكائه من الجوع، ما في ثدييّ ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغَدّيه - قال ابن هشام: ويقال: يغذّيه[7] - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجت

---

(١) خِذامة بكسر الخاء المنقوطة، وقال غيره: حُذَافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم، وكذلك ذكره يونس في روايته، عن ابن إسحاق، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النّساء. (الروض الأنف ٢/١٨٦)

(٢) وأرضعته - عليه السلام - ثُوَيْبة قبل حليمة. أرضعته، وعمّه حمزة، وعبدالله بن جحش، وكان رسول الله - ﷺ - يعرف ذلك لثويبة، ويصلها من المدينة، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح، فأُخبر أنّهما ماتا، وسأل عن قرابتها، فلم يجد أحداً منهم حيّاً. وثُويبة كانت جارية لأبي لهب. (الروض الأنف ١/١٨٦)

(٣) شهباء: أي سنة قحط وجدْب.

(٤) قمراء: شديدة البياض.

(٥) الشارف: الناقة المسنّة.

(٦) تبضّ: ترشح.

(٧) قول ابن هشام: ما يغذّيه بالذال المنقوطة، أتمّ في المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهي يُعْذِبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة، ومعناها عندهم: ما يقنعه حتى يرفع رأسه، وينقطع عن الرضاع، يقال منه: عذبته وأعذبته: إذا قطعته عن الشرب ونحوه، =

على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ[1] بالرَّكْب، حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدِمنا مكة نلتمس الرُضَعاء، فما منّا امرأة وقد عُرض عليها رسول الله ـ ﷺ ـ فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك: أنّا إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبيّ[2]، فكنّا نقول: يتيم؟! وما عسى أن تصنع أمه وجَدّه؟ فكنّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدِمت معي إلاّ أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حملني على أخْذه إلاّ أنّي لم أجد غيره.

الخير الذي أصاب حليمة: قالت: فلما أخذته، رجعت به إلى رَحْلي، فلما وضعته في حجْري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن[3]، فشرب حتى

= والعَذُوب: الرافع رأسه عن الماء، وجمعه: عُذوب بالضمّ، ولا يعرف فَعُول جمع على فُعول غيره: قاله أبو عبيد، والذي في الأصل أصحّ في المعنى والنقل. (الروض ١/١٨٦)

(١) أي أطلت عليهم المسافة، وتُروَى أَذْمَمْتُ بالركب. تريد: أنّها حبستهم، وكأنه من الماء الدائم، وهو الواقف، ويُروَى: حتى أَذَمّتْ. أي: أذمت الأتان، أي: جاءت بما تُذَمّ عليه، أو يكون من قولهم: بئر ذَمّةٌ، أي: قليلة الماء، وليست هذه عند أبي الوليد، ولا في أصل الشيخ أبي بحر، وقد ذكرها قاسم في الدلائل، ولم يذكر رواية أخرى، وذكر تفسيرها عن أبي عُبيدة: أذمّ بالركب: إذا أبطأ، حتى جبستهم: من البئر الذمَّةِ، وهي القليلة الماء. (الروض الأنف ١/١٨٧)

(٢) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب، حتى جرى المثل: تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها، وكان عند بعضهنّ لا بأس به، فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار الله ـ تعالى ـ إيّاها لرضاع نبيّه ـ ﷺ ـ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب. والرضاع كالنسب؛ لأنه يغيّر الطباع.
وفي المُسْنَد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ترفعه: «لاتسترضِعوا الحمقى؛ فإنّ اللبن يورث» ويُحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرُضعاء اضطراراً للأزمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي اقتحمتهم. (الروض الأنف ١/١٨٧)

(٣) وذكر غير ابن إسحاق أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان لا يُقبل إلاّ على ثدْيها الواحد، وكانت تعرض عليه الثّدي الآخر، فيأباه كأنه قد أشعر ـ عليه السلام ـ أنّ معه شريكاً في لبانها، وكان مفطوراً على العدل، مجبولاً على المشاركة والفضل ـ ﷺ .

رُوِي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنّها لَحَافِل، فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعلَّمي والله يا حليمة، لقد أخذت نَسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إنّي لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعتْ بالرَّكب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم، حتى إنّ صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب، ويحك! أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنّ: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إنّ لها لشأناً. قالت: ثم قدِمنا منازلَنا من بلاد بني سعد. وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدِمنا به معنا شِباعاً لُبَّنا. فنحلب ونشرب. وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع. حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذُؤَيْب فتروح أغنامهم جياعاً ما تَبِضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبْناً، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته؛ وكان يشبّ شَباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً.

رجوع حليمة به إلى مكة أول مرّة: قالت: فقدِمْنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا؛ لما كنّا نرى من بركته؛ فكلَّمنا أمّه، وقلت لها: لو تركتُ بُنَي عندي حتّى يغلظ، فإنّي أخشى عليه وبأ مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردّته معنا.

حديث المَلَكَين اللَّذَين شقّا بطنه: قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مقدَمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ[1]، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القُرَشيّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بِيض، فأضجعاه،

(١) يشتدّ: يسرع في عدْوه.

فشقّا بطنه، فهما يسوطانه[1]، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً مُنْتَقعاً وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بُنيّ، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بِيض، فأضجعاني وشقّا بطني، فالتمسا شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا.

حليمة تردّ محمداً (ﷺ) إلى أمّه: قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحِقِيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه، فقدِمْنا به على أمّه، فقالت: ما أقدمك به يا ظِئْر[2]، وقد كنت حريصةً عليه، وعلى مُكْثه عندك؟ فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، وتخوَّفت الأحداث عليه، فأدّيته إليكِ كما تحبّين. قالت: ما هذا شأنك، فاصْدِقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتّى أخبرتها. قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم، قالت: كلّا. واللهِ ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبُنَيّ لشأناً، أفلا أخبرك خبره. قالت: قلت: بلى. قلت: رأيت حين حملت به: أنه خرج منّي نور أضاء قصور بُصْرَى من أرض الشام. ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدتُه وإنه لواضعٌ يديه بالأرض، رافعٌ رأسَه إلى السماء. دعيه عنك، وانطلقي راشدة[3].

---

(١) يقال: سطت اللبن أو الدم، أو غيرهما، أسوطه: إذا ضربت بعضه ببعض. والمِسْوَطُ: عود يُضرب به.
وفي رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيّان، فشقّ أحدهما بمنقاره جوفه، ومجّ الآخر بمنقاره فيه ثلجاً، أو بَرَداً، أو نحو هذا، وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه، وهو أطول من هذا. (الروض الأنف ١/١٨٨)

(٢) الظِئر: بالكسر، العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(٣) قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٨: «هذا حديث جيّد الإسناد». وانظر: الطبقات الكبرى ١/١١١، ١١٢، نهاية الأرب ١٦/٨١ ـ ٨٤، سيرة ابن كثير ١/٢٢٥ ـ ٢٢٨، عيون الأثر ١/٢٣، ٢٤، شرح المواهب اللدنية ١/١٤١ ـ ١٥٠، أنساب الأشراف ١/٩٣، ٩٤ رقم ١٦٢، تاريخ دمشق (السيرة) ٧٧ ـ ٧٩، السير والمغازي لابن إسحاق ٤٨، ٤٩، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٧٤ ـ ٧٧.

الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته (ﷺ): قال ابن إسحاق: وحدّثني ثَور بن يزيد، عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلاّ عن خالد بن مَعدان الكَلاعيّ: أنّ نفراً من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا له: يا رسول الله. أخْبِرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشْرى أخي عيسى، ورأت أمّي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام(1)، واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر. فبينا أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بَهْماً لنا: إذا أتاني رجلان عليهما ثياب بِيض بطَسْت من ذهبٍ مملوءةٍ ثلجاً. ثم أخذاني فشقّا بطني، واستخرجا قلبي، فشقّاه فاستخرجا منه عَلَقةً سوداء فطرحاها. ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه(2)، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمّته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بمئة من أمّته. فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألفٍ من أمّته، فوزنني بهم فوزنتهم. فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمّته لوزنها»(3).

رعْيه (ﷺ) للغنم وافتخاره بقُرَشيّته: قال ابن إسحاق: وكان رسول

---

(1) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد، حتّى كانت الخلافة فيها مدّة بني أميّة، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره - ﷺ - وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصي قبل المبعث بيسير نوراً يخرج من زمزم، حتى ظهرت له البُسْر في نخيل يثرب، فقصّها على أخيه عمرو، فقال له: إنّها حفيرة عبدالمطّلب، وإنّ هذا النّور منهم، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام. (الروض الأنف ١/١٩٢)

(2) كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين:
الأولى: في حال الطفولية لينقّى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهّر ويقدّس من كل خلق ذميم، حتى لا يتلبّس بشيء مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلاّ التوحيد؛ ولذلك قال: فوليّا عنّي، يعني: المَلَكَين، وكأنّي أعاين الأمر معاينة.
والثانية: في حال الاكتهال، وبعد ما نُبِّيء، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدَّسة التي لا يصعد إليها إلاّ مقدّس، وعُرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة، وليصلي بملائكة السموات، ومن شأن الصلاة: الطهور، فقدِّس ظاهراً وباطناً وغُسّل بماء زمزم. (الروض الأنف ١/١٩٠)

(3) أخرجه أحمد في المسند ٤/١٢٧ و١٢٨ في المرتين عن عرباض بن سارية و٥/٢٦٢ عن أبي أمامة، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٨٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٤٢.

الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم»، قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا»[1].

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لأصحابه: «أنا أعربكم، أنا قُرَشيّ، واستُرْضِعتُ في بني سعد بن بكر»[2].

افتقاد حليمة له (ﷺ): قال ابن إسحاق: وزعم الناس فيما يتحدّثون ـ والله أعلم ـ أنّ أمّه السعديّة لما قدِمت به مكةَ أضلَّها في الناس، وهي مقبلة به نحو أهله، فالتمسته فلم تجده، فأتت عبدَالمطّلب، فقالت له: إنّي قد قدِمتُ بمحمدٍ هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلّني، فوالله ما أدري أين هو، فقام عبدالمطّلب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه، فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد، ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبدَالمطّلب، فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبدالمطّلب، فجعله على عنقه، وهو يطوف بالكعبة يُعوّذه ويدعو له، ثم أرسل به إلى أمّه آمنة.

سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم، أنّ مما هاج أمّه السّعديّة على ردّه إلى أمه، مع ما ذكَرَتْ لأمّه مما أخبرتها عنه، أنّ نفراً من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه، وسألوها عنه وقلّبوه، ثم قالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبلدنا؛ فإنّ هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدّثني أنها لم تكد تنفلت به منهم[3].

---

(١) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة. (الروض ١/١٩٢). فقد روى البخاري هذا الحديث في كتاب الإجارة من طريق عمرو بن يحيى بن سعيد، عن جدّه، عن أبي هريرة، في باب رعي الغنم على قراريط ٣/٤٨، وأخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الصناعات (٢١٤٩)، والذهبي في تاريخ الاسلام (السيرة) ٥٤.

(٢) أنظر الطبقات الكبرى ١/١١٣ حيث رواه عن محمد بن عمر (الواقدي) عن زكريا بن يحيى بن يزيد السعدي، عن أبيه. والواقدي متروك وضعيف في الحديث.

(٣) وكان ردّ حليمة إيّاه إلى أمّه وهو ابن خمس سنين وشهر، فيما ذكر أبو عمر، ثم لم تره بعد ذلك إلاّ مرّتين: إحداهما بعد تزويجه خديجة ـ رضي الله عنها ـ جاءته تشكو إليه السنة، =

وفاة آمنة

وحال رسول الله ﷺ مع جدّه عبدالمطّلب بعدها[1]

وفاة أمّه (ﷺ): قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع أمّه آمنة بنت وهْب، وجدّه عبدالمطّلب بن هاشم في كلاءة الله وحِفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لِما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ستّ سنين، تُوفِّيت أمّه آمنة بنت وهْب.

عُمر رسول الله (ﷺ) حين وفاة أمّه: قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم:

أنّ أمّ رسول الله - ﷺ - آمنة تُوُفِّيت ورسول الله - ﷺ - ابن ستّ سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدِيّ بن النّجّار تُزيره إيّاهم، فماتت، وهي راجعة به إلى مكة[2].

= وأنّ قومها قد أسنتوا فكلّم لها خديجة، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات، والمرة الثانية: يوم حُنَيْن، وسيأتي ذكرها إن شاء الله. (الروض الأنف ١/١٩٢).

(١) أنساب الأشراف ١/٩٦، الطبقات الكبرى ١/١١٦، السير والمغازي ٢٦٥ تاريخ الطبري ٢/١٦٥، تاريخ دمشق (السيرة) ٦٧، نهاية الأرب ١٦/٨٧، شرح المواهب ١/١٦٣، السيرة الحلبية ١/١٠٥، عيون التواريخ ١/٢١، السيرة لابن كثير ١/٢٣٥، عيون الأثر ١/٣٧، تاريخ الإسلام ٥٠.

(٢) قال القُرْطُبي في تذكرته: جزم أبو بكر الخطيب في كتاب: السابق واللاحق، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسنادَيهما عن عائشة - رضي =

قال ابن هشام: أمّ عبدالمطّلب بن هاشم: سلمى بنت عمرو النّجّارية، فهذه الخئولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله - ﷺ - فيهم.

إجلال عبدالمطّلب له (ﷺ): قال ابن إسحاق: وكان رسول الله - ﷺ - مع جدّه عبدالمطّلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطّلب فراش في ظلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله - ﷺ - يأتي، وهو غلام جَفْر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخّروه عنه، فيقول عبدالمطّلب - إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله، إنّ له لشأناً، ثم يُجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع[1].

وفاة عبدالمطّلب وما رُثي به من الشِّعر[2]

فلما بلغ رسول الله - ﷺ - ثماني سنين هلك عبدالمطّلب بن هاشم، وذلك بعد الفيل بثماني سنين.

قال ابن إسحاق: وحدّثني العبّاس بن عبدالله بن مَعْبد بن عبّاس، عن بعض أهله: أنّ عبدالمطّلب تُوُفِّي ورسول الله - ﷺ - ابن ثماني سنين.

= الله عنها - قالت: حجّ بنا رسول الله - ﷺ - حجّة الوداع؛ فمرّ على قبر أمّه، وهو باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكائه - ﷺ - ثم إنه نزل فقال: يا حُمَيراء استمسكي، فاستندْتُ إلى جنب البعير، فمكث عنّي طويلاً مليّاً، ثم إنه عاد إليّ، وهو فرح متبسّم، فقلت له: بأبي أنت وأميّ يا رسول الله نزلت من عندي، وأنت باكٍ حزين مُغْتَمّ؛ فبكيت لبكائك، ثم عدت إليّ، وأنت فرح مبتسم، فَبِمَ ذا يا رسول الله، فقال: ذهبت لقبر آمنة أميّ، فسألت أن يُحييها، فأحياها فآمنت بي؛ أو قال: فآمنت. وردّها الله عزّ وجلّ. (الروض الأنف ١/١٩٥).

(١) أنظر: الطبقات الكبرى ١/١١٨، ونهاية الأرب ١٦/٨٨، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٤، السيرة لابن كثير ١/٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١١٧، عيون الأثر ١/٣٩، السيرة لابن كثير ١/٢٤١، عيون التواريخ ١/٢٧، الروض الأنف ١/١٩٥.

عبدالمطّلب يطلب من بناته أن يرثينه: قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن سعيد بن المسيّب: أنّ عبدالمطّلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميّت جمع بناته، وكنَّ ستّ نِسْوة: صفيّة، وبَرّة، وعاتكة، وأم حكيم البيضاء، وأميمة، وأرْوَى، فقال لهنّ: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت.

قال ابن هشام: ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلّا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيّب، كتبناه.

رثاء صفية بنت عبدالمطّلب لأبيها: فقالت صفيّة بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

أرِقْتُ لصوتِ نائحةٍ بلَيلٍ ... على رجلٍ بقارعة الصَّعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي ... على خدّي كمنحدِرِ الفريدِ[1]
على رجلٍ كريمٍ غيرِ وَغْلٍ[2] ... له الفضلُ المُبينُ على العبيدِ
على الفَيّاض شَيْبَةَ ذي المعالي ... أبيكِ الخير[3] وارثِ كلّ جودِ
صَدُوقٌ في المواطن غير نِكْس ... ولا شَخْت المقام ولا سنيدِ[4]
طويل الباع، أرْوَع شَيظَمِيّ[5] ... مُطاعٍ في عشيرته حميدِ
رفيع البيت أبلجَ ذي فُضول ... وغيثِ الناس في الزمن الحَرُودِ
كريم الجدّ ليس بذي وُصُوم[6] ... يروق على المُسوَّد والمَسودِ

(١) يُروَى: كمنحدِرِ بكسر الدال أي: كالدّرّ المنحدر، ومنحدَر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض، فعلى رواية الكسر: شبّهت الدمع بالدُّرّ الفريد، وعلى رواية الفتح شبّهت للفيض بالانحدار. (الروض الأنف ١/١٩٥).

(٢) الوغْل: الضعيف النذل الساقط المقصّر في الأشياء.

(٣) قولها: أبيك الخيْر. أرادت: الخيِّر فخففت، كما يقال: هيْن وهيِّن، وفي التنزيل: «خيْرات حسان». (الروض الأنف ١/١٩٦).

(٤) الشخت: ضدّ الضخم، تقول: ليس كذلك، ولكنه ضخم المقام ظاهره. والسنيد: للضعيف الذي لا يستقلّ بنفسه، حتى يسند رأيه إلى غيره. (الروض الأنف ١/١٩٦).

(٥) الشيظميّ: الفتى الجسيم.

(٦) الوصوم: جمع وصم، وهو العار.

عـظيم الـحِلْم من نَـفَـرٍ كِـرام خـضـارمـةٍ مَـلاوِثـةٍ أُسُــودِ[1]
فـلو خَـلَدَ امـرؤٌ لِقـديـمِ مـجـدٍ ولـكـن لا سـبـيـلَ إلـى الـخُـلُودِ
لـكـان مخَـلَّداً أُخْـرى الـليـالـي لِفَضْـلِ المجـدِ والحَسَبِ التليـدِ

رثـاء بَرّة بنت عبـدالمطّلب لأبيهـا: وقالت بَـرَّة بنت عبدالمـطّلب تبكي أباها:

أَعَـيْـنـيّ جُـودا بـدمـعٍ دِرَرْ عـلى طيّب الخِيمِ والـمُعْـتَـصَـرْ
على مـاجـدِ الجـدّ واری الـزّنـاد جميـل المُحَيَّـا عـظيم الـخَـطَرْ
على شيبـةِ الحمـدِ ذي المَكْـرُمـات وذي المجـدِ والـعـزّ والمـفتـخـرْ
وذي الحِلْم والفَضْـل في النّـائبـات كـثيـرِ المكـارِم، جَـمّ الفَـجَـر[2]
لــه فـضــل مـجـدٍ عـلى قـومـه مُـنـيـر، يـلُوح كـضـوء الـقـمـرْ
اتـتــهُ الـمـنـايـا، فـلم تُـشْـوِه[3] بصـرف الليـالـي، ورَيْب الـقـدرْ

رثاء عاتكـة بنت عبدالمـطّلب لأبيها: وقـالت عاتكـة بنت عبدالمـطّلب تبكي أباها:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودا، ولا تـبـخـلا بـدمـعكـمـا بعـد نـوم الـنِّـيـامْ
أَعَـيْنـيّ واسْـحَـنْـفِـرا[4] واسـكُـبـا وشُـوبـا بكـاءكـمـا بـالـتـدام[5]

---

(١) ملاوثة: جمع ملواث من اللوثة، وهي القوة، كما قال المُكَعْبَر:
عند الحفيظة إنّ ذو لوثة لاثا
وقد قيل: إنّ اسم الليث منه أُخذ، إلاّ أنّ واوه انقلبت ياء؛ لأنه فيعل، فخُفّف. (الروض ١٩٦/١).
(٢) الفَجَر: العطاء والكرم والجود والمعروف.
(٣) لم تشوه: أي: لم تصب الشوى، بل أصابت المقتل، وقد تقدّم في حديث عبد المطلب وضرْبه بالقِداح على عبدالله، وكان يرى أنّ السهم إذا خرج على غيره أنه قد أُشْرِي، أي: قد أخطأ مقتله، أي: مقتل عبدالمطّلب وابنه، ومن رواه: أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذي أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته، ويقال أيضاً: أشوى الزرع: إذا أفرك فالأول من الشوى، وهذا من الشيّ بالنار، قاله أبو حنيفة. (الروض الأنف ١٩٧/١). والأبيات في: الطبقات الكبرى ١١٨/١، ١١٩، وتاريخ دمشق (السيرة) ٧١، وعيون التواريخ ٢٧/١.
(٤) اسحنفر المطر وغيره: كثر صبّه.
(٥) الالتدام: ضرب النساء وجوههن في النياحة.

أَعَيْنَيَّ، واستخرِطا[1] واسجُما على رجلٍ غير نِكْس كَهَام[2]
على الجحْفَلِ[3] الغمر في النّائبات كريم المساعي، وفيّ الذمام
على شَيْبة الحَمد، وارى الزّناد وذي مَصْدق بعدُ ثبت المقامْ
وسيفٍ لدى الحرب صَمْصَامة ومُرْدى[4] المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طَلْق اليدين وَفٍ عُذْمُلِيّ صميم لُهَام[5]
تَبَنَّكَ في باذخ بيته رفيع الذؤابة صعب المرام

رثاء أم حكيم بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

ألا يا عين جودي واستهلّي وبَكّي ذا النَّدَى والمكرُماتِ
ألا يا عين ويحك أسعفيني بدمع من دموعٍ هاطلاتِ
وبكّي خيرَ من ركب المطايا أباكِ الخيْرَ تيّارَ الفُراتِ[6]
طويلَ الباع شيبة ذا المعالي كريمَ الخيمِ[7] محمود الهِبات
وَصُولاً للقرابة هِبْرِزِيّاً[8] وغيثاً في السنين المُمْحِلات

---

(١) استخرط الرجل في البكاء: لجّ فيه.
(٢) الكهام: الرجل الكليل المسنّ.
(٣) على الجحفل. جعلته كالجحفل، أي: يقوم وحده مقامه، والجحفل: لفظ منحوت من أصلين، من: جحف وجفل، وذلك أنه يجحف ما يمرّ عليه أي: يقشره، ويجفل: أي يقلع، ونظيره نهشل الذئب، هو عندهم منحوت من أصلين أيضاً، من نهشت اللحم ونشلته. (الروض ١/١٩٨).
(٤) المُرْدَى: مُفْعَل من الرَّدى، وهو الحجر الذي يقتل من أُصيب به، وفي المثل: «كل ضبّ عنده مِرْدَاتُه». (الروض ١/١٩٧).
(٥) قولها: وَف. أي: وَفّى، وخُفّف للضرورة، وقولها: عُذْمُلِيّ. العُذْمليّ: الشديد. واللهام: فعال من لهمت الشيء ألهمه: إذا ابتلعته، قال الراجز:
كالحوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح عطشاناً وفي البحر فمه
ومنه سُمّي الجيش: لُهاماً. (الروض ١/١٩٧).
(٦) تيّار الفرات: معظم الماء العذب.
(٧) الخِيم: الطبيعة والسجيّة.
(٨) الهبرزيّ: الجميل الوسيم.

وليثاً حين تشتجرُ العوالي | تروقُ له عيونُ النّاظرات
عقيلَ بني كِنانة والمُرَجَّى | إذا ما الدَّهْر أقبل بالهِنات
ومَفْزَعَها إذا ما هاج هَيْجٌ | بداهِية، وخَصمَ المُعْضِلات
فبكِّيه ولا تَسَمِي[1] بحزْن | وبكّي، ما بَقيتِ، الباكيات

رثاء أُمَيمة بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أُميمة بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

ألا هلك الرّاعي العشيرةَ ذو الفَقْدِ[2] | وساقي الحجيجِ ،والمحامي عن المَجْدِ
ومن يؤُلف الضيفَ الغريبَ بيوتَه | إذا ما سماء الناس تبخَلُ بالرَّعد
كسبتَ وليداً خير ما يكسِبُ الفتى | فلم تَنْفكك تزدادُ يا شيبة الحمد
أبو الحارث الفيّاض، خلّى مكانه | فلا تبعدنْ، فكلّ حيّ إلى بُعد
فإنّي لَباكٍ ـ ما بقيتُ ـ ومُوجَعٌ | وكان له أهلاً لما كان من وجدي
سقاكَ وَلِيُّ الناسِ في القبر مُمْطِراً | فسوف أُبكّيه، وإنْ كان في اللّحد
فقد كان زَيْناً للعشيرة كلّها | وكان حميداً حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبدالمطّلب لأبيها: وقالت أروى بنت عبدالمطّلب تبكي أباها:

بكت عيني، وحُقَّ لها البكاءُ | على سَمحٍ، سجيّته الحياءُ
على سهلِ الخليقةِ أبطحيّ[3] | كريم الخِيم، نيّته العَلاءُ
على الفيّاضِ شَيبة ذي المعالي | أبيكِ الخيْر ليس له كِفاءُ
طويل الباع أملس، شَيْظَمِيّ | أغرّ كأن غُرَّته ضياء
أقَبّ الكشْح[4]، أروع ذي فُضول | له المجدُ المقدَّم والسناء

---

(١) ولا تَسَمِي: أي لا تسأمي، سهّل الهمزة بالنقل ثم حذفها.
(٢) ذو الفَقْد: أي الذي يُفقد.
(٣) أبطحيّ: أي من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة.
(٤) أقبّ الكشح: ضامر الخصر.

أبـيِّ الـضَّـيْـم، أبْـلج هِبْـرِزِيّ	قـديـم المـجـد ليس لـه خَـفـاء
ومَعقـل مـالـك، وربيـع فِهْـر[1]	وفـاصِلهـا إذا التُمس الـقـضـاء
وكـان هـو الفتى كـرمـاً وجُـوداً	وبـأسـاً حين تَـنْسَـكِب الـدمـاء
إذا هـاب الكُمـاة الـمـوتَ حتّى	كـأنّ قـلوب أكـثـرِهـم هَـواء
مضى قُـدُماً بـذي رُبَـد خَشيب[2]	عليـه ـ حين تبـصـره ـ البـهـاء[3]

إعجاب عبدالمطّلب بالرثاء: **قال ابن إسحاق:** فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيِّب أنه أشار برأسه، وقد أصْمَتَ[4]: أنْ هكذا فابكينني.

نسب المسيِّب بن حَزْنٍ: **قال ابن هشام:** المسيِّب بن حَزْن بن أبي وهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمران بن مخزوم.

رثاء حُذَيفة بن غانم لعبدالمطّلب: **قال ابن إسحاق:** وقال حُذيفة[5] بن غانم أخو بني عديّ بن كعب بن لُؤيّ يبكي عبدَالمطّلب بن هاشم بن عبد مَناف، ويذكر فضله، وفضل قُصيّ على قريش، وفضل ولده من بعده عليهم، وذلك أنه أخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة، فوقف بها فمرّ به أبولهب عبدالعُزّى بن عبدالمطّلب، فافْتَكّه:

---

(١) ومَعْقِل مالك وربيع فهر. تريد: بني مالك بن النضر بن كِنانة.

(٢) قولها: بذي رُبَد. تريد: سيفاً ذا طرائق، والربد: الطرائق. وقال صخر الْغَي:

وصـارم اخـلصـت خـشيـبتـه   أبـيض مَـهْـو فـي متـنـه ربـد

(الروض ١/١٩٨).

(٣) ويروى: «الهباء». يريد به ما يظهر على السيف المجوهر تشبيهاً بالغبار.

(٤) أصْمَتَ العليل: اعتُقل لسانه.

(٥) وهو والد أبي جَهْم بن حُذيفة، واسم أبي جَهم: عُبيد، وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله ـ ﷺ ـ فنظر إلى عَلَمها. الحديث. وقد روي أيضاً هذا الحديث على وجهٍ آخر، وهو: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أُتي بخميصتين، فأعطى إحداهما أبا جهم، وأمسك الأخرى، وفيها عَلَم، فلما نظر إلى عَلَمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جَهم، وأخذ الأخرى بدلاً منها، هكذا رواه الزُبير: وأم أبي جَهم: يُسَيْرة بنت عبدالله بن أذَاة بن رياح، وابن أذاة: هو خال أبي قُحافة، وسيأتي نَسَب أمّه، وقد قيل: إنّ الشِعر لحُذافة بن غانم، وهو أخو حُذيفة والدخارجة بن حُذافة. (الروض الأنف ١/١٩٩).

أعينيّ جُودا بالدموع على الصدر ... ولاتسأما أُسْقِيتُما سَبَل[1] القَطْرِ
وجُودا بدمع، واسفَحا كلَّ شارق[2] ... بكاء امريءٍ لم يشْوِه[3] نائبُ الدهر
وسُحًّا[4]، وجُمًّا[5]، واسجُما ما بقيتما ... على ذي حياء من قريش، وذي سِتر
على رجل جَلْد القُوى، ذي حَفيظة ... جميل المُحَيّا غير نِكْسٍ[6] ولاهَذْر
على الماجد البُهْلُول ذي الباع واللُّهَى[7] ... ربيع لُؤَي القُحُوطِ وفي العُسْر
على خَيْر حافٍ من مَعدّ وناعل ... كريمَ المساعي، طيِّبَ الخِيم والنَّجْر[8]
وخيرُهُم أصلاً وفرعاً ومعدناً ... وأحظاهُمُ بالمُكْرَمات وبالذّكْر
وأولاهُمُ بالمجد والحِلْم والنُّهَى ... وبالفضل عند المُجْحِفات[9] من الغُبْرُ[10]
على شَيْبة الحمْد الذي كان وجهُه ... يضيء سوادَ الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثمّ للخبز[11] هاشمٍ ... وعبد مَناف، ذلك السيد الفهْري[12]
طوى زمزماً عند المقام، فأصبحتْ ... سقايتُه فخراً على كل ذي فخر
لِيَبْكِ عليه كل عانٍ[13] بكُرْبةٍ ... وآلُ قُصَيٍّ من مُقلٍّ وذي وَفْر
بَنوه سَراةٌ، كَهْلُهُم وشبابُهُم ... تفلّق عنهمْ بيضة الطائر الصَّقْر
قُصَيٌّ الذي عادى كِنانة كلّها ... ورابطَ بيتَ الله في العُسر واليُسر

---

(١) السَبَل: المطر.
(٢) كل شارق: أي عند شروق الشمس.
(٣) يشْوه: يخطئه.
(٤) سُحّا: صُبّا.
(٥) جُمّا: إجمعا وأكثِرا.
(٦) النِّكسُ من السهام: الذي نُكس في الكِنانة ليميّزه الرامي، فلا يأخذه لرداءته. وقيل: الذي انكسر أعلاه؛ فنُكِس ورُد أعلاه أسفله، وهو غير جيّد للرمي. (الروض الأنف ١/١٩٩).
(٧) اللُّهي: العطايا. وفي أكثر الأصول «الندى» وفي رواية «النهى».
(٨) النَّجْر: الأصل.
(٩) المجحفات: التي تذهب بالأموال.
(١٠) الغبر: السنون المقحطات.
(١١) كذا في سائر الأصول. وفي رواية «للخير».
(١٢) كذا في الأصول. وفي شرح السيرة: «القهر» بالقاف. أي الذي يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل، أو رجل صوم.
(١٣) العاني: الأسير.

فإنْ تك غالته المنايا وصَرْفُها ... فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّل ... مَصاليتَ، أمثال الرُّدَيْنِيَّة السُّمْر
أبو عُتبة المُلْقى إليَّ حِباؤهُ ... أغرُّ، هِجانُ اللَّوْن[1] من نَفَر غر
وحمزةُ مِثلُ البدر، يهتزُّ للنَّدَى ... نقيّ الثياب والذِّمام من الغدر
وعبدُ مَناف ماجد ذو حَفيظة ... وصولٌ لذي القُرْبَى رحيم بذي الصهر
كُهُولُهُمْ خيرُ الكُهول، ونَسْلُهم ... كنَسْل الملوكِ، لا تَبور ولاتحري[2]
متى ما تُلاقي منهمُ الدَّهرَ ناشئاً ... تجدْه بإجْرِيًا[3] أوائله يجري
هُمُ ملأوا البطْحاء مَجْداً وعِزَّةً ... إذا استُبِق الخيرات في سالف العصر
وفيهم بُناةٌ للعُلا وعِمارةٌ ... وعبدُ مَناف جدّهم، جابر الكَسْر
بإنْكاح عَوْف بنتَه ليُجيرنا ... من أعدائنا إذا أسْلَمتنا بنو فِهْر
فسِرنا تِهامِيّ البلادِ ونَجْدَها ... بأمنه حتى خاضت العِيرُ في البحر
وهم حضروا والناسُ بادٍ فريقُهُم ... وليس بها إلاّ شُيُوخ بني عمرو[4]
بنَوْها دياراً جَمَّة، وَطَوَوْا بها ... بثاراً تسحّ الماء من ثَبَج البحر[5]
لكي يشرب الحُجَّاجُ منها، وغيرُهم ... إذا ابتدروها صُبْح تابعة النحْر
ثلاثةُ أيامٍ تظلّ رِكابُهم ... مُخيَّسةً[6] بين الأخاشب والحِجْر
وقِدْما غَنِينا قبل ذلك حِقبةً ... ولانَسْتَقي إلاّ بخُمٍّ أو الحَفْر[7]
وهم يغفِرونَ الذَّنْبَ يُنقَم دُونَه ... ويَعْفُون عن قول السَّفاهة والهُجر[8]

---

(١) هجان اللون: أبيض.
(٢) لا تبور ولا تحْرى، أي: لا تهلك ولا تنقص، ويقال للأفعى: حارية لرقتها، وفي الحديث: ما زال جسم أبي بكر يحرى حزناً على رسول الله ـ ﷺ ـ، أي: ينقص لحمه، حتى مات.
(٣) الإجريا: بالقصر والمدّ: الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه.
(٤) يريد: بني هاشم؛ لأنّ اسمه عمرو.
(٥) ثبج البحر: أي معظمه.
(٦) مخيَّسة: مذلّلة. ويروى «محبسة».
(٧) الخمّ والحفر: اسما بئرين تقدّم الكلام عنهما في بثار قريش.
(٨) الهُجْر: القبيح من الكلام الفاحش.

وهم جمعوا حلف الأحابيش[1] كلّها ... وهم نكّلوا[2] عنّا غُواة بني بكر
فخارجَ، إمّا أهلكنّ، فلا تزلْ ... لهم شاكراً حتى تُغيَّب في القبر
ولا ننسَ ما أسدى ابنُ لُبنَى؛ فإنه ... قد أسدى يداً محقوقة منك بالشكر
وأنت ابنُ لُبنَى من قُصَيٍّ إذا انتموا ... بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصدر
وأنت تناولتَ العُلا، فجمعتها ... إلى مَحْتِدٍ للمجد ذي ثَبَج جَسْر[3]
سبقتَ وفُتَّ القومَ بذْلاً ونائلاً ... وسُدْت وليداً كل ذي سُؤددٍ غَمْر
وأُمُّك سر[4] مِنْ خُزاعة جَوْهَر ... إذا حصّل الأنسابَ يوماً ذوو الخبر
إلى سبأ الأبطال تُنمى، وتَنْتمي ... فأكْرِمْ بها منسوبةً في ذُرا الزُّهر
أبو شمِر منهم، وعمرو بنُ مالِك ... وذو جَدَن من قومها وأبو الجبْر[5]
وأسعد قاد الناس عشرين حِجَّةً ... يُؤَيَّد في تلك المواطن بالنصر[6]

قال ابن هشام: «أمك سرّ من خُزاعة»، يعني: أبا لهب، أمّه: لُبَنى بنت هاجر الخُزاعيّ. وقوله: «بإجْرِيّا أوائله» عن غير ابن إسحاق.

رثاء مطرود الخُزاعيّ لعبدالمطّلب: قال ابن إسحاق: وقال مطرود بن كعب الخُزاعيّ يبكي عبدَالمطّلب وبني عبدمَناف:

---

(١) الأحابيش: أحياء القارة، انضمّوا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمّى حبشيا، فسُمّوا بذلك.
(٢) نكّلوا: صرفوا وزجروا.
(٣) الجَسْر: بالفتح. الماضي في أموره القويّ عليها.
(٤) سر: خالصة النسب.
(٥) أبو شمِر، وهو شمِر الذي بنى سمرقند، وأبوه: مالك، يقال له: الأمْلُوك، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسّاني والد الحارث بن أبي شمر.
وعمرو بن مالك الذي ذُكر: أحسبه عمراً ذا الأذعار، وقد تقدّم في التبابعة، وهو من ملوك اليمن، وإنّما جعلهم مفخراً لأبي لهب؛ لأنّ أمه خُزاعية من سبأ، والتبابعة كلهم من حِمْيَر بن سبأ.
وأبو جبْر الذي ذكره في هذا الشعر: ملك من ملوك اليمن، ذكر القتبي أنّ سُمَيَّة أم زياد، كانت لأبي جبْر ملك من ملوك اليمن، دفعها إلى الحارث بن كِلْدة المتطبّب في طبِّ طبّه. (الروض ١/٢٠٢).
(٦) أسعد أبو حسّان بن أسعد، وقد تقدّم في التبابعة.

يـا أيهـا الـرجُـلُ المُحَـوِّلُ رَحْلَهُ　　هَـلاَّ سـألتَ عن آل عـبـدمَنـافِ
هَبَلَتْكَ[1] أُمُّـكَ، لـوحَلَلْتَ بـدارهم　　ضَمِنُـوكَ من جُـرمٍ ومن إقـراف[2]
الـخـالـطينَ غـنيـهمُ بـفقيـرهـم　　حتى يعـود فقيـرُهُمْ كـالـكـافي
الـمنـعِمِين إذا الـنجـومُ تـغيَّـرتْ　　والـظاعـنيـن لـرحـلة الإيـلاف
والمنعِمِين إذا الـريـاحُ تـنـاوحت　　حتى تغيبَ الشمسُ في الـرَّجَّـاف[3]
إمَّـا هلكْتَ أبـا الفِعـال فمـا جَـرَى　　من فـوق مثلك عِقْـد ذاتِ نِـطاف[4]
إلاّ أبيـك أخي الـمكـارمِ وحـدَه　　والفيض مُـطَّلب أبـي الأضيـاف[5]

قال ابن إسحاق: فلما هلك عبدالمطّلب بن هاشم وُلّي زمـزمَ والسقايـةَ عليها بعده العباس بن عبدالمطّلب، وهو يومئذٍ من أحدث إخوتـه سنّاً[6]، فلم تـزل إليه، حتى قـام الإسلام، وهي بيـده. فأقـرّها رسـول الله ـ ﷺ ـ على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس، بولاية العباس إيّاها، إلى اليوم.

---

(١) هَبَلَتْك: فقدتك. وهو على جهة الإغراء، لا على جهة الدعاء، كما تقول: تربت يداك.

(٢) أي: منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخـواتك من لئيم، فيكـون الابن مقرفاً للؤم أبيه، وكـرم أمه، فيلحقك وصم من ذلك، ونحوٌ من قول مهلهل:

أنـكحَـهـا فـقـدُهـا الأراقـم فـي　　جـنـب، وكـان الـحـبـاء مـن أدم

أي: أنكحت لغربتها من غير كفء. (الروض الأنف ١/٢٠٣).

(٣) يعني: البحـر لأنه يـرجف. ومن أسمائـه أيضاً: خضَـارَة، والدأمـاء وأبـو خـالـد. (الـروض ١/٢٠٤).

(٤) النطَف: اللؤلؤ الصافي. ووصيفة منطّفة أي: مقرّطة بتوأمتين والنـطف في غير هـذا: التلطّخ بالعيب، وكلاهما من أصلٍ واحد، وإنْ كانـا في الظاهـر متضادَّين في المعنى؛ لأنّ النـطفة هي الماء القليل، وقد يكونُ الكثيـر، وكأن اللؤلؤ الصـافي أخذ من صفـاء النطفـة. والنطف الـذي هو العيب: أُخـذ من نُطفـة الإنسـان، وهي مـاؤه، أي: كـأنـه لـطّخ بهـا. (الـروض ١/٢٠٤).

(٥) والفيض مطلب أبي الأضياف. يريد: أنه كان لأضيافه كالأب. والعرب تقول لكل جواد: أبو الأضياف. كما قال مُرّة بن محكان:

أدْعى أبـاهـم، ولم أقـرِف بـأمّهم　　وقـد عَمِـرْت ولم أعـرف لهم نسبـاً

(الروض ١/٢٠٤).

(٦) يقول السهيلي مما منعه النحويون أن يقال: زيد أفضل اخـوته. وليس بممتنـع، وهو مـوجود في مـواضع كثيـرة من هذا الكتـاب، وغيره، وحسن، لأنّ المعنى: زيـد يَفْضُل إخـوتَـه، أو يفضُلُ قومَه؛ ولذلك ساغ فيه التنكير، وإنما الذي يمتنـع بإجمـاع: إضافـة أفعل إلى التثنيـة مثل أن تقول: هو أكرم أخويه، إلا أن تقول: الأخوين، بغير إضافة. (الروض ١/٢٠٣).

كفالة أبي طالب لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم

وكـان رسول الله ـ ﷺ ـ بعـد عبدالمـطّلب مع عمّـه أبي طالب، وكـان عبدالمطّلب ـ فيما يزعمون ـ يوصي به عمَّه أبا طالب، وذلـك لأنّ عبدالله أبـا رسـول الله ـ ﷺ ـ وأبا طـالب أَخَوان لأبٍ وأم. أمّهمـا: فاطمـة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عِمران بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وكان أبو طـالب هو الـذي يلي أمرَ رسـول الله ـ ﷺ ـ بعد جدّه، فكان إليه ومعه.

اللّهبي العائف: قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الـزُبيـر، أنّ أبـاه حـدّثـه: أنّ رجـلاً من لهْب ـ قـال ابن هشـام: ولهب: من أزْدشَنُوءة[1] ـ كان عائفاً، فكـان إذا قدِم مكـةَ أتاه رجـال قريش بغلمـانهم ينظر إليهم، ويعتاف[2] لهم فيهم. قال: فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع مَن يأتيـه فنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغـلام. عليّ به، فلما رأى أبو طالب حـرصه عليـه غيَّبه عنـه، فجعل يقـول: ويلكم! ردّوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكوننّ له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

قصة بَحِيرَى[3]

محمـد(ﷺ) يخرج مـع عمّه إلى الشـام: قال ابن إسحـاق: ثم إنّ أبـا طـالب خرج في ركْبٍ تـاجراً إلى الشـام، فلما تهيّـأ للرحيل، وأجمـع المسيرَ

---

(١) وقال غيره: وهو لهب بن أحجن بن كعب، بن الحارث بن كعب بن عبـدالله بن مالـك بن نصر بن الأزد. وهي القبيلة التي تُعرف بالعيافة والزجر. (الروض ١/٢٠٤).

(٢) يعتـاف لهم: هو يفتعـل من العيف: يقال: عِفْتُ الـطير. واعْتَفْتُهـا عيلفة واعتيـافـاً: وعِفت الطعام أعافه عَيْفاً. وعافت الطير الماء عيافاً. (الروض ١/٢٠٥).

(٣) الطبقات الكبـرى ١/١٢١، أنساب الأشـراف ١/٩٦ رقم ١٧٢، تاريخ الطبـري ٢/٢٧٧، =

صَبَّ[1] به رسول الله - ﷺ - فيما يزعمون - فرقّ له، وقال: والله لأخرجنَّ به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً، أو كما قال. فخرج به معه[2].

بَحِيرَى يحتفي بتجّار قريش: فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يقال له: بَحِيرَى[3] في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قطّ راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك، فلا يكلّمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنّه رأى رسول الله - ﷺ - وهو في صومعته في الرَّكْب حين أقبلوا، وغمامة تُظلّه من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة، وتهصّرت أغصان الشجرة على رسول الله - ﷺ - حتى استظلّ

= الكامل في التاريخ ٢/٣٧، تاريخ دمشق (السيرة) ١ - ٨، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٣٧١، المستدرك للحاكم ٢/٦١٥، سيرة ابن كثير ١/٢٤٦، سنن الترمذي ٩/٢٤٢، نهاية الأرب ١٦/٩٠، السيرة الحلبية ١/١١٤، شرح المواهب ١/١٩٣، عيون الأثر ١/٤٠، الروض الأنف ١/٢٠٧، عيون التواريخ ١/٣٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٥، سبل الهدى ٢/١٨٩، السير والمغازي لابن إسحاق ٧٤، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٨٤.

(١) الصبابة: رقّة الشوق، يقال: صَبِبْت - بكسر الباء - أصَب، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ: «أَصَبُّ إليهنّ وأكنْ من الجاهلين» وفي غير رواية أبي بحر: ضبث به رسول الله - ﷺ - أي: لزمه. قال الشاعر:

كأنّ فؤادي في يد ضَبَثَتْ به *** مُحاذرة أن يَقضب الحبل قاضبه

(الروض ١/٢٠٦).

(٢) كان رسول الله - ﷺ - إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألّف في السِيَر، وقال الطبري: ابن ثنتي عشرة سنة. (الروض ١/٢٠٦).

(٣) وقع في سِيَر الزُّهْرِي أنّ بَحِيرَى كان حَبْراً من يهود تَيْماء، وفي المسعودي: أنه كان من عبد القيس. واسمه: سَرْجِس، وفي المعارف لابن قُتَيبة، قال: سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إنّ خير أهل الأرض ثلاثة: بَحِيرَى، ورباب بن البراء الشنّي، والثالث: المنتظر، فكان الثالث رسول الله - ﷺ - قال القُتبي: وكان قبر رباب الشني، وقبر ولده من بعده، لا يزال يرى عليها طَش، والطشّ: المطر الضعيف. (الروض ١/٢٠٥، ٢٠٦).

تحتهـا، فلما رأى ذلـك بَحِيرى نـزل من صومعتـه، وقد أمـر بذلـك الـطعـام فصُنع، ثم أرسل إليهم، فقال: إنّي قد صنعت لكُم طعـاماً يـا معشر قـريش، فأنا أحب أن تحضروا كلّكم، صغيركم وكبيـركم، وعبدكم وحُـرّكم، فقال لـه رجل منهم: والله يا بَحِيرَى إنّ لك لشأناً اليـوم! ما كنت تصنـع هذا بنـا، وقد كنّا نمرّ بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟! قـال له بَحِيـرَى: صدقت، قـد كان مـا تقول، ولكنّكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم، وأصنع لكم طعـاماً، فتـأكلوا منـه كلّكم. فاجتمعـوا إليه وتخلّف رسـول الله ـ ﷺ ـ من بين القوم، لحـداثة سِنّه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بَحِيرَى في القوم لم يـرَ الصفة التي يعـرف ويجد عنـده، فقال: يـامعشـر قـريش! لايتخلفنّ أحـد منكم عن طعـامي، قالـوا له: يـا بَحِيرَى، مـا تخلّف عنك أحـد ينبغي له أن يـأتيك إلاّ غلام، وهو أحدث القوم سنّاً، فتخلّف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه، فليحضرْ هذا الطعام معكم. قال: فقال رجـل من قريش مـع القوم: والّـلاتِ والعُزَّى، إن كان للؤم بنا أن يتخلّف ابن عبدالله بن عبدالمطّلب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه، وأجلسه مع القوم.

بَحِيرَى يتثبّت من محمد (ﷺ): فلما رآه بَحِيرَى، جعـل يلحظه لحـظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كـان يجدهـا عنده من صفتـه، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا، قام إليه بَحِيرَى، فقال: يا غـلام، أسألـك بحقّ الّـلات والعُزَّى إلاّ مـا أخبرتني عمّـا أسألـك عنه، وإنمـا قال لـه بَحِيرَى ذلك؛ لأنه سمع قومـه يحلفون بهمـا. فزعمـوا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قـال: لا تسألني بالّـلات والعُزَّى شيئـاً، فوالله مـا أبغضت شيئاً قطّ بغضهمـا، فقال لـه بَحِيرَى: فبالله إلاّ ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال له: سلني عمّا بدا لـك. فجعـل يسألـه عن أشياء من حـاله: من نـومه وهيئتـه وأموره، فجعـل رسـول الله ـ ﷺ ـ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بَحِيرَى من صفته، ثم نظر إلى ظهـره؛ فرأى خاتم النّبوَّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.[1].

---

(١) رواه ابن عساكر بسنده الى أحمد بن عبـد الجبار العـطاردي، عن يونس بن بكيـر الشيباني، =

قال ابن هشام: وكان مثل أثر المحجم[1].

بَحِيرَى يوصي أبا طالب بحمد (ﷺ)؛ قال ابن إسحاق: فلما فرغ، أقبل على عمّه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بَحِيرَى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمُّه حُبْلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

بعضٌ من أهل الكتاب يريدون بمحمد (ﷺ) الشرَّ: فخرج به عمّه أبو طالب سريعاً، حتى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته بالشام، فزعموا فيما روى الناس: أنّ زُرَيْراً وتَمَّاماً ودَريساً ـ وهم نفر من أهل الكتاب ـ قد كانوا رأوا من رسول الله ـ ﷺ ـ مثل ما رآه بَحِيرَى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمّه أبي طالب، فأرادوه، فردّهم عنه بَحِيرَى، وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إنْ أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه، ولم يزل بهم. حتى عرفوا ما قال لهم، وصدّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه[2].

محمد (ﷺ) يشبّ على مكارم الأخلاق: فشبّ رسول الله ـ ﷺ ـ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقاً، وأكرمهم حَسَباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً،

= عن ابن اسحاق. (تاريخ دمشق ـ السيرة) ٧، ٨، والسير والمغازي ٧٣، وتاريخ الطبري ٢/٢٧٧، ودلائل النبوّة ١/٣٧٣، تاريخ الإسلام ٥٨.

(١) يعني: أثر المحجمة القابضة على اللحم، حتى يكون ناتئاً. وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سُود. وفي صفته أيضاً أنه كان كالتفاحة، وكزر الحجلة. وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفي حديث عَيَّاذ بن عبد عمرو: قال: رأيت خاتم النبوة، وكان كركبة العنز. (الروض الأنف ١/٢٠٦).

(٢) السير والمغازي ٧٥، ٧٦.

وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنّس الرجال، تنزُّهاً وتكرُّماً، حتى ما اسمه في قومه إلّا الأمين، لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[1].

رسول الله (ﷺ) يحدّث عن حِفظ الله له: وكان رسول الله - ﷺ - فيما ذُكر لي يحدّث عمّا كان الله يحفظه به في صِغره وأمر جاهليّته، أنه قال:

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلّنا قد تعرّى، وأخذ إزاره، فجعله على رقبته، يحمل عليه الحجارة، فإنّي لأُقْبِل معهم كذلك وأُدْبِر، إذ لَكَمَني لاكم ما أراه، لكمةً وجيعةً، ثم قال: شُدَّ عليك إزارك. قال: فأخذته وشددْتُه عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي[2].

حرب الفِجار[3]

قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - أربع عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة - فيما حدّثني أبو عبيدة النحْوي، عن أبي عمرو بن العلاء -

---

(١) السير والمغازي ٧٨.

(٢) وهذه القصة إنّما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة، وكان رسول الله - ﷺ - ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يجعلون أُزُرَهم على عواتقهم لتقِيهم الحجارة، وكان رسول الله - ﷺ - يحملها على عاتقه، وإزاره مشدود به، فقال له العباس رضي الله عنه: يا ابن أخي! لو جعلت إزارك على عاتقك، ففعل فسقط مغشيّاً عليه، ثم قال: إزاري إزاري! فشدّ عليه إزاره، وقام يحمل الحجارة، وفي حديث آخر: أنه لما سقط، ضمّه العباس إلى نفسه، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء: أن اشدُدْ عليك إزارك يا محمد، قال: وإنه لأول ما نودي، وحديث ابن إسحاق إنْ صح أنه كان في حال صغره إذ كان يلعب مع الغلمان فمحمله أنّ هذا الأمر كان مرتين، مرة في حال صِغره ومرّة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة. (انظر الروض الأنف ص ٢٠٨ - ٢٠٩). وانظر: السير والمغازي لابن إسحاق ٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٢٦، نهاية الأرب ١٥/٤٢٣، و١٦/٩٣، الروض الأنف ١/٢٠٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ٦١، مروج الذهب ٢/٢٧٥، عيون الأثر ١/٤٦، السيرة لابن كثير ١/٢٥٥، عيون التواريخ ١/٣١، سبل الهدى ٢/٢٠٥، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٤٧.

هاجت حرب الفِجار[1] بين قريش ومن معها من كِنانة، وبين قيْس عيْلان.

سببها: وكان الذي هاجها أنَّ عُروة الرَّحَّال بن عُتبة بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن، أجار لَطِيمةً[2] للنُّعمان بن المنذر، فقال له البرَّاض بن قيس، أحد بني ضَمْرة بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة: أتُجيرها على كِنانة؟ قال: نعم، وعلى الخلْق، فخرج فيها عُروة الرّحّال، وخرج البرّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمنَ ذي طَلَّال بالعالية، غفل عُروة، فوثب عليه البرّاض، فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سُمّي: الفِجَار. وقال البرّاض في ذلك:

وداهيةٍ تُهِمُّ[3] الناسَ قبلي ... شددتُ لها - بني بكر - ضُلوعي
هدمت[4] بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعت المواليَ بالضروع[5]
رفعت له بذي طلَّالَ كفّي ... فخرَّ يَميد كالجِذع الصَّريع[6]

---

(١) الفِجار بكسر الفاء بمعنى: المُفَاجَرة كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام، ففجروا فيه جميعاً، فسُمّي: الفِجار. (الروض ١/ ٢٠٩).

فجارات العرب: وكانت للعرب فجارات أربع، ذكرها المسعودي في مروج الذهب ٢/ ٢٧٥، آخرها: فِجار البراض المذكور في السيرة، وكان لكِنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة: يوم شَمْطة، ويوم العبلاء، وهما عند عُكاظ، ويوم الشَّرب، وهو أعظمها يوماً، وفيه قيَّد حربُ بنُ أُميَّة وسفيان وأبو سفيان أبناء أُميّة أنفسَهم كي لا يفرّوا، فسُمُّوا: العنابس، ويوم الحريرة عند نخلة، ويوم الشرب انهزمت قيس إلاّ بني نضْر منهم، فإنهم ثبتوا، ولم يقاتل رسولُ الله - ﷺ - مع أعمامه، وكان ينبل عليهم، وقد كان بلغ سنَّ القتال؛ لأنها كانت حرب فِجار، وكانوا أيضاً كلّهم كُفّاراً، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلاّ لتكون كلمة الله هي العليا. (الروض الأنف ١/ ٢٠٩).

(٢) اللطيمة: عير تحمل البزّ والعطر. (الروض ١/ ٢٠٩).

(٣) في العقد الفريد «يُهال». وكذا في الأغاني.

(٤) في العقد الفريد «هتكت».

(٥) الضروع. جمع ضَرِع، هو في معنى قولهم: لئيم راضع، أي: ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورَضاع الضُّروع، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم. (الروض ١/ ٢١٠).

(٦) قول البرّاض: رفعت له بذي طَلَّالَ كفّي. فلم يصرفه، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف، فإن قلت: كان يجب أن يقول: بذات طلال، أي:

وقال لَبيد بن مالك بن جعفر بن كِلاب:

أبـلِغْ - إنْ عـرضت - بـني كـلابٍ وعـامـرَ والخُـطُوبُ لهـا مَـوَالي
وبـلغ - إنْ عـرضت - بـني نُـمَيْـر وأخـوالَ الـقـتـيـل بـنـي هِـلال
بـأنّ الـوافـد الـرَّحَّـال أمـسـى مُقيمـاً عنـد تَـيْمَـن ذي طِـلاَل[1]

وهذه الأبيات في أبياتٍ له فيما ذكر ابن هشام.

قتال هوازن لقريش: قال ابن هشام؛ فأتى آتٍ قريشاً، فقال: إنّ البرّاض قد قتل عُرْوة، وهم في الشهر الحرام بعُكاظ، وهوازن لاتشعر، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحَرَم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً، والقوم متساندون، على كل قَبِيل من قريش وكِنانة رئيس منهم، وعلى كلّ قَبيل من قيس رئيس منهم.

الرسول ﷺ يشهد القتال وهو صغير: وشهد رسول الله ﷺ - بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله - ﷺ -: «كنت أُنَبِّل على أعمامي»، أي: أردّ عنهم، نَبْل عدوّهم، إذا رَموهم بها[2].

= ذات هذا الاسم للمؤنّث، كما قالوا: ذو عمرو أي: صاحب هذا الاسم، ولو كانت أنثى، لقالوا: ذات هند (مثلاً)، فالجواب: أنّ قوله: بذي يجوز أن يكون وصفاً لطريق، أو جانب مُضاف إلى طلال اسم البقعة. وأحسن من هذا كلّه أن يكون طلال اسماً مذكّراً عَلَماً، والأسم العَلَم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً. ووقع في شعر البرّاض مشدَّداً، وفي شعر لَبِيد الذي بعد هذا مخفّفاً؛ نقول: إنّ لَبِيداً خفّفه للضرورة، ولم نقل: إنه شدّد للضرورة، وإنّ الأصل فيه التخفيف، لأنه فَعال من الطَلّ، كأنه موضع يكثر فيه الطلّ، فطلال بالتخفيف لا معنى له، وأيضاً؛ فإنّا وجدناه في الكلام المنثور مشدّداً. (الروض ١/٢٠٩، ٢١٠) وورد هذا البيت في العقد الفريد ٥/٢٥٤ وفي الأغاني ٢٢/٥٨

جمعت لها يـديّ بـنصْـل سيفٍ أفَـلّ فخرّ كـالجِـذْع الصَّـريـع

(١) وقول لبيد: بين تَيْمِن ذي طلال، بكسر الميم وفتحها، ولم يصرفه لوزن الفعل، والتعريف لأنه تَفْعِل، أو تفعل من اليُمْن أو اليمين.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة) ٦١.

سنّ رسول الله ﷺ - في هذه الحرب: قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفِجار، ورسول الله - ﷺ - ابن عشرين سنة[1].

سبب تسمية هذا اليوم بالفِجار: وإنّما سُمّي يوم الفِجار، بما استحلّ هذان الحيّان: كِنانة وقيس عيلان فيه من المَحَارِم بينهم.

قائد قريش وكِنانة: وكان قائد قريش وكِنانة حرب بن أُميَّة بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كِنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكِنانة على قيس.

قال ابن هشام: وحديث الفِجار أطول مما ذكرت، وإنما منعني من استقصائه قطْعه حديث رسول الله ﷺ[2].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٢٨.

(٢) وكان آخر أمر الفِجار أنّ هوازن وكِنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد. وكان حرب بن أميّة رئيس قريش وكِنانة، وكان عُتبة بن ربيعة يتيماً في حجْره، فضَنّ به حرب، وأشفق من خروجه معه، فخرج عُتبة بغير إذنه، فلم يشعروا إلاّ وهو على بعيره بين الصَّفين ينادي: يا معشر مُضَر، عَلاَم تقاتلون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ فقال: الصلح؛ على أن ندفع إليكم دِية قتلاكم، ونعفو عن دمائنا، قالوا: وكيف؟ قال: ندفع إليكم رهناً منّا، قالوا: ومن لنا بهذا؟ قال: أنا. قالوا: ومن أنت؟ قال: عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فرضوا ورضيت كِنانة. ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً، فيهم: حكيم بن حِزام، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم، عفَوْا من الدماء، وأطلقوهم وانقضت حرب الفِجار، وكان يقال: لم يسُدْ من قريش مُمْلق إلاّ عُتبة وأبو طالب، فإنّهما سادا بغير مال. (الروض الأنف ١/٢١١).

حديث تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها[1]

سِنّه - ﷺ - حين زواجه: قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمساً وعشرين سنة[2]، تزوّج خديجة[3] بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، فيما حدّثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني.

خروجه (ﷺ) إلى التجارة بمال خديجة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خُوَيلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها،

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق ٨١، أنساب الأشراف ١/٩٧ رقم ١٧٣، الطبقات الكبرى ١/١٣١، تاريخ الطبري ٢/٢٨٠، تاريخ دمشق (السيرة) ١٣٦، نهاية الأرب ١٦/٩٧، السيرة الحلبية ١/١٣٧، شرح المواهب ١/٢٠١، عيون الأثر ١/٤٧، السيرة لابن كثير ١/٢٦٢، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٦٣، الكامل في التاريخ ٢/٣٩، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٣، الروض الأنف ١/٢١١، عيون التواريخ ١/٣٧، سبل الهداية ٢/٢٢٢.

(٢) وقيل كان سنّه - ﷺ - إحدى وعشرين سنة، وقيل ثلاثين.

(٣) خديجة بنت خُوَيلد تُسَمّى: الطاهرة في الجاهلية والإسلام، وفي سِيَر التيمي: أنها كانت تُسَمّى: سيّدة نساء قريش. وكانت قبل رسول الله - ﷺ -. عند هند بن زُرارة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، ولدت له عبد مَناف بن عتيق، وقال الزبير: ولدت لعتيق جارية اسمها: هند، وولدت لهند: ابناً اسمه: هند أيضاً، مات بالطاعون: طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا، اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. (الروض الأنف ١/٢١٥)

وتضاربهم إيّاه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تِجَاراً، فلما بلغها عن رسول الله ـ ﷺ ـ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيرَه من التجّار، مع غلام لها يقال له: مَيْسَرة، فقبِلَه رسول الله ـ ﷺ ـ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها مَيْسَرة، حتى قدِم الشام.

حديثه (ﷺ) مع الراهب: فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان. فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلّا نبيّ[1].

ثم باع رسول الله ـ ﷺ ـ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافِلاً إلى مكة، ومع مَيْسَرة، فكان مَيْسَرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجِرة، واشتدّ الحَرّ، يرى مَلَكَين يُظِلّانه من الشمس ـ وهو يسير على بعيره، فلما قدِم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به، فأضعف أو قريباً. وحدّثها مَيْسَرة عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكَين إياه.

خديجة ترغب في الزواج منه (ﷺ): وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله به من كرامته، فلما أخبرها مَيْسَرة بما أخبرها به، بعثت

---

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلّا نبيّ. يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلّا نبيّ، ولم يرد: ما نزل تحتها قطّ إلا نبيّ؛ لبُعْد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر: قط، فقد تكلّم بها على جهة التوكيد، والشجرة لا تعمّر في العادة هذا العمر الطويل حتى يُدْرَى أنه لم ينزل تحتها إلّا عيسى، أو غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجيء نبيّ، إلّا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث؛ لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذه مخصوصة بهذه الآية والله أعلم. وهذا الراهب ذكروا أنّ اسمه نسطورا وليس هو بَحِيرا المتقدّم ذكره. (الروض الأنف ١/٢١١، ٢١٢).

إلى رسول الله - ﷺ - فقالت له فيما يزعمون: يا ابن عَمٍّ، إنّي قد رغبت فيك لقرابتك، وَسِطَتِك[1] في قومك وأمانتك، وحسن خُلقك، وصدْق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نَسَباً، وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه[2].

نسب خديجة رضي الله عنها: وهي خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهر. وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ بن رَوَاحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأم فاطمة هالة بنت عبد مَناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأمّ

---

(١) السِّطَةُ: من الوسط، مصدر كالعِدة والزِّنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين: في ذكر النَّسب، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأنّ أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأنّ الأباء والأمّهات قد أحاطوا به من كل جانب، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النَّسب بهذا السبب. وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه: «قال أوسطهم» وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فكان هذا مدحاً في الشهادة، لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وَسَطاً كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمّم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى، ولا يميل به رغبة، ولا رهبة، من ها هنا، ولا من ها هنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل. وظنّ كثير من الناس أنّ معنى الأوسط: الأفضل على الاطلاق، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى: الفُضْلى، وليس كذلك، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذمّ، كما يقتضي لفظ التوسّط، فإذا كان وسطاً في السِّمَن، فهي بين المُمِخَّةِ والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوْهاء، إلى غير ذلك من الأوصاف، لا يعطي مدحاً، ولا ذمّاً، غير أنهم قد قالوا في المثل: أثقل من مُغنّ وسط على الذمّ؛ لأنّ المغنّي إن كان مجيداً جدّاً أمتع وأطرب، وإن كان بارداً جدّاً أضحك وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتع. قال الجاحظ: وإنما الكرْب الذي يجْثُم على القلوب، ويأخذ بالأنفاس، الغناء الفاتِر الوسط الذي لا يمتع بحسن، ولا يضحك بلهو، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله - ﷺ - هو: أوسط الناس. أي: أفضلهم، ولا يوصف بأنه وسط في العلم، ولا في الجود، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة، كما تقدّم، والحمد لله، والله المحمود. (الروض الأنف ٢١٢/٢١٣).

(٢) الخبر في: السير والمغازي ٨١، ٨٢، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٨٠، ٢٨١، وبعضه في تاريخ الإسلام (السيرة) ٦٣، ٦٤.

هـالة: قـلابة بنت سُعَيـد بن سعد بن سهم بن عمـرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

الرسول ﷺ يتزوّج من خديجة بعد استشارة أعمامـه: فلما قـالت ذلك لـرسـول الله ـ ﷺ ـ ذكـر ذلـك لأعمــامـه، فخــرج معـه عمّــه حمـزة[1] بن عبدالمطلب ـ رحمـه الله ـ حتى دخل على خُـويلد[2] بن أسد فخـطبها إليـه، فتزوّجها.

صَدَاق خديجـة: قال ابن هشـام: وأصدقهـا رسول الله ـ ﷺ ـ عشـرين بكْرة، وكانت أول امرأة تزوّجها رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يتزوّج عليها غيرها حتى ماتت، رضي الله عنها.

أولاده ﷺ من خـديجة: قـال ابن إسحاق: فـولدت لـرسول الله ـ ﷺ ـ ولده كلّهم إلاّ إبراهيم: القـاسم، وبه كـان يُكنى ﷺ، والطاهـر، والطّيّب[3]، وزينب، ورُقيَّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، عليهم السلام.

ترتيب ولادتهم: قال ابن هشـام: أكبر بنيـه: القاسم، ثم الـطّيّب، ثم

---

(١) ويقال: إنّ أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الـذي خطب خـطبة النكـاح، وكان مما قاله في الخطبة: «أما بعد: فإنّ محمداً ممن لا يُـوازَن به فتى من قـريش إلاّ رجح بـه شرفـاً ونُبْلاً وفضـلاً وعقلاً، وإن كـان في المال قـلّ، فإنّمـا المال ظـلّ زائـل، وعـاريـة مُسترجعة، ولـه في خـديجـة بنت خُـويلد رغبـة، ولهـا فيـه مثـل ذلـك». (الـروض الأنف ١/٢١٣).

(٢) وعن ابن عبـاس، وعن عائشـة ـ رضي الله عنهم كلهم ـ قال: إنّ عمـرو بن أسد هـو الذي أنكح خديجة رسول الله ـ ﷺ ـ وأنّ خُويلداً كان قد هلك قبل الفِجار. (الروض ١/٢١٣).

(٣) الطاهر والطيّب لقبان للقاسم، سُمّي بالـطّاهر والـطّيب؛ لأنه وُلـد بعد النُّبـوَّة، واسمه الـذي سُمّي به أوّل هو: عبدالله، وبلغ القاسم المشي، غيـر أنّ رضاعتـه لم تكن كملت وقد وقـع في مسند الفِرْيابي أنّ خديجة دخل عليها رسول الله ـ ﷺ ـ بعد موت القـاسم، وهي تبكي: فقالت: يا رسول الله دَرّت لُبَيْنَة القاسم، فلو كان عـاش حتى يستكمل رضـاعة لهـوّن عليّ، فقال: إنّ له مرضعاً في الجنّة تستكمل رضاعته، فقالت: لو أعلم ذلـك لهوّن عليّ، فقـال: إنْ شئت أسمعتـك صوتـه في الجنّـة، فقـالت: بـل أصـدّق الله ورسـولـه. (الـروض الأنف ١/٢١٤).

الطّاهر، وأكبر بناته: رُقَيّة، ثم زينب، ثم أمّ كلثوم، ثم فاطمة.

قال ابن إسحاق: فأمّا القاسم، والطيّب، والطاهر فهلكوا في الجاهلية.

وأما بناته فكلهنّ أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه - ﷺ -.

إبراهيم وأمه: قال ابن هشام: وأما إبراهيم فأمه: مارية القبطية. حدّثنا عبدالله بن وهْب، عن ابن لَهِيعة، قال: أم إبراهيم: مارية سَرِيّة النّبي - ﷺ - التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كُورَة أَنْصِنَا.

ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوّة: قال ابن إسحاق: وكانت خديجة بنت خُوَيلد قد ذكرت لورقة[1] بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى - وكان ابن عمّها، وكان نصرانياً قد تتبّع الكتب، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها مَيْسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلّانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقّاً يا خديجة، إنّ محمداً لنبيّ هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتَظر، هذا زمانه، أو كما قال.

شعر لورقة: فجعل ورقة يستبطيء الأمر ويقول: حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك:

لَجِجْتُ وكنت في الذّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بعث النشيجا[2]

ووصف من خديجةَ بعدَ وصفٍ ... فقد طال انتظاري يا خديجا

ببطنِ المكّتَيْن[3] على رجائي ... حديثك أن أرى منه خُروجا

---

(١) وأم ورقة: هند بنت أبي كبير بن عبد بن قُصَيّ، ولا عقب له، وهو أحد من آمن وسلم - قبل البعث. (راجع الروض الأنف ٢١٦، ٢١٧).

(٢) النشيج: البكاء مع صوت.

(٣) ثنّى مكة، وهي واحدة؛ لأنّ لها بِطاحاً وظواهر، على أنّ للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة، وجمْعها، نحو قوله: وميت بغزّات، يريد: بغزّة، وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله:

بالرقمتين له أجر وأعراس ... والحُمّتين سقاك الله من دار

وقول زهير «ودار لها بالرقمتين» وقول ورقة من هذا: ببطن المكّتين. لا معنى لإدخال =

بـمـا خَـبَّـرْتـنـا مـن قـول قَسّ   من الـرهبـان أكـره أن يَـعُـوجـا
بـأنّ مـحـمـداً سيـسـود فـيـنـا   ويخْصِم من يكـون لـه حَجِيجـا
ويـظهـر في البـلاد ضيـاءُ نـور   يُقيم بـه البـريّـةَ أنْ تَـمـوجـا(1)

= الظواهر تحت هذا اللفظ، وقد أضاف إليها البطن، كما أضافه المبرّق حين قال:

ببطن مكة مقهور ومفتون

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كلّ بلدة، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: صدنا بقنوين، وهو هنا اسم جبل، وقال عنترة.

شربَت بماء الدُّحْر ضَيْن

وهو من هذا الباب في أصحّ القولين، وقال عنترة أيضاً:

بعُنَيْزَتَيْن وأهلنا بالعَيْلم

وعُنيزة اسم موضع، وقال الفرزْدق:

عشيّة سال الْمِرْبَدان كلاهما

وإنّما هو مِرْبد البصرة. وقولهم:

تسألني برامَتَين سَلْجَمَا

وإنما هو رامة. وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنّة وبستان، فتسمّيها جنّتين في فصيح الكلام، إشعاراً بأنّ لها وجهين، وأنك إذا دخلتها، ونظرت إليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرّة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل: «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنّتان عن يمين وشمال» إلى قوله سبحانه: «وبدّلناهم بجنّتَيْهم جنّتين» وفيه: «جعلنا لأحدهما جنّتين» الآية. وفي آخرها: «ودخل جنّته» فأفرد بعد ما ثنّى، وهي هي، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والقول في هذه الآية يتّسع. (الروض الأنف ١/٢١٨، ٢١٩) وانظر ج ٢/٢٧٣)، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٨٢ و٨٣.

وفي البيت: حديثك أن أرى منه خروجاً. قوله منه: الهاء راجعة على الحديث، وحرف الجرّ متعلّق بالخروج، وإن كره النحْويون؛ ذلك لأنّ ما كان من صلة المصدر عندهم. فلا يتقدّم عليه؛ لأنّ المصدر مقدّر بأنْ والفِعل، فما يعمل فيه هو من صلة أن، فلا يتقدّم، فمن أطلق القول في هذا الأصل، ولم يخصّص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المَفْصل، وتاه في تضلّل؛ ففي التنزيل: «أَكانَ للناس عَجَباً أنْ أوْحَينا إلى رجلٍ منهم» ومعناه: أكان عجباً للناس أنْ أوحينا، ولا بدّ للام ها هنا أن تتعلّق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها. (الروض الأنف ١/٢١٨ - ٢٢٠).

(١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء، وأنّ الضياء هو المنتشر عن النور، وأنّ النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدؤه، وعنه يصدر، وفي التنزيل: «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم». وفيه: «جعل الشمس ضياء، والقمر نوراً» لأنّ نور القمر لا ينتشر عنه من =

فيلقى من يحاربُه خَساراً ويَلقى من يسالمه فُلُوجا[1]
فياليتني إذا ما كان ذا كُمُ شهِدْت فكنتُ أوَّلَهم وُلوجا
وُلُوجاً في الذي كرهَتْ قريشٌ ولو عجَّتْ[2] بمكّتها عجيجا
أُرَجَّى بالذي كَرِهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عُرُوجا[3]
وهل أمرُ السَّفالَة غيرُ كفْر بمن يخْتار من سَمك البُروجا
فإنْ يبقَوا وَأبْقَ تكن أمورٌ يضجّ الكافرون لها ضجيجا
وإنْ أهلِكْ فكلّ فتى سَيَلْقَى من الأقدار مَتْلَفةً حَرُوجا[4]

حديث بنيان الكعبة وحُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر[5]

سبب هذا البنيان: قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله - ﷺ - خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة[6]، وكانوا يهمُّون بذلك، ليسقفوها

= الضياء ما ينتشر من الشمس، ولا سيما في طرفي الشهر. وفي الصحيح: «الصلاة نور، والصبر ضياء» وذلك أنّ الصلاة هي عمود الإسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو: الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر. وفي أسماء الباري سبحانه «الله نور السموات والأرض» ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه. (الروض الأنف ١/٢١٩).

(١) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.

(٢) عجّت: ارتفعت أصواتها.

(٣) العُرُوج: الصعود والعلوّ.

(٤) المتلفة: المهلكة. والحروج: الكثيرة التصرف.

(٥) الطبقات الكبرى ١/١٤٥، السير والمغازي لابن إسحاق ١٠٣، تاريخ الطبري ٢/٢٨٩، أنساب الأشراف ١/٩٩، البدء والتاريخ ٤/٨٤، الكامل في التاريخ ٢/٤٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٢، أخبار مكة ١/١٥٧، نهاية الأرب ١٦/٩٩، شرح المواهب ١/٢٠٣، عيون الأثر ١/٥١، السيرة لابن كثير ١/٢٧٠، الروض الأنف ١/٢٢١، عيون التواريخ ١/٣٩، سبل الهدى ٢/٢٢٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٦٦، مروج الذهب ٢/٢٧٨.

(٦) وكان بناؤها في الدهر خمس مرات. الأولى: حين بناها شيث بن آدم، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزُبير بشرارة طارت من أبي قبَيْس، فوقعت في =

ويهابون هدْمها، وإنّما كانت رَضْما[1] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أنّ نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنّما كان يكون في بئرٍ في جوف الكعبة، وكان الذي وجد عنده الكنز دويكاً مولى لبني مليح بن عمرو من خُزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريش يده. وتزعم قريش أنّ الذين سرقوه وضعوه عند دويك، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدّةَ لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطيّ نجار[2]، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يُهدَى لها كل يوم، فتَتَشَرَّقُ[3] على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَألّت وَكشّت[4]، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع؛ بعث الله اليها طائراً فاختطفها، فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب،

= أستارها، فاحترقت، وقيل إنّ امرأة أرادت أن تجمّرها، فطارت شرارة من المجمر في أستارها. فلما قام عبدالملك بن مروان، قال: لسنا من تخليط أبي خبيث بشيء، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر ابن الخطاب، وذلك أنّ الناس ضيّقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إنّ الكعبة بيت الله، ولا بدّ للبيت من فناء، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان، فاشترى دوراً أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد، فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه، لا في سَعَته، وجعل فيه عَمَداً من الرخام، وزاد في أبوابه، وحسّنها، فلما كان عبدالملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السواري في البحر إلى جُدة. (الروض الأنف ١/٢٢١، ٢٢٢).

(١) الرضْم: أن تنضّد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال:

رُزِئْتُهم في ساعة جرّعتَهُم كؤوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

(الروض الأنف ١/٢٢١).

(٢) وذكر غيره أنه كان علْجاً في السفينة التي خَجتها الريح إلى الشُّعَيْبة، وأنّ اسم ذلك النجّار: ياقوم، وكذلك رُوي أيضاً في اسم النجّار الذي عمل منبر رسول الله ـ ﷺ ـ من طَرْفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم. (الروض الأنف ١/٢٢٥).

(٣) تتشرّق: تبرز للشمس.

(٤) احْزَألّت، أي: رفعت ذنبها، وكشّت، أي: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض. (الروض ١/٢٥).

وقد كفانا الله الحيّة[1].

أبو وهْب ـ خال أبي رسول الله ـ وما حدث له عند بناء الكعبة: فلما أجمعوا أمرهم في هدْمها وبنائها، قام أبو وهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد ابن عِمران بن مخزوم.

قال ابن هشام: عائذ بن عِمران بن مخزوم. فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه. فقال: يا معشر قريش، لا تُدْخِلوا في بنائها من كسبكم إلاّ طيباً، لا يدخل فيها سهر بغيّ، ولا بيع رِبا، ولا مظلمة أحد من الناس. والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبدالله ابن عُمر بن مخزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكّي أنه حدّث عن عبدالله بن صفوان بن أُميّة بن خلف بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. أنه رأى ابناً لجعدة بن هُبَيرة بن أبي وهْب بن عمرو يطوف بالبيت، فسأل عنه، فقيل: هذا ابن لجعدة بن هُبيرة، فقال عبدالله بن صفوان عند ذلك: جَد هذا، يعني: أبا وهْب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش: لا تُدخِلوا في بنائها من كسبكم إلاّ طيّباً. لا تُدخِلوا فيها مهر بغيّ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[2].

شعر في أبي وهْب: قال ابن اسحاق: وأبو وهْب: خال أبي رسول الله ـ ﷺ ـ وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بأبي وهْب أنختُ مطيّتي ... غَدَتْ من نَداه رحْلُها غيرُ خائب[3]

---

(1) الخبر في السير والمغازي ١٠٤، وتاريخ الطبري، ٢/٢٨٧.
(2) الخبر في السير والمغازي ١٠٤، ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٧، ٢٨٨.
(3) ورد الشطر الثاني في السير والمغازي
لرحت وراحت رحلها غير خائب

بـأبيضَ من فَرْعَيْ لُؤَيّ بن غـالب | إذا حُصّلت أنسابُها في الـذوائب[1]
أبيٌّ لأخْـذِ الضَّيْم يـرتـاح للنَّـدى | تـوسَّط جَـدّاه فُـروعَ الأطـايِـب
عـظيم رَماد القِـدْر يمـلا جِفـانَـه | من الخُبـز يَعْلوهنّ مثـل السبـائب[2]

نصيب قبائل قـريش في تجزئـة الكعبة: ثم إنّ قـريشاً تجـزأت الكعبة، فكان شقّ الباب لبني عبـد مَناف وزُهْـرة، وكان مـا بين الركن الأسـود والرُكن اليَماني لبني مخزوم، وقبائل من قريش انضمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسَهْم، ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ، وكـان شقُّ الحِجْر لبني عبـد الدار بن قُصَيّ، ولبني أسـد بن عبد العُـزَّى بن قُصَيّ، ولبني عديّ بن كعب بن لُؤَيّ وهو الحطيم[3].

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة: ثم إنّ الناس هابـوا هدْمهـا وفَرِقُـوا منه. فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدْمهـا، فأخـذ المِعْوَل، ثم قـام عليها، وهو يقول: اللهم لم تُرَعْ[4] ـ قـال ابن هشام: ويقـال: لم نزغ ـ اللهم إنّا لا نريد إلّا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتـربّص الناس تلك الليلة، وقالوا: ننـظر، فإنْ أصيب لم نهـدم منها شيئـاً ورددناهـا كما كـانت، وإنْ لم يصبه شيء، فقد رضي الله صُنْعَنـا، فهدمنـا!! فأصبـح الوليـد من ليلته غـادياً على عمله، فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدْم بهم إلى الأساس: أساس إبراهيم عليهم السلام أفْضَوْا إلى حجارة خُضْر كالأسنمة[5] آخذ بعضها

---

(١) الذوائب: الأعالي، وأراد بها الأنساب الكريمة.

(٢) السبائب: جمع سبيبة، وهي ثياب رقاق بيض، فشبّه الشحم الذي يعلو الجفان بها.

(٣) أنظر: السير والمغازي ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٨، والطبقات ١/١٤٦ أما عن الحـطيم فانظر: شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٣١٨، ٣١٩.

(٤) اللهم لم تُرَعْ، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوع، وإظهار اللين والبـرّ في القول، ولا روع في هذا الموطن فيُنْفى، ولكنّ الكلمة تقتضي إظهار قصـد البرّ؛ فلذلـك تكلّموا بهـا، وعلى هذا يجوز التكلّم بها في الإسلام، وإن كان فيها ذِكر الروع الـذي هو محـال في حقّ الباري تعالى، ولكنْ لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها. (الروض الأنف ١/٢٢٥).

(٥) وليست هذه رواية السيرة الأصلية: إنّمـا الصحيح في الكتـاب: كالأسنة وهو وهم من بعض=

بعضاً[1].

امتناع قريش عن هدْم الأساس وسببه: قال ابن إسحاق: فحدّثني بعض من يروي الحديث: أنّ رجلاً من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرّك الحجر تنقضت مكة بأسرها، فانتهوا عن ذلك الأساس[2].

الكتاب الذي وُجد في الركن: قال ابن إسحاق: وحُدِّثْت أنّ قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: «أنا الله ذو بكّة، خلقتها يومَ خلقْت السموات والأرض، وصوّرت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن[3]».

قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها[4].

الكتاب الذي وُجد في المقام: قال ابن إسحاق: وحُدِّثْتُ أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه: «مكّة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل، لا

= النُّقلة عن ابن إسحاق والله أعلم؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره، وقد ذكر البخاري في بنيان الكعبة هذا الخبر، فقال فيه عن يزيد بن رُومان: فنظرت إليها، فإذا هي كأسنِمة الإبل، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلّا في الزُّرقة، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى، لعظَمها. (الروض الأنف ١/٢٢٨، ٢٢٩).

(١) الخبر في السير والمغازي ١٠٥، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٨، ٢٨٩، وانظر الطبقات الكبرى ١/١٤٥.

(٢) السير والمغازي ١٠٥، تاريخ الطبري ٢/٢٨٩.

(٣) روى مَعْمَر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال: بلغني أنّ قريشاً حين بَنَوْا الكعبة، وجدوا فيها حجراً، وفيه ثلاثة صُفُوح، في الصفح الأول: أنا الله ذو بكّة صُغْتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق، وفي الصفح الثاني: أنا الله ذو بكّة، خلقت الرَّحِم، واشتققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّه، وفي الصفح الثالث: أنا الله ذو بكّة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشرّ على يديه. (الروض الأنف ١/٢٢٧) والخبر في السير والمغازي ١٠٦.

(٤) الأخشبان: هما أبو قُبيس والجبل الأحمر، على ما ذكر الأزرقي. (أخبار مكة ٢/٢٦٦، شفاء الغرام ١/٢٨).

يُحلّها أوّلُ مِنْ أهلها[1]».

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة: قال ابن إسحاق: وزعم ليث بن أبي سُلَيم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النّبيّ ﷺ بأربعين سنة ـ إنْ كان ما ذكر حقّاً ـ مكتوباً فيه: «من يزرع خيراً، يحصد غبطة، ومن يزرع شرّاً، يحصد ندامة، تعملون السّيّئات، وتُجْزَوْن الحسنات؟! أجل، كما لا يُجتَنَى من الشوك العنب».

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر: قال ابن إسحاق: ثم إنّ القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حِدة، ثم بنوْها، حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاورو[2] وتحالفوا؛ وأعدّوا للقتال.

لَعَقة الدم: فقرّبت بنو عبدالدّار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسُمُّوا: لَعَقَة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً، ثم إنّهم اجتمعوا في المسجد، وتشاوروا وتناصفوا.

أبو أميّة بن المغيرة يجد حلاًّ: فزعم بعض أهل الرواية: أنّ أبا أميّة ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذٍ أسنّ قريش كلّها، قال: يا معشر قريش! اجعلوا بينكم ـ فيما تختلفون فيه ـ أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا.

الرسول ﷺ يضع الحجر: فكان أول داخل عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(1) لا يُحِلها أولُ من أهلها، يريد ـ والله أعلم ـ ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنِ بن نُمَيْر، ثم الحَجّاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة:

ألا مَن لقلبٍ مُعَنّى غَزِلْ   بحبِّ المُحِلَّة أخت المُحِلّ

يعني بالمحلّ: عبدالله بن الزبير؛ لقتاله في الحَرَم. (الروض الأنف ١/٢٢٧) والخبر في السير والمغازي ١٠٦.

(2) في السير والمغازي ١٠٧ «تحازبوا»، وفي تاريخ الطبري ٢/٢٨٩ «تحاوزوا».

فلما رأوْه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ـ ﷺ: هَلُمَّ إليَّ ثوباً، فأُتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال؛ لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثم بنى عليه[1].

وكانت قريش تُسمّي رسولَ الله ـ ﷺ ـ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين.

شعر الزُبير في الحيّة التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة: فلما فرغوا من البنيان، وبنَوْها على ما أرادوا، قال الزُبير بن عبدالمُطلب، فيما كان من أمر الحيّة التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها:

عجبت لما تَصَوَّبَتِ العُقَاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كَشِيش ... وأحياناً يكون لها وِثاب

إذا قمنا إلى التأسيس[2] شدت ... تهيّبنا البناء وقد تُهاب

فلما أنْ خشينا الرِّجز جاءت ... عقاب تَتْلَئِبُّ[3] لها انصباب[4]

فضمّتها إليها ثم خلّتْ ... لنا البُنْيان ليس لها حِجاب

فقُمنا حاشِدين إلى[5] بناءٍ ... لنا منه القواعد والتُراب

---

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجْديّ، وأنه صاح بأعلى صوْته: يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن ـ وهو شرفكم ـ غلام يتيم دون ذوي أسنانكم؟ فكان يثير شراً فيما بينهم، ثم سكّنوا ذلك.

وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام الزُبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبدالله بن الزُبير، وأبوه يصلّي بالناس في المسجد، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحسّ منهم التنافس في ذلك، وخاف الخلاف، فأقرّه أبوه. (الروض الأنف ١/٢٢٨)، والخبر في: السير والمغازي ١٠٧ ـ ١٠٩، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٩، ٢٩٠.

(٢) في السير والمغازي «البنيان».

(٣) تتلئب، يقال: اتلأب على طريقه إذا لم يعرّج يمنة ويسرة، وكأنه منحوت من أصلين، من تلا، إذا تبع، وألب: إذا أقام.

(٤) في السير والمغازي ورد هذا الشطر:

عقاب قد يظل لها الضباب

(٥) في السير «على».

غداةَ نُرَفِّع التأسيس منه ... وليس على مُسَوِّينا[1] ثياب[2]
أعزّ به المليك بني لُؤَيّ ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عديّ ... ومُرَّة قد تقدّمها كِلاب
فَبَوّأنا المليك بذاك عزّاً ... وعند الله يُلتمس الثواب

قال ابن هشام: ويُرْوَى:

وليس على مَساوِينا ثياب[3]

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبة على عهد رسول الله - ﷺ - ثماني عشرة ذراعاً، وكانت تُكسى القباطي، ثم كُسِيت البرود، وأول من كساها الديباج: الحَجّاج بن يوسف[4].

حديث الحُمْس

قريش تبتدع الحُمْس: قال ابن إسحاق: وقد كانت قريش - لا أدري أقَبْل الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الحُمْس[5] رأياً رأوه وأداروه، فقالوا: نحن بني إبراهيم، وأهل الحُرمة، ووُلاة البيت، وقطّان مكة وساكنها، فليس لأحدٍ من العرب مثل حقّنا، ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا،

---

(١) في السير «مساوينا».

(٢) أي: مُسَوّى البنيان. وهو في معنى الحديث الصحيح في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عُراة، ويرون ذلك دِيناً، وأنه من باب التشهير والجدّ في الطاعة. (الروض الأنف ١/٢٢٩).

(٣) وقول ابن هشام: ويروى: على مساوينا، يريد: السوءات، فهو جمع مساءة، مفعلة من السُّوءَة والأصل مساويء، فسُهّلت الهمزة. (الروض ١/٢٢٩).

(٤) انظر: أخبار مكة ١/٢٥٣، ٢٥٤، شفاء الغرام ١/١٩٤، ١٩٥.

(٥) والتحمّس: التشدّد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن، وسلأ السمن أن يُطْبَخ الزبد، حتى يصير سمناً، قال أبرهة:

إنّ لنا صِرْمَةً مُخَيَّسَةً ... نشرب ألبانها ونسلؤها

(الروض الأنف ١/٢٢٩) وانظر: شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/٦٨ - ٧٠.

فلا تعظّموا شيئاً من الحل كما تعظّمون الحرم، فإنّكم إن فعلتم ذلك استخفّت العرب بحُرْمتكم، وقالوا: قد عظّموا من الحلّ مثل ما عظّموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم - ﷺ - ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة، ولا نعظِّم غيرها، كما نعظّمها نحن الحُمْس، والحُمس: أهل الحرم، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحِلّ والحرم مثل الذي لهم، بولادتهم إياهم، يحلّ لهم ما يحلّ لهم، ويحرّم عليهم ما يحرّم عليهم.

القبائل التي آمنت مع قريش بالحُمس: وكانت كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبيدة النحْوي: أنّ بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك، وأنشدني لعمرو بن معد يكرِب:

أعبّاسُ لو كانت شِياراً جِيادُنا ... بتثليث ما ناصَيْتَ[1] بعدي الأحامسا

قال ابن هشام: تثليث: موضع من بلادهم. والشِيار: الحِسان. يعني بالإحساس: بني عامر بن صعصعة. ويعباس: عباس بن مرداس السُّلَمِي، وكان أغار على بني زُبَيد بتثليث. وهذا البيت في قصيدة لعمرو.

وأنشدني للقيط بن زُرَارة الدَّارِمي في يوم جَبَلَة[2]:

---

(١) ناصيت: أخذت بناصيتهم ونازعتهم. ومنه حديث عائشة: لم تكن واحدة من نساء النبيّ ﷺ تناصيني غير زينب أي تنازعني وتباريني.

(٢) وجَبَلَة هضبة عالية، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران، وهو ابن الجَوْنِ الكِنْدي، وأخ للنعمان بن المنذر، اسمه: حسّان بن وبْرة، وهو أخو النعمان لأمّه، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - ﷺ - (الروض الأنف ١/ ٢٣٠).

أَجْـذِمْ[1] إلـيـك إنهـا بـنــو عَبْس المَعْشَـرُ الجِلَّةُ في القــوم الحمس

لأنَّ بني عبْس كانوا يوم جَبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة.

يوم جبلة: ويوم جبلة: يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم، وبين بني عـامر بن صعصعـة، فكـان الـظفـر فيـه لبني عـامـر بن صعصعـة على بني حنظلة، وقُتـل يـومئـذ لقيط بن زُرارة بن عُـدُس، وأسـر حـاجب بن زُرارة بن عُدُس[2]، وانهـزم عمرو بن عمـرو بن عدس بن زيـد ابن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة. ففيه يقول جرير للفرزدق:

كـأنـك لم تشهــد لقيـطاً وحــاجبـاً وعمرو بن عمرو إذ دعوْا: يا لَدَارمِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

يوم ذي نَجَب: ثم التقوا يـوم ذي نَجَب فكان الـظفر لحنـظلة علي بني عامر، وقتل يومئذ حسّان بن معاوية الكِنْدي، وهو أبو كَبْشة. وأسـر يزيـد بن الصَّعِق الكلابيّ، وانهزم الطُّفَيل بن مـالك بن جعفـر بن كِلاب، أبـو عامـر ابن الطفيل. ففيه يقول الفرزدق:

ومنهنّ إذ نجّى طُفَيــل بن مــالــك على قُـرْزُل[4] رَجْلا ركـوضَ الهزائم

---

(١) أجْـذِمَ: زَجْرٌ معـروف للخيـل وكـذلـك: أرحب، وهب، وهِقِطْ، وهِفَط وهقَبْ. (الـروض ١/٢٣٠).

(٢) هو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة، فإنه كان يفتح الدال منه، وكل عدس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال. (الروض ١/٢٣١).

(٣) العقد الفريد ٥/١٤٣.

(٤) قُرْزُل: اسم فرسه، وكان طُفيل يسمّى: فارس قُرْزُل، وقُرْزُل: القيد سُمّي الفَرَس به، كأنـه يقيّد ما يسابقه، كما قال امرؤ القيس:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(الـروض الأنف ١/٢٣٢) وقـد ورد هـذا البيت في معجم البلدان ٥/٢٦١ منسـوبـاً إلى «سُحَيم بن وُثَيل الرياحي»، على هذا النحو:

ونحن ضـربنـا هــامـة ابن خــويلد يــزيـدَ وضَــرّجنـا عُبيــدة بــالــدّم

ونحن ضربنا هامةَ ابن خُوَيْلد نزيد على أمّ الفِراخ الجوائم[1]

وهذان البيتان في قصيدة له:

فقال جرير:

ونحن خَضبْنا لابن كَبْشة تاجَه ولاقى امرءاً في ضمَّة الخيل مِصْقَعا[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

وحديث يوم جَبَلة، ويوم ذي نَجَب أطول مما ذكرنا. وإنّما منعني من استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجار.

ما زادته قريش في الحُمْس: **قال ابن إسحاق**: ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لا ينبغي للحُمْس أن يأتَقِطوا الأقِطَ، ولم يَسْلَئوا السمن وهم حُرُم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَرٍ، ولا يستظلّوا ـ إن استظلّوا ـ إلّا في بيوت الأدم ما كانوا ثم رفعوا في ذلك، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلّ إلى الحَرَم إذا جاءوا حُجّاجاً أو عُمّاراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدِموا أول طوافهم إلّا في ثياب الحُمس. فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراة.

اللقى عند الحُمْس؛ فإن تكرّم منهم متكرّم من رجل أو امرأة، ولم يجد ثياب الحُمْس؛ فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلّ، ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لم يُنتفع بها، ولم يمسّها هو، ولا أحد غيره أبداً.

---

(١) على أم الفراخ الجوائم. يعني: الهامة، وهي البُوم، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قُتل خرجت من رأسه هامة تصيح: اسقوني اسقوني، حتى يؤخذ بثأره. قال ذو الإصبع العدواني:

أَضْرِبْكَ حتى تقول الهامة: اسقوني

(الروض ١/٢٣٣).

(٢) المعروف في اللغة أن ـ المِصقَع: الخطيب البليغ، وليس هذا موضعه، لكن يقال في اللغة: صقعه: إذا ضربه على شيء مصمت يابس، قاله الأصمعيّ. (الروض ١/٢٣٣).

وكـانت العـرب تُسمّي تلك الثيـاب: اللَّقى[1]، فحمـلوا على ذلـك العرب. فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراة، أما الرجـال فيطوفـون عُراة. وأمـا النساء فتضـع إحداهنّ ثيـابها كلَّهـا إلّا دِرْعاً مُفَرَّجاً عليها[2]، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب[3]، وهي كذلك تـطوف بالبيت:

اليـوم يبـدو بَـعْـضُـهُ، أو كـلّهُ ... ومـا بـدا مـنـه فـلا أحِـلّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلّ ألقاها، فلم ينتفـع بها هو ولا غيره. فقال قائل من العرب يذكّر شيئاً تركه من ثيابه، فلا يقربه ـ وهـو يحبّه:

كفى حَـزَنـاً كَـرّي عليها كـأنّهـا ... لَقىً بين أَيْـدي الـطائفيـن حَـريمُ

يقول: لا تُمَسّ[4].

الإسـلام يبطل عـادات الحُمْس: فكانـوا كـذلـك حتى بعث الله تعـالى محمداً ـ ﷺ ـ فأنـزل عليه حين أحكم لـه دينه، وشـرع له سُنَن حجّـه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّـاسُ وَاسْتَغْفِرُوا ٱللهَ. إِنَّ ٱللهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ﴾[5] يعني

---

(١) اللقى: الشيء الملقى المطروح.

(٢) المفرَّج: المشقوق من قدّام أو خلف.

(٣) هذه المرأة هي: ضُباعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بني سَلَمَة بن قشيْر.
وذكـر محمد بن حبيب أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ خطبهـا، فذكـرت له عنهـا كبرة، فتـركها، فقيل: إنها ماتت كمداً وحُزناً على ذلك. قال ابن حبيب: إنْ كان صحّ هذا، فما أخّرها عن أن تكون أماً للمؤمنين، وزوجـاً لرسـول رب العالمين إلّا قـولها: اليـوم يبدو بعضـه أو كلّه. تَكرِمةً من الله لنبيّه وعِلماً منه بغَيْرته، والله أغير منه. (الروض الأنف ١/٢٣٢).

(٤) ومن اللَّقَى: حديث فاختة أم حكيم بن حِزام، وكانت دخلت الكعبة وهي حـامل متِم بحكِيم ابن حزام، فأجاءها المخـاض، فلم تستطع الخـروج من الكعبة، فـوضعته فيهـا، فلفت في الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثبرها وثيابتها التي كانت عليها، فجعلت لَقًى لا تُقرب.
ولم يـذكر الـطلْسَ من العرب، وهم صنف ثـالث غير الحلة والحُمْس، كـانوا يـأتون من أقصى اليمن طلْساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلْس، فسموا بذلك. ذكره محمد بن حبيب. (الروض الأنف ١/٢٣١).

(٥) سورة البقرة ـ الآية ١٩٩.

قريشاً، والناس: العرب، فرفعهم في سنة الحجّ إلى عرفات، والوقـوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّموا على الناس من طعـامهم ولُبوسهم عنـد البيت. حين طافوا عُراة، وحرّموا ما جاءوا به من الحِلّ من الطعام:[1] ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْـرِفُوا. إِنَّـهُ لا يُحِبُّ ٱلمُسْرِفينَ. قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي أَخْـرَجَ لِعِبَادِهِ وٱلـطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلـرِّزْقِ. قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِيْ ٱلحَيَـاةِ ٱلدُّنْيَـا خَالِصَـةً يَوْمَ ٱلقِيَـامَةِ. كَـذٰلِكَ نُفَصِّـلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[2]﴾. فوضـع الله تعالى أمـر الحُمْس ـ وما كـانت قريش ابتدعت منه ـ عن الناس بالإسلام، حيث بعث الله به رسوله ﷺ.

الرسول ﷺ يخالف الحُمْس قبل الـرسالـة: قال ابن إسحـاق: حدّثني عبـدالله بن أبي بكـر بن محمـد بن عمـرو بن حـزْم، عن عثمـان بن أبي سليمـان بن جُبير بن مُـطْعِم، عن عمّه نـافع بن جُبَيْـر، عن أبيـه جُبيـر بن مـطعِم. قال: لقـد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ قبـل أن ينزل عليـه الوحي، وإنـه لواقف على بعيرٍ لـه بعرفـات مع النـاس من بين قومـه حتى يدفـع معهم منها توفيقاً من الله له، ﷺ تسليماً كثيراً[3].

إخبار الكُهان من العرب، والأحبار من يهود والرُّهبان من النّصارَى

الكُهّان والأحبار والرُّهبان يتحدّثون بمبعثـه: قال ابن إسحـاق: وكانت

---

(١) سورة الأعراف ـ الآيتان ٣١ و٣٢.

(٢) قوله: وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحُمس حرّمتـه من طعام الحـجّ إلا طعام الْحُمس، وخذوا زينتكم: يعني اللباس، ولا تتعـرّوا، ولذلـك افتتح بقـوله؛ يـا بني آدم، بعد أن قصّ خبـر آدم وزوجه، إذ يخصفـان عليهمـا من ورق الجنـة، أي: إن كنتم تحتجّـون بـأنـه دين آبائكم، فآدم أبوكم، ودينه: ستر العورة. (الروض الأنف ١/٢٣٣).

(٣) حتى لا يفوته ثواب الحج، والوقوف بعـرفة. قـال جبير بن مُـطْعِم حين رآه واقفاً بعـرفة مـع الناس: هذا رجل أحمس، فما باله لا يقف مع الحُمْس حين يقفون؟! (الروض ١/٢٣٤).

الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكُهّان من العرب، قد تحدّثوا بأمر رسول الله - ﷺ - قبل مبعثه، لما تقارب من زمانه.

أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، فعَمّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه. وأما الكُهّان من العرب: فأتتهم به الشياطين من الجنّ فيما تسترق من السمع إذ كانت هي لا تُحجَب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، لا تُلْقي العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجنّ بالشُهُب دلالةً على مبعثه ﷺ: فلما تقارب أمر رسول الله - ﷺ - وحضر مبعثه. حُجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فَرُمُوا بالنجوم، فعرفت الجنّ أنّ ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد[1]. يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمد - ﷺ - حين بعثه، وهو يقصّ عليه خبر الجنّ إذ حجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا، وما أنكروا من ذلك حين رأوْا ما رأوْا: **﴿قُلْ: أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلجِنِّ[2]. فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِيٓ إِلَىٰ ٱلرُّشْدِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا؛ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَىٰ ٱللهِ شَطَطاً، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلإِنْسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ ٱللهِ كَذِباً. وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلجِنِّ،**

---

(١) رُوي في مأثور الأخبار أنّ إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حُجب عن ثلاث سموات، فلما ولد محمد حُجب عنها كلّها، وقذفت الشياطين بالنجوم، وقالت قريش حين كثُر القذف بالنجوم: قامت الساعة، فقال عُتبة بن ربيعة: انظروا إلى العيّوق فإنْ كان رمى به، فقد آن قيام الساعة، وإلاّ فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر. (الروض الأنف ١/٢٣٤).

(٢) وفي الحديث أنهم كانوا من جنّ نَصِيبين. وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام، وكانوا سبعة، قد ذُكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشى، ولاشى، والأحقاب، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن درَيد. وسرق وعمرو. (الروض الأنف ١/٢٣٦)

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾.. إلى قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً. وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[1].

فلما سمعت الجنّ القرآن عرفت أنّها إنّما مُنعت من السمع قبل ذلك، لئلا يُشْكل الوحي بشيءٍ من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه، لوقوع الحجّة، وقطع الشبهة[2]. فآمنوا وصدّقوا، ثم: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلَى الحَقِّ، وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3].. الآية.

وكان قول الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[4]. أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنَزَل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه، قال: إنّي أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه.

قال ابن هشام: الرَّهَق: الطُّغْيان والسَّفَه. قال رؤبة بن العجّاج[5].

---

(١) سورة الجنّ ـ الآيات ١ ـ ١٠.

(٢) الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم ـ وجد بظهور الإسلام، لكنّ القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم: عوف بن الجزْع، وأوس بن حجر، وبشر بن أبي خازم، وكلّهم جاهليّ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشْكل ابن قُتَيبة في تفسير سورة الجنّ، وذكر عبدالرزاق في تفسيره، عن مَعْمَر، عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم: أكان في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنّه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدّد، وفي قول الله سبحانه: «وأنّا لمسنا السماء فوجدناها مُلِئَت حرساً شديداً وشهباً» ولم يقل: حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء، فلما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ ملئت حرساً شديداً وشُهباً، وذلك لينحسم أمر الشياطين، وتخليطهم، ولتكون الآية أبيَن، والحجّة أقطع. (الروض الأنف ١/٢٣٤، ٢٣٥)

(٣) سورة الأحقاف ـ الآيتان ٢٩ و ٣٠.

(٤) سورة الجن ـ الآية ٦.

(٥) هو أبو الجّحاف ويقال أبو العَجاج التميمي الراجز المشهور، من أعراب البصرة، مخضرم. توفي سنة ١٤٥ هـ. وكان لغويّاً علّامة. أنظر عنه في: الأغاني ٢٠/٣٤٥، معجم الأدباء ١١/١٤٩ رقم ٤٠، الشعر والشعراء ٣٧٦، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٣١، وفيات الأعيان ٢/٦٣ رقم ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١٤/١٤٧ رقم ١٩٧، خزانة الأدب ١/٩١.

إذ تَسْتَبي الهيَّامة المُرَهَّقا

وهـذا البيت في أُرجوزة لـه. والرهق أيضـاً: طلبك الشيء حتى تـدنـو منه، فتأخذه، أو لا تأخذه. قال رؤبة بن العجّاج يصف حمير وحش:

بصْبَصْن واقْشَعرَرْن من خوف الرّهقْ

وهذا البيت في أرجوزةٍ له. والرهق أيضاً: مصدر لقول الرجل: رَهِقت الإثم أو العُسرَ الذي أرهقتني رهقاً شديداً، أي: حملت الإثم أو العسر الـذي حملتني حملاً شديـداً، وفي كتاب الله تعـالى: **﴿فَخَشِينَا أَنْ يُـرْهِقَهُمَا طُغْيَـاناً وَكُفْراً﴾**[1] وقوله: **﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾**[2].

ثقيف أول من فزعت برمي الجنّ: قـال ابن إسحاق: وحـدّثني يعقوب ابن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدّث أنّ أول العرب فزع للرمي بالنجوم - حين رُمي بها - هذا الحيّ من ثقيف، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له: عمرو بن أُميّة أحد بني عِلاج - قال؛ وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً - فقـالوا له؛ يا عمرو: ألم تر ما حدث في السماء من القذْف بهذه النجوم. قال: بلى فانظروا، فإنْ كانت معالم النجوم التي يُهتَدى بها في البرّ والبحر، وتعـرف بها الأنـواء من الصيف والشتاء لمـا يُصلح الناس في معـايشهم، هي التي يـرمى بها، فهو والله طيّ الدنيا، وهـلاك هذا الخلق الـذي فيها، وإن كـانت نجومـاً غيرها، وهي ثابتة على حالها، فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق، فما هو[3]؟

الـرسول يسـأل الأنصار عن قـولهم في رجم الجنّ بالشُهُب وتـوضيحه للأمر: قـال ابن إسحاق: وذكـر محمد بن مسلم بن شهـاب الزُهْـري، عن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن عبدالله بن العبـاس، عن نفر

---

(١) سورة الكهف - الآية ٨٠.

(٢) سورة الكهف - الآية ٧٣.

(٣) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لهْب عند فزعهم للرمي بالنجوم، فاجتمعوا إلى كـاهن لهم يقال له: خطر، فبيّن لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوّة.

من الأنصار: أنَّ رسول الله ﷺ، قال لهم: «ماذا كنتم تقولون في هذا النجم الذي يُرمى به قالوا: يا نبيّ الله كنّا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك، مُلك مَلكٌ، ولد مولود، مات مولود، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك، ولكنّ الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلْقه أمراً سمعه حَمَلَةُ العرش، فسبّحوا، فسبّح مَن تحتهم، فسبّح لتسبيحهم من تحت ذلك، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيسبّحوا ثم يقول بعضهم لبعض:ممّ سبّحتم؟ فيقولون: سبّح من فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم، فيقولون: ألا تسألون من فوقكم: ممّ سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حَمَلَة العرش، فيقال لهم: ممّ سبّحتم؟ فيقولون: قضى الله في خلْقه كذا وكذا، للأمر الذي كان، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، فيتحدّثوا به، فتسترقه الشياطين بالسمع، على توهُّم واختلاف، ثم يأتوا به الكُهّان من أهل الأرض فيحدّثوهم به فيخطئون ويصيبون، فيتحدّث به الكُهّان فيصيبون بعضاً ويخطئون بعضاً، ثم إنّ الله عزّ وجلّ حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها، فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عمرو بن أبي جعفر، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي لبيبة، عن عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، بمثل حديث ابن شهاب عنه.

الغَيْطَلَة وصاحبها: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ امرأة من بني سهم يقال لها الغَيْطَلَة كانت كاهنة في الجاهلية، فلما جاءها

(١) والذي انقطع اليوم، وإلى يوم القيامة، أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء، وعند تمكّنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد اليوم من كلام الجنّ على ألسنة المجانين إنّما هو خبر منهم عما يَرَوْنه في الأرض، مما لا نراه نحن كسرقة سارق، أو خبيئة في مكان خفيّ، أو نحو ذلك، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرُّصاً وتظنّياً، فيصيبون قليلاً، ويخطئون كثيراً. وذلك القليل الذين يصيبون هو ما يتكلّم به الملائكة في الْعَنان، كما في حديث البخاري، فيُطرَدُون بالنجوم، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة. (الروض الأنف ١/٢٣٥)

صاحبها في ليلةٍ من الليـالي، فأنْقَض تحتهـا، ثم قال: أدْرِ مـا أدْرِ، يوم عقْـر ونَحْـر، فقالت قـريش حين بلغها ذلـك: ما يـريـد؟ ثم جـاءهـا ليلة أخـرى، فأنقض تحتها، ثم قال: شُعوب، ما شُعوب، تُصرع فيه كَعْبٌ لِجُنُـوب. فلما بلغ ذلك قريشاً، قالوا: ماذا يريد؟ إنّ هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو؟ فمـا عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأُحُد بالشعب، فعرفوا أنه الـذي كان جـاء به إلى صاحبته.

نسب الغَيْطَلة: **قال ابن هشام**: الغَيْطَلَةُ: من بني مُرّة بن عبد مَنـاة بن كِنانة، إخوة مُدْلِج بن مُرّة[1]، وهي أمّ الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله:

لقـد سَفُهَت أحـلام قـوم تبـدّلـوا ... بني خَلَفَ قَيْضـاً[2] بنـا والغيـاطـل

فقيـل لولـدها: الغيـاطل، وهم من بني سهم بن عمـرو بن هُصيْص. وهذا البيت في قصيدة له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

كاهن جَنْب يذكر خبر الـرسول ﷺ: قـال ابن إسحاق: وحـدّثني عليّ ابن نافع الجُرَشِيّ: أنّ جَنباً[3] بطناً من اليمن، كـان لهم كاهن في الجـاهلية، فلما ذُكر أمر رسول الله ـ ﷺ ـ وانتشر في العرب، قالت له جَنْب: انظر لنا في أمـر هذا الـرجـل، واجتمعـوا لـه في أسفـل جبله، فنـزل عليهم حين طلعت

---

(١) يقال في نَسَبها: الغيطلة بنت مالـك بن الحارث بن عمـرو بن الصِّعِق بن شنوق بن مُـرَّة، وشنوق أخو مُدْلج.
وذكر قولها: شُعُوب وما شُعُوب، تُصرَع فيها كَعْبٌ لجُنُـوب. كعب ها هنـا هو: كعب بن لُؤَيّ، والذين صُرِعوا لجنوبهم ببدر وأُحُد من أشراف قريش، معـظمهم من كعب بن لُؤيّ، وشُعوب ها هنا بضمّ الشين، وكأنه جمع شُعب، وقول ابن إسحاق يدلّ على هذا حين قال: فلم يُدْرَ ما قالت، حتى قُتل من قُتل ببدر وأُحُد بالشعب. (الـروض الأنف ١/٢٣٩) وانظر: أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٧١.

(٢) قيضاً: عوضاً.

(٣) جنب هم من مَـذْحِـج، وهم: عَيـذ الله، وأنس الله، وزيـد الله، وأوس الله، وجُـعْفـى، والحَكَم، وجِرْوة، بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، ومَذْحِج هو: مالك بن اذد، وسُمّوا: جنبـاً لأنهم جـانبوا بني عمهم صُـدَاء ويـزيـد ابني سعـد العشيـرة بن مـذحـج. (الـروض الأنف ١/٢٤١)

الشمس، فوقف لهم قائماً متّكئاً على قوس له، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً، ثم جعل يَنْزوُ[1]، ثم قال؛ أيها الناس، إنّ الله أكرم محمّداً واصطفاه، وطهّر قلبه وحشاه، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتدّ في جبله راجعاً من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدّث عمر بن الخطّاب عن صاحبه من الجنّ: قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتّهم، عن عبدالله بن كعب، مولى عثمان بن عفان، أنه حُدِّث: أنّ عمر بن الخطّاب، بينا هو جالس في مسجد رسول الله - ﷺ - ، إذ أقبل رجل[2] من العرب داخلاً المسجد، يريد عمر بن الخطّاب، فلما نظر إليه عمر رضي الله عنه، قال: إنّ هذا الرجل لَعَلى شِرْكه ما فارقه بعد، ولقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمت؟قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْت فيّ[3]، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيّتك منذ وليتَ ما وليتَ، فقال عمر: اللهم غفراً، قد كنّا في الجاهلية على شرّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرَمَنا الله برسوله وبالإسلام، قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية، قال: فأخبرني ما جاءك به صاحبك، قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيْعِه[4]، فقال؛ ألم تر إلى الجنّ

---

(١) ينزو: يثب.

(٢) هو سواد بن قارب الدَّوْسي في قول ابن الكلبي، وقال غيره: هو سدوسيّ. (الروض ١/٢٤٢)

(٣) خِلْت فيّ: هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلْت وظننت، كقولهم في المثل: من يسمع يَخل، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر،ـلأنّ حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذْفه، ولكن لا بد من قرينة تدلّ على المراد، ففي قولهم: من يسمع يخل دليل يدلّ على المفعول، وهو يسمع، وفي قوله، خلت في دليل أيضاً، وهو قوله: فيَّ، كأنه قال: خلت الشرّ في أو نحو هذا. (الروض الأنف ١/٢٤٢).

(٤) شَيْعه أي: دونه بقليل، وشَيْع كل شيء: ما هو تَبَعٌ له، وهو من الشّياع وهي: حَطَب صغار =

وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلامها.

قال ابن هشام: هذا الكلام سجع، وليس بشعر.

قال عبدالله بن كعب: فقال عمر بن الخطّاب عند ذلك يحدّث الناس: والله إنّي لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطّ أنفذ منه، وذلك قُبيل الإسلام بشهر أو شَيّعه، يقول: يا ذَرِيح[1]، أمر نَجِيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله.

قال ابن هشام: ويقال: رجل يصيح، بلسان فصيح، يقول: لا إله إلا الله. وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر:

عَجِبتُ للجِنّ وإبْلاسِهَا[2] ... وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها[3]

تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ... ما مؤمنو الجنّ كأنجاسِها[4]

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكُهّان من العرب.

= تجعل مع الكبار تبعاً لها، ومنه: المُشَيِّعة، وهي: الشاة تتبع الغنم، لأنها دونها في القوّة. (الروض ١/٢٤٢)

(١) ويُروَى أنّ الصوت الذي سمعه عمر من العجل: يا جليح: وهو اسم شيطان، والجليح في اللغة: ما تطاير من رؤوس النبات وخفّ، نحو القطن وشبهه، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة: يا ذَرِيح، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم. أحمر ذَرِيحِيٌّ، أي: شديد الحمرة، فصار وصفاً للعجل الذبيح من أجل الدم: ومن رواه: يا جليح، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأنّ العجل قد جُلح أي: كشف عنه الجلد. (الروض الأنف ١/٢٤٢)

(٢) في تاريخ الإسلام (السيرة - بتحقيقنا) «وأنجاسها».

(٣) العيس: الإبل البيض. والحلس: الكساء الذي يوضع على ظهر الجمل.

(٤) في تاريخ الإسلام ٢٠٤.

«ما مؤمنوها مثل أرجاسها»

ويروى بلفظ آخر (٢٠٥)

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ليس قداماها كأذنابها

وقد أخرج البخاري في صحيحه حديث عمر رضي الله عنه (٤/٢٤٢، ٢٤٣) كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود ـ لعنهم الله ـ يعرفونه ويكفرون به: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن رجالٍ من قومه. قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهُداه، لِمَا كنا نسمع من رجال يهود، كنّا أهل شِرْك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبيّ يُبعَث الآن نقتلكم معه قتْل عادٍ وإرَم، فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله ـ ﷺ ـ أجبناه، حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة: **﴿وَلَمّا جاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾**[1].

قال ابن هشام: يستفتحون: يستنصرون، ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون، وفي كتاب الله تعالى: **﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الفَاتِحِينَ﴾**[2].

سُلَمَة يذكر حديث اليهوديّ الذي أنذر بالرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن محمود بن لَبِيد أخي بني عبد الأشهل، عن سُلَمَةَ بن سلامة بن وقش[3] ـ وكان سُلَمَة من أصحاب بدر ـ قال: كان لنا جار من يَهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته، حتى وقف على بني عبدَ الأشهل ـ قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، عليَّ بُرْدة لي، مضطّجع فيها بفناء

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٣) وقش بتحريك القاف وتسكينها، والوقش: الحركة.

أهلي ـ فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شِرْك أصحاب أوثان، لا يَروْن أنّ بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان!! أو ترى هذا كائناً، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجزَون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَف به، ويُوَدُّ أنّ له بحظِّه من تلك النار أعظم تَنُّورٍ في الدار، يحمونه ثم يدخلونه إيّاه فيطيِّنونه عليه، بأن ينجوَ من تلك النار غداً، فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبيّ مبعوث من نحو هذه البلاد ـ وأشار بيده إلى مكة واليمن ـ فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلي، وأنا من أحدثهم سنّاً، فقال: إن يَسْتنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسولَه ـ ﷺ ـ وهو حيّ بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بغياً وحسداً. قال: فقلنا له. ويحك يا فلان!! ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به[1].

ابن الهَيّبان اليهوديّ يتسبّب في إسلام ثعلبة وأُسِيد ابني سَعْية وأسد بن عُبَيد: **قال ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، عن شيخ من بني قُرَيظة قال: قال لي: هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية، وأسِيد بن سعية[2]، وأسد بن عُبيد نفر من بني هَدْل، إخوة بني قُريظة، كانوا معهم في جاهليّتهم، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام. قال: قلت: لا، قال: فإنّ رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهَيِّبان[3]، قدِم علينا قُبيل الإسلام

---

(١) تاريخ الإسلام «السيرة» ١٢٢، ١٢٣، عيون الأثر ١/٥٦، ٥٧.

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف المدني، عن ابن إسحاق، وهو أحد رواة المغازي عنه: أُسيد بن سعية بضمّ الألف، وقال يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق، وهو قول الواقدي. وغيره: أَسيد بفتحها قال الدارقطني: وهذا هو الصواب، ولا يصحّ ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ الآية، وسَعْية أبوهم يقال له: ابن العريض، وهو بالسين المهملة، والياء المنقوطة باثنتين. (الروض الأنف ١/٢٤٧).

(٣) والهيّبان من المُسَمّين بالصفات، قال: قُطْن هَيَّبان أي: منتفش، وأنشد أبو حنيفة: =

بسنين، فحلّ بين أظْهُرنا، لا والله ما رأينـا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس أفضـل منه، فأقام عندنا فكنّا إذا قَحَطَ عنّا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيّبـان فاستسق لنـا، فيقول. لا والله، حتى تُقـدِّموا بين يـدي مخرجكم صـدقة، فنقـول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر: أو مُدَّيْن من شعير. قـال: فنخرجهـا، ثم يخرج بنـا إلى ظاهـر حَرّتنـا؛ فيستسقي الله لنا، فـوالله ما يبـرح مجلسـه، حتى تمـرّ السحابة ونسقي، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميّت، قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخـرجني من أرض الخمـر والخميـر إلى أرض البؤس والجـوع؟ قـال: قلنـا: إنّـك أعلم، قال: فإنّي إنّما قدِمتُ هذه البلدة أتوكّف[1] خـروج نبيّ قد أظـلّ زمانُـه، وهذا البلدة مُهاجَرُه، فكنت أرجو أن يُبعث، فأتْبعه، وقد أظلّكم زمانه، فـلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشـر يهود، فـإنه يُبعث بسفـك الدمـاء، وسبي الذّراري والنسـاء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلمـا بُعث رسول الله ـ ﷺ ـ وحـاصر بني قُـرَيظة، قـال هؤلاء الفتيـة، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بني قُرَيـظة، والله إنه للنبيّ الـذي كان عهِـد إليكم فيه ابن الهَيِّبـان، قالـوا: ليس بـه، قـالـوا: بلى والله، إنـه لهـو بصفتـه، فنـزلـوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[2].

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنَا عن أخبار يهود.

= تـطيـر اللغَـامَ الهَيِّبـان، كـأنـه جَنَى عُشَـرٍ تنفيـه أشـداقهـا الهُـذْل
والهيّبَان أيضاً: الجبان. (الروض الأنف ١/٢٤٦، ٢٤٧).

(١) أتوكّف: أتوقّع.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٨٥، ٥٨٦، نهـاية الارب ١٦/١٤٤، ١٤٥، تـاريخ الإسـلام (السيرة ـ بتحقيقنـا) ١٢٣، ١٢٤، عيـون الأثـر ١/٥٨، ٥٩، السيـرة الحلبيـة: ١/١٨٥، الـطبقـات الكبرى ١/١٦٠، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٣١، الاكتفاء للكـلاعي ١/٢٣٤، سبل الهـدى ٢/٢٦١، ابن كثير ١/٢٩٤.

حديث إسلام سَلْمان رضي الله عنه[1].

سلمان - رضي الله عنه - يتشوّف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري. عن محمود بن لَبِيد،

(١) أنظر عنه: مسند أحمد ٥/٤٣٧ - ٤٤٤، السير والمغازي لابن إسحاق ٨٧ - ٩٣، الطبقات الكبرى ٤/٧٥ - ٩٣، طبقات خليفة ٧ و١٤٠ و١٨٩، المحبَّر لابن حبيب ٧٥، تاريخ خليفة ٩٠، التاريخ الكبير ٤/١٣٥، ١٣٦، المعارف لابن قتيبة ٢٧٠، ٢٧١، الجرح والتعديل ٤/٢٩٦، ٢٩٧، الكنى والأسماء للدولابي ١/٧٨، المعرفة والتاريخ ٣/٢٧٢ - ٢٧٤، مشاهير علماء الأمصار ٤٤ رقم ٢٧٤، تاريخ أبي زرعة ١/٦٤٨، ٦٤٩، حلية الأولياء ١/١٨٥ - ٢٠٨، ذكر أخبار أصبهان ١/٤٨ - ٥٧، الاستيعاب ٢/٥٦ - ٦١، مقدّمة مسند بقيّ بن مخلد ٨٥ رقم ٥٦، تاريخ الطبري ١/٩٣ وما بعدها و٢/٥٦٦ وما بعدها و٣/١٧١ وما بعدها و٤/١١ وما بعدها، أنساب الأشراف ١/٤٨٨، تاريخ بغداد ١/١٦٣ - ١٧١، الكامل في التاريخ ٣/٢٨٧، الروض الأنف ١/٢٥٠، ٢٥١، صفة الصفوة ١/٥٢٣ - ٥٥٥ رقم ٥٩، التذكرة الحمدونية ١/١٣٠ و١٣٨ و١٤٤، تهذيب الأسماء واللغات ق ١ ج ١/٢٢٦ - ٢٢٨، تهذيب الكمال ١/٥٢٣، أسد الغابة ٢/٤١٧، دول الإسلام ١/٣١، المعين في طبقات المحدّثين ٢١ رقم ٤٩، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٩٥ - ١١٥، الكاشف ١/٣٠٤ رقم ٢٠٣٨، سير أعلام النبلاء ١/٥٠٥ - ٥٥٨ رقم ٩١، مجمع الزوائد ٩/٣٣٢ - ٣٣٤، الوافي بالوفيات ١٥/٣٠٩، ٣١٠ رقم ٤٣٣، مرآة الجنان ١/١٠٠، عيون الأثر ١/٦٠ - ٦٨، الوفيات لابن قنفذ ٥٤، تهذيب التهذيب ٤/١٣٧، تقريب التهذيب ١/٣١٥ رقم ٣٤٦، الإصابة ٢/٦٢، ٦٣ رقم ٣٣٥٧، خلاصة تذهيب التهذيب ١٤٧، كنز العمال ١٣/٤٢١، شذرات الذهب ١/٤٤، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان (من إعدادنا) ٢/٢٩٧ - ٢٩٩ رقم ٦٤١.

عن عبدالله بن عباس، قال: حدّثني سلمان الفارسيّ من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهان[1] من أهل قرية يقال لها: جَيّ[2]، وكان أبي دِهْقان[3] قريته، وكنت أحبّ خلْق الله إليه، لم يزل به حبّه إيّاي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسيّة حتى كنت قَطن النار[4] الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضَيْعة عظيمة، قال: فشُغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بنّي، إنّي قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضَيعتي فاذْهب إليها، فاطّلعها ـ وأمرني فيها ببعض ما يريد ـ ثم قال لي: ولا تحتبس عنّي؛ فإنّك إن احتبست عنّي كنتَ أهمّ إليّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري. قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلّون، وكنت لا أدري ما أمر الناس، لحبْس أبي إيّاي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم، انظر ما يصنعون، فلما رأيتهم، أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصْل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كلّه، فلما جئته قال: أيْ بنيّ أين كنت؟ أو لم أكن عَهِدْتُ إليك ما عهدتُ؟ قال: قلت له: يا أبت، مررت بأناس يصلّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بُنَيّ، ليس في ذلك الدّين خير، دينك ودين آبائك خير

(١) إصبهان: هكذا قيّده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة، وإصْبَه بالعربية: فَرَس، وقيل: هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل، أو نحو هذا. (الروض الأنف ١/ ٢٥٠) وانظر: معجم ما استعجم ١/ ١٦٣.

(٢) جيّ: بفتح الجيم وياء مشدّدة. مدينة ناحية إصبهان، تسمّى عند العجم شهرستان، وعند المحدّثين: المدينة، وقد نُسب اليها المديني عالم من أهل إصبهان. (معجم البلدان ٢/ ٢٠٢).

(٣) دهقان: رئيس.

(٤) قَطَن النار: مقيم عندها.

منه، قال: قلت له: كلّا والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رِجلي قيداً؛ ثم حبسني في بيته.

سلمان يهرب إلى الشام: قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدِم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدِم عليهم ركب من الشام تجّار من النصارى، فأخبروني بهم فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذِنوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم، حتى قدِمت الشام فلما قدِمْتُها قلت: من أفضل أهل هذا الدّين علماً؟ قالوا: الأسقُفّ في الكنيسة.

سلمان مع أسقفّ النصارى السيّء: قال: فجئته، فقلت له: إنّي قد رغبت في هذا الدّين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلّم منك، وأصلّي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه للمساكين، حتى جمع سبع قِلال من ذهب ووَرِق. قال. فأبغضته بُغضاً شديداً، لِما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعتْ إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إنّ هذا كان رجل سَوْء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علْمُك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلّنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً[1]. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. قال: فصلبوه[2]، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقفّ النصاري الصالح: قال: يقول سلمان: فما رأيت

---

(١) الورِق: الفضة.

(٢) في السير والمغازي «فصلبوه على خشبة».

رجلاً لا يصلّي الخمس، أرى أنه كان أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه. قال: فأحببته حبّاً لم أحبّه شيئاً قبله مثله. قال: فأقمت معه زماناً. ثم حَضَرَتْه الوفاة، فقلت له: يا فلان، إنّي قد كنت معك، وأحببتك حبّاً لم أحبّه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُنَيّ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، فقد هلك الناس، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلاّ رجلاً بالمَوصِل، وهو على ما كنت عليه فالحَقْ به.

سلمان يلحق بأسقف الموصل: فلما مات وغُيّب لحِقْت بصاحب المَوصل، فقلت له: يا فلان، إنّ فلاناً أوصاني عند موته أنّ ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حَضَرَتْه الوفاة، قلت له يا فلان: إنّ فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بُنَيّ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كّنا عليه، إلاّ رجلاً بنَصِيبين، وهو فلان، فالحقْ به.

سلمان يلحق بأسقف نصيبين: فلما مات وغُيِّب لحِقْتُ بصاحب نَصِيبين[1]، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال: أقِم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حُضِر، قلت له: يا فلان! إنّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بُنَيّ، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلاّ رجلاً بعَمُّورِيَة من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

سلمان يلحق بصاحب عمورية: فلما مات وغُيِّب لحِقْتُ بصاحب عمّورية، فأخبرته خبري، فقال: أقِم عندي، فأقمت عند خير رجل، على

(١) نصِيبين: من بلاد على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. (معجم البلدان ٥/٢٨٨).

هَذْي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة. قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حُضر، قلت له: يا فلان، إنّي كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُنَيّ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظلّ زمان نبيّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهاجَرَه إلى أرض بين حرّتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

سلمان يذهب إلى وادي القرى: قال: ثم مات وغُيّب، ومكثت بعمُّورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كلب تجّار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه، قالوا: نعم فَأعْطَيْتُهُموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل يهوديّ عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقّ في نفسي[1].

سلمان يذهب إلى المدينة: فبينا أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قُرَيْظَة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ـ ﷺ ـ فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذِكْر مع ما أنا فيه من شغل الرّقّ، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النّبيّ ﷺ إلى المدينة: فوالله إنّي لفي رأس عَذْق لسيّدي أعمل له فيه بعض العمل وسيّدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمّ له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قَيْلَة، والله إنهم الآن

---

(١) قارن مع السير والمغازي ٨٧ ـ ٩٣، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٩٥ ـ ١٠٠.

لمجتمعون بقُبَاء على رجل قَدِم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبيّ.

نسب قَيْلة: قال ابن هشام: قَيْلَة: بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، أم الأوس والخزرج.

قال النُّعمان بن بشير الأنصاريّ يمدح الأوس والخزرج:

بهاليل[1] من أولاد قَيْلة لم يجدْ ... عليهم خليطٌ في مُخالطة عَتْبا
مساميح[2] أبطال يُراحُون[3] للنَّدَى ... يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبَا[4]

وهذان البيتان في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة الأنصاري، عن محمود بن لَبِيد، عن عبدالله بن عباس، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرواء. قال ابن هشام: العرواء: الرِّعدة من البرد والانتفاض، فإنْ كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود ـ حتى ظننت أنّي سأسقط على سيّدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمّه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيّدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنّما أردت أن أسْتَثبته عما قال.

سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ: قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بقُباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة. فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرّبته إليه، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه: كلوا، وأمسك

---

(١) بهاليل: جمع بهلول وهو السيد.
(٢) المساميح: الأجواد الكرام.
(٣) يُراحون: يهتزّون.
(٤) النحْب: النذر، وما يجعله الإنسان على نفسه.

يده، فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً، وتحوّل رسول الله - ﷺ - إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت له: إنّي قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هَديّة أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله - ﷺ - منها، وأمر أصحابه، فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان ثِنتان، قال: ثم جئت رسول الله - ﷺ - وهو ببقيع الغَرْقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، عليّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلّمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله - ﷺ - استدبرته، عرف أنّي استثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره. فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبّله، وأبكي، فقال لي رسول الله - ﷺ -: تحوّل، فتحوّلت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي، كما حدّثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله - ﷺ - أن يسمع ذلك أصحابه. ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله - ﷺ - بدر وأُحُد.

سلمان يفتكّ نفسه من الرقّ بأمر رسول الله ومساعدته ﷺ: قال سلمان: ثم قال لي رسول الله - ﷺ -: «كاتب يا سلمان»، فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير[1]، وأربعين أوقيّة. فقال رسول الله - ﷺ - لأصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيّة، والرجل بعشرين ودِيّة. والرجل بخمس عشرة ودِيّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودِيّة، فقال لي رسول الله - ﷺ -: «اذهب

---

(١) الوجه. التفقير للنخلة. يقال لها في الكَرْمَة: حَبية، وجمعها: حيَايا، وهي. الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي: عَرِيسة، ثم يقال لها: ودِيّة، ثم فَسِيلة، ثم أشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي: جَبَّارة، وهي العضيد، والكتيلة، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجتثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطويلة: عَوَانة بلغة عمان، وعَيْدَانة بلغة غيرهم، وهي فيْعالة من عدن بالمكان، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين، فجعلها تارة: فَيْعالة من عدن، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعْلانة. (الروض الأنف ١/ ٢٥٠، ٢٥١)

يـا سلمـان فَقِّـر لهـا، فـإذا فـرغت فـأتِني، أكن أنـا أضعُهـا بيـدي». قـال: ففقرت[1]، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته، فأخبـرته، فخـرج رسـول الله ـ ﷺ ـ معي إليهـا، فجعلنا نقـرّب إليه الـودِيّ، ويضعه رسـول الله ـ ﷺ ـ بيده، حتى فرغنا. فوالذي نفسُ سَلمانَ بيده، ما ماتت منها ودِية واحدة[2].

قال؛ فأدَّيت النخـل، وبقي عليّ المال. فـأُتِيَ رسول الله ـ ﷺ ـ بمثـل بيضـة الـدجـاجـة من ذهب، من بعض المعـادن، فقـال: مـا فعـل الفـارسيّ المُكاتَب؟ قال: فدُعيت له، فقال: خذ هـذه، فأدِّهـا مما عليـك يا سلمـان. قـال: قلت: وأين تقع هـذه يا رسـول الله مما عليّ؟ فقـال: خذهـا، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك. قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقيـة، فأوفيتهم حقّهم منهـا، وعتق سلمـان. فشهـدت مـع رسـول الله ـ ﷺ ـ الخندق حُرّاً، ثم لم يفُتني معه مشهد[3].

قـال ابن إسحاق: وحـدّثني يـزيـد بن أبي حبيب، عن رجـل من عبـد القيس، عن سلمـان: أنه قـال: لما قلت: وأين تقـع هذه من الـذي عليّ يـا رسـول الله؟ أخذهـا رسول الله ـ ﷺ ـ فقلّبهـا على لسانـه، ثم قـال: خـذهـا فأوْفِهم منها، فأخذتها، فأوفيتهم منها حقّهم كلَّه، أربعين أوقية.

---

(١) أي حفرت لها موضعاً تغرس فيه. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٤٦٣)

(٢) وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق. غير أنه ذكر أنّ سلمان غرس بيـده ودية واحدة، وغرس رسول الله ـ ﷺ ـ سائـرها، فعـاشت كلها إلا التي غـرس سلمان. (الـروض الأنف ١/٢٥٢)

(٣) أنظر الحديث بـطوله في: السيـر والمغازي لابن إسحـاق ٨٧ ـ ٩١، الطبقـات الكبرى لابن سعـد ٤/٧٥ ـ ٨٠، المعرفـة والتـاريـخ ٣/٢٧٣، ٢٧٤، صفـة الصفـوة ١/٥٢٣ ـ ٥٣٣، دلائـل النبوّة للبيهقي (رقم ١٩٩). حليـة الأولياء ١/١٩٣ ـ ١٩٥، تـاريخ بغـداد ١/١٦٥ ـ ١٦٩، تهـذيب تاريـخ دمشق ٦/١٩١ ـ ١٩٣، أسد الغـابة ٢/٤١٧ ـ ٤١٩، نهـايـة الأرب ١٦/١٢٩ ـ ١٣٥، سيـر أعـلام النبـلاء ١/٥٠٦ ـ ٥١١، تـاريـخ الإسـلام (السيـرة) ٩٥ ـ ١٠٢، مجمع الزوائد ٩/٣٣٢ ـ ٣٣٧، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٤٨.

والحـديث رجالـه ثقات، وإسنـاده قويّ. أخـرجـه أحمـد في المسنـد ٥/٤٤١ ـ ٤٤٤، والطبراني في المعجم الكبير ٦/٢٧٢ ـ ٢٧٧ رقم ٦٠٦٥.

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمّورية: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة، قال: حدّثني من لا أتّهم، عن عمر بن عبدالعزيز ابن مروان، قال: حُدِّثْت عن سلمان الفارسي: أنّه قال لرسول الله ـ ﷺ ـ حين أخبره خبره: إنّ صاحب عمُّوريَّة قال له: أئت كذا وكذا من أرض الشام، فإنّ بها رجلاً[1] بين غيضتين، يخرج في كل سنة من هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد منهم إلاّ شُفي، فاسأله عن هذا الدِّين الذي تبتغي، فهو يخبرك عنه، قال سلمان: فخرجت حتى أتيت حيث وُصف لي، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم، لا يدعو لمريض إلاّ شُفي، وغلبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل، إلا مِنكبه. قال: فتناولته. فقال: من هذا؟ والتفت إليّ، فقلت: يرحمك الله، أخْبرني عن الحَنِيفِيَّة دين إبراهيم. قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلّك زمان نبيّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأْتِه فهو يحملك عليه. قال: ثم دخل. قال: فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لسلمان: «لئن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى[2] بن مريم على نبيّنا وعليه السلام»[3].

---

(١) ذكر داود بن الحُصَين قال: حدّثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال: قال سلمان للنبيّ ـ ﷺ وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة، ويلقاه الناس بمرضاهم، فلا يدعو لمريض إلا شفي، وأنّ النبيّ ـ ﷺ ـ قال: إن كنت صدقتني يا سلمان، فقد رأيت عيسى بن مريم. إسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول، ويقال: إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم. (الروض الأنف ١/٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) في تهذيب تاريخ دمشق ٦/١٩٧ «لقد رأيت حواريَّ عيسى».

(٣) أنظر الحديث في السير والمغازي لابن إسحاق ٩٢، والطبقات الكبرى ٤/٨٠، ٨١، ونهاية الأرب ١٦/١٣٥، ١٣٦، سير أعلام النبلاء ١/٥١٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٠٣، ١٠٤، وفي هذه الرواية جهالة، أنظر عنها في البداية والنهاية ٢/٢١٤.

ذِكْر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وعُبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحُوَيرث وزيد بن عمرو بن نُفَيْل

تشكُّكُهم في الوثنية: قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظّمونه وينحرون له، ويعكِفُون عنده، ويُديرون به، وكان ذلك عيداً لهم، في كل سنة يوماً، فخلص منهم أربعة نفر نَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا، وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل، وهم: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعُزّى بن قصَيّ بن كِلاب بن مُرَة بن كعب بن لُؤَيّ. وعُبيدالله بن جحش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة ابن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيمة، وكانت أمّه أُميمة بنت عبدالمّطلب. وعثمان بن الحُوَيْرث بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ. وزيد[1] بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبدالله بن قرط بن رياح بن

(١) وأم زيد هي: الحيداء، بنت خَالد الفَهْمية، وهي امرأة جده نُفيل، ولدت له الخطّاب فهو أخو الخطّاب لأمه، وابن أخيه، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدّم، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ـ ﷺ ـ فكنانة تزوج امرأة أبيه خُزيمة، وهي بَرَّة بنت مُرّ، فولدت له النضر بن كِنانة، وهاشم أيضاً قد تزوّج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله ـ ﷺ ـ لأنها لم تلد جدّاً له، أعني: واقدة، وقد قال عليه السلام: أنا من نكاح لا من سفاح، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلاّ ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام. (الروض الأنف ١/٢٥٤، ٢٥٥)

رزاح بن عَـدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ[1]. فقال بعضهم لبعض: تعلَّمـوا والله مـا قـومكم على شيء! لقد أخـطأوا دين أبيهم إبراهيم، مـا حجر نُـطيف بـه، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضرّ ولا ينفع؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنّكم والله ما أنتم على شيء، فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم[2].

تنصّر ورقة وابن جحش: فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصـرانية، واتّبع الكتب من أهلها، حتى علم علماً من أهل الكتـاب. وأما عُبيـد الله بن جحش، فـأقـام على مـا هـو عليـه من الالتبـاس حتى أسلم، ثم هـاجـر مـع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امـرأته أم حبيبـة بنت أبي سفيان مسلمـة، فلما قدِمَها تنصّر، وفارق الإسلام، حتى هلك هنالك نصرانيّاً.

ابن جحش يُغـري مهاجـري الحبشة على التنصّـر: قـال ابن إسحـاق: فحدّثني محمد بن جعفـر بن الزبيـر، قال: كـان عُبيد الله بن جحش - حين تنصّر - يمرّ بأصحاب رسول الله - ﷺ - وهم هنالك من أرض الحبشة فيقـول: فقَّحْنـا وصَأصَـأتُمْ، أي: أبصرنـا وأنتم تلتمسون البصـر، ولم تبصـروا بعـد، وذلك أنّ ولد الكلب، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصـأ؛ لينظر. وقـوله: فقَّح: فتح عينيه.

رسـول الله ﷺ يخلف على زوجـة ابن جحش بعـد وفـاتـه: قـال ابن إسحاق: وخلف رسول الله - ﷺ - بعده على امرأتـه أم حبيبة بنت أبي سفيـان ابن حرب.

قـال ابن إسحـاق: وحـدّثني محمـد بن عليّ بن حسين: أنّ رسـول الله - ﷺ - بعث فيهـا إلى النجاشيّ عمـرو بن أُميّة الضَّمْـري، فخطبهـا عليه

---

(١) والمعروف في نَسَبه ونَسَب ابن عمّه عمر بن الخطاب: نُفَيل بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رِزاح بتقديم رياح على عبدالله، ورِزاح بكسر الراء قيّده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني، أنـه رَزاح بالفتـح، وإنما رزاح بـالكسر: رِزاح بن ربيعـة أخو قُصَيّ لأمـه الذي تقـدّم ذكره. (الروض الأنف ١/٢٥٣)

(٢) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ١١٦.

النّجاشي؛ فزّوجه إيّاها، وأصدقها عن رسول الله - ﷺ - أربعمائة دينار. فقال محمد بن علي: ما نرى عبدالملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلّا عن ذلك. وكان الذي أملكها للنّبيّ - ﷺ - خالد بن سعيد ابن العاص.

تنصّر ابن الحويرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق: وأما عثمان ابن الحويرث، فقدِم على قيصر ملك الروم فتنصّر، وحسُنَت منزلته عنده. قال ابن هشام: ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفِجار[1].

زيد يتوقّف عن جميع الأديان: قال ابن إسحاق: وأما زيد بن عمرو ابن نُفيل فوقف، فلم يدخل في يهوديّة ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح على الأوثان[2].

---

(١) ويذكر أنّ قيصر كان قد توج عثمان، وولّاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنِفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العُزّى: ألا إنّ مكة حَي لَقَاحٌ لاتدين لملك. فلم يتمّ له مراده، قال: وكان يقال له: البطريق، ولا عقِب له، ومات بالشام مسموماً، سمّه عمرو بن جفْنَة الغسّانيّ الملك. (الروض الأنف ١/٢٥٥)

(٢) روى البخاري عن محمد بن أبي بكر، قال: أخبرنا فُضيل بن سليمان، قال: أخبرنا موسى، قال: حدّثني سالم بن عبدالله، عن عبدالله بن عمر: أنّ النبيّ - ﷺ - لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدَح قبل أن ينزل على النبيّ - عليه السلام - الوحي، فقُدِّمت إلى النبي - ﷺ -، سفرة أو قدّمها إليه النبيّ - ﷺ - فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إنّي لست آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلّا ما ذُكر اسم الله عليه، وأنّ زيد بن عمرو بن نُفيل كان يَعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك، وإعظاماً له. (صحيح البخاري ٤/٢٣٣ كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ومسند أحمد ١/١٨٩، ونسب قريش ٣٦٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٠ و٣٤، وتاريخ الإسلام (السيرة ٨٥، ٨٦، والإصابة ١/٥٦٩).

وأما بَلْدَح، فهو وادٍ بين فخّ والحديبية، والحديبية واقعة في آخر بلدح، (أخبار مكة ٢/٢٣٠) (بالحاشية)، وقيل موضع في ديار بني فزارة، وهو وادٍ عند الجرّاحية في طريق التنعيم إلى مكة. (معجم ما استعجم ١/٢٧٣) وقال ياقوت في معجم البلدان ١/٤٨٠: وادٍ قبل مكة من جهة الغرب. =

ونهى عن قتل المؤودة[1]، وقال: أعبد ربَّ إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه. قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه، عن أمّه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفيل شيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول؛ يا معشر قريش، والذي نفسُ زيد بن عمرو بيده: ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أنيّ أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عَبَدتك به، ولكنّي لا أعلمه، ثم

= وفيه سؤال يقال: كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النُصُب، وما لم يُذكر اسم الله عليه، ورسول الله ـ ﷺ ـ كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه بِبَلْدَح، فقُدّمت إليه السفرة أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ أكل منها، وإنّما في الحديث أنّ زيداً قال حين قُدِّمت السفرة: لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. الجواب الثاني: أنّ زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه، لا بشرع متقدّم، وإنّما تقدّم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله، وإنّما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون: «الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة» فإنْ قلنا بهذا وقلنا: إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ كان يأكل مما ذُبح على النُصُب، فإنّما فعل أمراً مباحاً، وإنْ كان لا يأكل منها فلا إشكال، وإنْ قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم، وهو الصحيح، فالذبائح خاصّة لها أصل في تحليل الشرع المتقدّم كالشاة والبعير، ونحو ذلك، مما أحلّه الله تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدّم ما ابتدعوه، حتى جاء الإسلام، وأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدّم، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر، وعبادة الصُلْبان، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان مُحلاً بالشرع المتقدّم، حتى خصّه القرآن بالتحريم. (الروض الأنف ١/٢٥٦، ٢٥٧).

(١) وقد كان صعصعة بن معاوية جدّ الفرزدق، رحمه الله، يفعل مثل ذلك، ولما أسلم سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصحّ الروايتين: لك أجره إذا منّ الله عليك بالإسلام. وهذا الحديث أخرجه البخاري، والموءُودة مفعولة من وأده إذا أثقله. قال الفرزدق:

ومنّا الذي منع الوائدا ت، وأحيا الوئيد، فلم يُوأدِ

يعني: جدّه صَعْصَعَة بن معاوية بن ناجية بن عِقّال بن محمد بن سفيان بن مُجاشعَ.

وقد قيل: كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يئدون من البنات، ما كان منهنّ زرقاء أو بَرْشَاءَ أو شَيمَاءَ أو كشحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. (الروض الأنف ١/٢٥٧).

يسجد على راحته[1].

قال ابن إسحاق: وحُدِّثْت أنّ ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وعمر بن الخطّاب، وهو ابن عمّه، قالا لرسول الله ـ ﷺ ـ: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: «نعم، فإنّه يُبعث أمةً وحده»[2].

شعر زيد في فراق الوثنية: وقال زيد بن عمرو بن نُفيل في فراق دِين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أرَبّاً واحداً، أم ألفَ ربٍّ ... أدِينُ إذا تُقسِّمت الأمورُ
عزلتُ اللاّتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبور[3]
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بني عمرٍو[4] أزورُ
ولا هُبَلاً أدينُ، وكان ربّاً ... لنا في الدّهر إذ حلمي يسير
عجِبْتُ وفي الليالي مُعْجَباتٌ ... وفي الأيام يعرِفُها البصير
بأنّ الله قد أفنى رِجالاً ... كثيراً كان شأنهم الفُجُور[5]

---

(١) هكذا في الأصول، وفي السير والمغازي ١١٦، أما في تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ٩١ فاللفظ «راحلته».

(٢) السير والمغازي لابن إسحاق ١١٩، نسب قريش ٣٦٥، الأغاني ١٢٧/٣، تهذيب تاريخ دمشق ٣٢/٦ و٣٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ٩٠، مجمع الزوائد ٤١٧/٩، الإصابة ٥٧٠/١.

(٣) ذكرت اللات فيما تقدّم. أما العُزَّى فكانت نخلات مجتمعة، وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أنّ الربّ يُشَتّي عند اللّات، ويُصَيِّف بالعُزّى، فعظّموها وبنوا لها بيتاً، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، وهي التي بعث رسول الله ـ ﷺ ـ خالد بن الوليد ليكسرها، فقال له سادنها: يا خالد احذرها؛ فإنها تجذع وتكنع، فهدمها خالد وترك منها جذْمَها وأساسها، فقال قيّمها: والله لتعودنّ ولتنتقمنّ ممن فعل بها هذا، فذكر ـ والله أعلم ـ أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال لخالد: هل رأيت فيها شيئاً؟ فقال: لا، فأمره أن يرجع، ويستأصل بقيّتها بالهدْم، فرجع خالد، فأخرج أساسها، فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها، فقتلها، وهرب القيّم، وهو يقول: لا تُعبد العُزَّى بعد اليوم. هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوريّ في المبعث. وذكره الأزرقي أيضاً ورَزِين. (الروض الأنف ٢٥٨/١).

(٤) في كتاب الأصنام لابن الكلبي (٢٢)، وبلوغ الأرب للآلوسي (٢٢٠/٢) «بني غنم».

(٥) ورد هذا البيت في الأغاني:

ألم تعلم بأن الله أفنى ... رجالاً كان شأنهم الفجور

وأبــقــى آخَــريــن بِــبــرٍّ قــوم ... فَيَرْبِلُ[1] منهمُ الطفلُ الصغيـر[2]
وبيْنا المرءُ يعثـر[3] ثاب يـومـاً ... كمـا يَتـروّح الغِصن[4] المـطيـر
ولـكـنْ أعـبُـدُ الـرحـمـنُ ربّي ... لـيـغـفِـرَ ذنـبيَ الـرَّبُّ الـغـفـورُ
فـتـقـوى الله ربِّـكُـمُ احـفَـظُوهـا ... مـتى مَـا تـحفـظوهـا لا تَـبُـورُوا
تـرى الأبـرارَ دارُهُـمُ جِـنـان ... ولـلـكُـفّـارِ حـامـيـةً سـعـيـرُ
وخِـزْيٌ في الحيـاة وإنْ يَمـوتـوا ... يُـلاقُـوا مَـا تَضيقُ بـه الصُّـدُورُ[5]

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضاً ـ قال ابن هشام: هي لأُميّة بن أبي الصَّلْت في قصيدة له. إلاّ البيتين الأوَّلَين والبيت الخامس وآخرها بيتاً. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق:

إلى الله أُهْـدِي مِـدحتي وثَـنـائيـا ... وقـولاً رصينـا لا يني الـدَّهـر بـاقيـا
إلى الملِك الأعلى الذي ليس فوقه ... إلٰـه ولا ربّ يـكـونُ مُـدانـيـا
ألا أيّـهـا الإنـسـان إيّـاك والـرَّدَى ... فـإنّـك لا تُخْفي من الله خـافيـا[6]
وإيّـاك لا تجعـل مـع الله غـيـرَه ... فـإنّ سبيـل الـرشْـد أصبـح باديـا
حَنانَيْكَ[7] إنّ الجنّ[8] كانت رجاءهم ... وأنـت إلـهـي ربَّـنـا ورجـائـيـا

---

(١) في الأغاني «فيربو».
(٢) ربل الطفل يربل إذا شبّ وعظُم. يربَل بفتح الباء أي يكبُر وينبت، ومنه أُخذ تربيل الأرض. (الروض الأنف ١/٢٥٨).
(٣) في بعض النسخ «يفتر».
(٤) يتروّح الغصن: أي: ينبت ورقه بعد سقوطه. (الروض ١/٢٥٨)
(٥) أنظر: نسب قريش ٣٦٤، ٣٦٥، وجمهرة نسب قريش وأخبارها ٤١٦، والأصنام ٢١، ٢٢، والأغاني ٣/١٢٤، ١٢٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٥، وتاريخ الإسلام ٩١، والبداية والنهاية ٢/٢٤٢، وبلوغ الأرب ٢/٢٢٠)
(٦) إيّاك والردى. تحذير من الردى، والردى هو الموت، فظاهر اللفظ متروك وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت، ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال؛ ولذلك قال: فإنك لا تخفي من الله خافياً.
(٧) حنانَيْك بلفظ التثنية، قال النحويّون: يريد حناناً بعد حنان، كأنّهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصّة دون مزيد. ويجوز أن يريد حناناً في الدنيا، وحناناً في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طَرفة: =

رضيت بك - اللّهمَّ - ربًّا فلن أرَى أدينُ إلهاً غيرك الله ثانياً(١)
وأنت الذي من فضل مَنٍّ ورحمةٍ بعثتَ إلى موسى رسولاً مناديا
فقلت له يا اذْهب وهارون(٢) فادْعوَا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له: آأنت سَوَّيت هذه بلا وتدٍ، حتى اطمأنّت كما هيا(٣)
وقولا له: آأنت رفعتَ هذه بلا عمد، أرْفِقْ - إذاً - بك بانيا(٤)
وقولا له: آأنت سوَّيت وسْطَها مُنيراً، إذ ما جَنَّه الليلُ هاديا

= أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حَنَانَيْك بعض الشرّ أهون من بعض
فإنما يريد: حنان دَفْعٍ، وحنان نفعٍ؛ لأنّ كل من أمَّل ملكاً، فإنّما يؤمّله ليدفع عنه ضيراً، أو ليجلب إليه خيراً. (الروض الأنف ١/٢٥٩).
(٨) وفي رواية «الحِن» بالحاء المهملة. قال في القاموس: الحن (بالكسر) حيّ من الجنّ، منهم الكلاب السود البهم، أو سفلة الجن وضعفاؤهم، أو كلابهم، أو خلق بين الجن والإنس.

(١) أدين إلهاً، أي: أدين لإله، وحذف اللام وعدّى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلهاً.
وقوله: غيرك اللهُ برفع الهاء، أراد: يا الله، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام، إلاّ أنّ حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظّم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول: يا أيها الرجل، ولا ينادى اسم الله بيا أيها، وتقطع همزته في النداء، فتقول: يا الله، ولا يكون ذلك في اسم غيره، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرّفة. (الروض الأنف ١/٢٥٩، ٢٦٠).
(٢) ألا يا اذهب على حذف المنادى. كأنه قال: ألا يا هذا اذهب، كما قُرِيء: ألا يا اسجدوا، يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيٍّ على البِلى

وفيه: اذهب وهارون، عطفاً على الضمير في اذهب، وهو قبيح إذا لم يؤكّد، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيّداً. (الروض الأنف ١/٢٦٠).
(٣) اطمأنّت، وزنه افلعلّت، لأنّ الميم أصلها أن تكون بعد الألف، لأنه من تطامن أي: تطأطأ، وإنّما قدّموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل، فتكون أخفّ عليهم في اللفظ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فراراً من تقارب الهمزتين كما هيا. ما: زائدة لتكفّ الكاف عن العمل، وتهيّئها للدخول على الجمل، وهي: اسم مبتدأ، والخبر محذوف، التقدير: كما هي عليه، والكاف في موضع نصب على الحال من المصدرِ الذي دلّ عليه، اطمأنّ، كما تقول: سرت مثل سير زيد؛ فمثل حال من مَسِيْرك الذي سرته. (الروض الأنف ١/٢٦٠، ٢٦١).
(٤) أرفِق: تعجّب، وبك في موضع رفع لأنّ المعنى: رفقت، وبانياً تمييز، لأنه يصلح أن يجرّ بمن، كما تقول: أحسن بزيد من رجل، وحرف الجرّ متعلّق بمعنى التعجّب؛ إذ قد علم أنك متعجّب منه. (الروض الأنف ١/٢٦١).

وقولا له: من يُرْسل الشمس غُدوةً فيُصْبح ما مسَّت من الأرض ضاحيا
وقولا له: من ينبت الحبَّ في الثَّرى فيُصبح منه البَقْل يهتزّ رابيا[1]
ويُخرج منه حبَّه في رؤوسه وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا
وأنت بفضلٍ منك نَجَّيتَ يُونَساً وقد بات في أضعاف حوتٍ لياليا
وإنّي ولو سبّحت باسمك ربَّنا لأكْثِر ـ إلّا ما غفرت ـ خطائياً[2]
فربَّ العباد ألقِ سَيْباً[3] ورحمةً عليَّ، وبارِكْ في بَنيّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفيّة بنت الحضْرميّ ـ

نسب الحَضْرَميّ: قال ابن هشام: واسم الحضْرَميّ: عبدالله بن عماد[4] (بن أكبر)[5] أحد الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أشرس بن كِنْدي، ويقال: كِنْدَة بن ثور بن مُرَتِّع بن عُفَيْر بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدَدَ بن زيد بن مِهْسع بن عمرو بن عَريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: مُرْتِع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية: قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دينَ إبراهيم ـ ﷺ ـ نكانت صفيّة بنت الحضْرميّ كلما رأته قد تهيّأ للخروج، وأراده، آذنت به الخطّاب بن نُفَيل، وكان الخطّاب بن نُفَيل

---

(١) رابياً: ظاهراً على وجه الأرض.
(٢) معنى البيت: إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربّنا إلّا ما غفرت «وما» بعد إلّا زائدة، وإن سبّحت: اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول: إنّي لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلّا والله يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي: لا أعتمد وإنْ صلّيت إلّا على دعائك واستغفارك من خطاياي. (الروض الأنف ١/٢٥٩).
(٣) السيب: العطاء.
(٤) في الأصول «عباد» والتصويب عن شرح السيرة، والروض، والاستيعاب.
(٥) ما بين القوسين زيادة عن إحدى نسخ الأصل. انظر السيرة بتحقيق السقا والإبياري وشلبي ٢٢٩/١.

عمّه وأخاه لأمّه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطّاب قد وكّل صفية به. وقال: إذا رأيتيه قد هَمَّ بأمرٍ فآذنيني به ـ فقال زيد:

لا تحبسيني في الهوان صَفيّ ما دابي ودابُهْ[1]
إنّي إذا خِفْتُ الهوان مُشَيَّعٌ ذُلُل[2] ركابه
دُعموص أبواب الملوك[3] وجانبٌ للخرق[4] نابه
قَطَّاع أسباب تذِلّ بغير أقرانٍ صِعابه
وإنّما أخذ الهوان العَيْرُ إذ يُوهَى إهابه[5]
ويقول: إنّي لا أذلّ[6] بصكّ جَنْبيه صِلابه
وأخي ابن أمّي، ثم عَمّي لا يُواتيني خِطابه
وإذا يعاتبني بسُوء قلتُ: أعياني جوابه
ولو أشاء لقُلت: ما عندي مفاتِحُهُ وبابَه[7]

قول زيد حين يستقبل الكعبة: قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نُفَيل: أنّ زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد، قال: لبَّيْك حقّاً حقّاً، تعبُّداً ورِقّاً.

عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم مستقبلَ القبلة، وهو قائم
إذ قال:

---

(١) الدأب: العادة. وقد سُهّلت الهمزة للقافية.
(٢) المشيّع: الجريء الشجاع. والذُّلُل: السهلة قد ارتاضت.
(٣) دُعْموص أبواب الملوك. يريد: ولّاجاً في أبواب الملوك، وأصل الدُّعْمُوص: سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء، فاستعاره هنا، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه: صغاركم دعاميص الجنة. (الروض الأنف ١/٢٦١).
(٤) جائب: قاطع. والخرق: الفلاة الواسعة.
(٥) في البيت خرم.
(٦) إنّي لا أذِلُّ أي: يقول العيْر ذلك بِصَكِّ جَنْبَيْه صِلابُه، أي: صلاب ما يوضع عليه، وأضافها إلى العير لأنها عِبْؤُه وحمله. (الروض الأنف ١/٢٦٢).
(٧) في البيت خرم.

أنْفـي لـك الَّـلهُـمَّ عـانٍ راغِـمْ　　مهمـا تُـجَشِّـمُني فـإنّي جـاشم
البرَّ أبغي لا الخال، ليس مُهَجِّر كمن قال[1]

قال ابن هشام: ويقال: البرّ أبقى لا الخال، ليس مهجِّر كمن قال. قال وقوله: «مستقبل الكعبة» عن بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمتْ　　له الأرضُ تحمل صخراً ثِقالا
دحاها فلما رآها استوَت　　على الماء، أرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ　　له المُزْن[2] تحمل عَذْبا زُلالا
إذا هي سِيقَت إلى بلدة　　أطاعت، فصبّتْ عليها سِجالا[3]

الخطّاب يؤذي زيداً ويحاصره: وكان الخطّاب قد آذى زيداً، حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حِراء مقابل مكة، ووكّل به الخطّاب شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال لهم: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلّا سّراً منهم، فإذا علموا بذلك، آذنوا به الخطّاب، فأخرجوه، وآدوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فِرَاقه. فقال ـ وهو يعظّم حرمته على من استحلّ منه ما استحلّ من قومه:

لَا هُمَّ إنّي مُحرِمٌ لا حِلَّهْ[4]　　وإنّ بيتي أوسطَ الْمَحِلَّه
عند الصّفا ليس بذي مضَلّة[5]

---

(١) الخال: الخُيَلاءُ والكبر.
ليس مُهَجِّر كمن قال، أي: ليس من هجَّر وتكيَّس، كمن آثر القائلة والنوم، فهو من: قال يقيل. (الروض الأنف ١/٢٦٢).
وانظر هذا القول مع اختلاف في الترتيب والألفاظ في: السير والمغازي ١١٦، ونسب قريش ٣٦٤، والأغاني ٣/١٢٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٣٢، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٨٩، ومجمع الزوائد ٩/٤١٧.

(٢) المُزْن: السحاب، وقيل الأبيض منها.

(٣) السجال: جمع سجل، وهي الدلو المملوءة ماء، فاستعارها لكثرة المطر.
وانظر القول في: السير والمغازي ١١٧ مع الاختلاف باللفظ.

(٤) في السير والمغازي «لا أحلة».　　(٥) في السير والمغازي ١١٨ «مظلة».

زيد يرحل إلى الشام وموته: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار، حتى بلغ المَوْصِل والجزيرة كلَّها، ثم أقبل فجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بميْفعة[1] من أرض البلقاء، كان ينتهي إليه علم أهل النّصرانيّة فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنّك لتطلب ديناً ما أنت بواجدٍ مَن يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظلّ زمان نبيّ يخرج من بلادك التي خرجْتَ منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية، فالحقْ بها، فإنّه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان شام[2] اليهودية والنصرانية، فلم يرض شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب ما قال، يريد مكة، حتى إذا توسّط بلاد لخم، عَدَوْا عليه فقتلوه.

ورقة يرثي زيداً: فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه:

رَشَدتَ، وأنعمت ابن عمرو[3]، وإنّما ... تجنّبت تَنُّوراً من النّار حاميا
بدينك ربّاً ليس ربٌّ كمثله ... وتركك أوثانَ الطّواغي كما هيا
وإدراكك الدّينَ الذي قد طلبتَه ... ولم تَكُ عن توحيد ربّك ساهيا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها ... تُعَلَّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها، ولم تكُنْ ... من الناس جبّاراً إلى النّار هاويا
وقد تُدرِك الإنسانَ رحمةُ ربّه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[4]

---

(١) في الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح؛ لأنه اسم لموضع أخذ من اليَفَاع، وهو المرتفع من الأرض. (الروض الأنف ١/٢٦٢).

(٢) أي اختبر.

(٣) رشدت وأنعمت ابن عمرو، أي: رشدت وبالغت في الرشد، كما يقال: أمعنت النظر وأنعمته. (الروض ١/٢٦٣).

(٤) قوله: ولو كان تحت الأرض سبعين وادياً. بالنصب. نصب سبعين على الحال، لأنه قد يكون صفة للنَّكِرَة، كما قيل: فلو كنت في جبّ ثمانين قامة. وما أصله صفة للنكرة يكون حالاً من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال: ولو بَعُد تحت الأرض سبعين. كما تقول: بَعُد طويلاً، أي: بُعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلّا حالاً. (الروض الأنف ١/٢٦٣).

وفي السير والمغازي ١١٩ ورد «ستين» بدل «سبعين».

قال ابن هشام: يُروى لأُميّة بن أبي الصَّلْت البيتان الأوّلان منها، وآخرها بيتٌ في قصيدة له. وقوله: «أوثان الطواغي» عن غير ابن اسحاق.

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يُحَنَّس الحواريّ يثبت بعثة الرسول - ﷺ - من الإنجيل: قال ابن إسحاق: وقد كان - فيما بلغني عمّا كان وضَعَ عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - ﷺ - مما أثبت يُحَنّس الحواريّ لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - ﷺ - إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أنّى صنعت بحضرتهم صنائع لمْ يصنعها أحد قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنّوا أنهم يَعُزُّونني، وأيضاً للربّ، ولكن لا بد من أن تتمّ الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجاناً[1]، أي: باطلاً. فلو قد جاء المنْحَمَنّا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الربّ، وروح القُدُس هذا الذي من عند الربّ خرج، فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً؛ لأنّكم قديماً كنتم معي في هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكّوا.

والمُنْحَمنّا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: الْبَرَقْلِيطِس، صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أي: باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة: يا ابن آدم علِّم مجاناً، كما عُلِّمت مجاناً، أي: بلا ثمن، وفي وصايا الحكماء: شاور ذوي الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن، أي بطول التجارب. (الروض ١ /٢٦٤).

مبعث النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً[2]

أخذ الله الميثاق على الرسل بالايمان به ﷺ: قال: حدّثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطّلبيّ قال: فلما بلغ محمد رسول الله - ﷺ - أربعين سنة بعثه الله تعالى[1] رحمة للعالمين، وكافّةً للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبيّ بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من

---

(1) السير والمغازي ١٢٠، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨، الطبقات الكبرى ١/١٩٤، أنساب الأشراف ١/١٠٣، البدء والتاريخ ٤/١٤١، مروج الذهب ٢/٢٨٢، نهاية الأرب ١٦/١٦٨، صفة الصفوة ١/٧٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، السيرة لابن كثير ١/٢٨٦، عيون الأثر ١/٨٠، شرح المواهب ٦/١٦٣، عيون التواريخ ١/٤٣، سبل الهدى ٢/٣١٨.

(2) ذكر ابن إسحاق أنّ رسول الله - ﷺ - بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام، وهذا مَرْويّ عن ابن عباس، وجُبَيْر بن مُطْعِم، وقَبَاثِ بن أشْيَم، وعطاء وسعيد بن المسيَّب، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِيَر والعلم بالأثر.

وقد رُوِيَ أنّه نُبّيء لأربعين وشهرين من مولده، وقيل لُقباث بن أشيم: من أكبر، أنت أم رسول الله - ﷺ -؟ فقال: رسول الله أكبر منّي، وأنا أسَنُّ منه، ووُلد رسول الله - ﷺ - عام الفيل، ووقفت بي أمّي على رَوْثِ الفيل، ويُروى: خَزْقِ الطير، فرأيته أخضر مُحِيلاً، أي: قد أتى عليه حَوْل، وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أنّ رسول الله - ﷺ - قال لبلال: لا يفتك صيام يوم الاثنين؛ فإنّي قد وُلدت فيه، وبُعثت فيه، وأموت فيه. (الروض الأنف ١/٢٦٥).

خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدّقهم، فأدَّوا من ذلك ما كان عليهم من الحقّ فيه. يقول الله تعالى لمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]: أي ثقل ما حمّلتكم من عهدي: قالوا أقررنا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين، فأخذ الله ميثاق النبيّين جميعاً بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدَّوْا ذلك إلى من آمن بهم، وصدّقهم من أهل هذين الكتابين.

الرؤيا الصادقة أول ما بُدي به رسول الله ﷺ: قال ابن إسحاق: فذكر الزُّهْري، عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أنّها حدّثته: أنّ أول ما بُديء به رسول الله ـ ﷺ ـ من النُّبوَّة، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ـ ﷺ ـ رؤيا في نومه إلّا جاءت كَفَلَق الصبح قالت: وحبَّب الله تعالى إليه الخَلوة، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلوَ وحده[2].

سلام الحجر والشجر عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالملك ابن عُبَيْدالله[3] بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم:

أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوَّة، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت، ويفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمرّ رسول الله ـ ﷺ ـ بحجر ولا شجر، إلا قال: السلام عليك يا

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٨١.

(٢) السير والمغازي ١٢٠، البدء والتاريخ ١٤١/٤، تاريخ الطبري ٢٩٨/٢، نهارية الأرب ١٦٨/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، صفة الصفوة ٧٨/١.

(٣) في السير والمغازي، «عبد الله» وهو غلط.

رسول الله[1]. قال: فيلتفت رسول الله ـ ﷺ ـ حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة[2]. فمكث رسول الله ـ ﷺ ـ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام[3] بما جاءه من كرامة الله، وهو بحِراء في شهر رمضان[4].

نزول جبريل عليه ﷺ: قال ابن إسحاق: وحدّثني وهْب بن كَيْسان،

---

(١) وفي مصنّف الترمذي ومسلم، أيضاً أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عَلَيَّ قبل أن ينَزَّل عَلَيَّ». وفي بعض المسندات زيادة أنّ هذا الحجر الذي كان يسلّم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحنين في الجذْع، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عَرَض في قول الأكثرين، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام، فإنه زعم أنه جسم، وجعله الأشعريّ اصطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض، وقال أبو بكر بن الطيّب: ليس الصوت نفس الاصطكاك، ولكنّه معنى زائد عليه، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه، لم يكن بدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام، والله أعلم أيّ ذلك كان، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم، فيكون الحجر به مؤمناً، أو كان صوتاً مجرّداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوءة. وأما حنين الجذْع فقد سُمّي حنيناً، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، ويعمرونها، فيكون مجازاً من قوله تعالى: «واسئل القرية» والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَم على نبوّته ـ عليه السلام ـ غير أنه لا يسمّى معجزة في اصطلاح المتكلّمين إلاّ ما تحدّى به الخلق، فعجزوا عن معارضته (الروض الأنف ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) السير والمغازي ١٢٠، تاريخ الطبري ٢/٢٩٥، أنساب الأشراف ١/١٠٤.

(٣) اسم جبريل سرياني، ومعناه: عبد الرحمن، أو عبد العزيز. هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله، وأكثر الناس على أنّ آخر الاسم منه هو اسم الله، وهو: إيل، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أنّ هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم، يقولون في غلام زيد: زيد غلام، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل، كما تقول: عبد الله وعبد الرحمن، ألا ترى أنّ لفظ عبد يتكرّر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة (الروض الأنف ١/٢٧٢).

واتّفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه، وإن كان عجمياً؛ فإنّ الجبر هو إصلاح ما وهى جبريل موكّل بالوحي، وفي الوحي جبر ما وهى من الدين.

(٤) السير والمغازي ١٢١.

مولى آل الزُبير. قال: سمعت عبدالله بن الزُبير وهو يقول لعُبَيد بن عمير بن قَتَادة الليثي: حدِّثْنا يا عُبيد، كيف كان بدء ما ابتُدِيء به رسول الله - ﷺ - من النبوّة، حين جاءه جبريل عليه السلام؟ قال: فقال عُبيد - وأنا حاضر يُحدِّث عبدَالله بن الزبير، ومَن عنده من الناس: كان رسول الله - ﷺ - يجاور في حِرَاء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تَحنَّث به قريش في الجاهلية. والتحنث: التبَرُّر[1].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وثَوْرٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانه ... وراقٍ ليرقى في حِراءَ ونازِلِ

التحنّث والتحنُّف: قال ابن هشام: تقول العرب: التحنّث والتحنّف، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جدف وجدث. يريدون: القبر. قال رؤبة بن العَجّاج:

لو كان أحجاري مع الأجداف[2]

يريد: الأجداث: وهذا البيت في أرجوزة له. وبيت أبي طالب في قصيدة له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها.

---

(١) التبرّر تفعل من البرّ، وتفعل: يقتضي الدخول في الفعل، وهو الأكثر منها مثل: تَفَقّه وتعبّد وتنسّك، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطّراحه، كالتأثّم والتحرّج. والتحنّث بالثاء المثلثة، لأنه من الحِنث وهو الحمل الثقيل،وكذلك التقذّر، إنما هو تباعد عن القَذَر، وأما التحنّف بالفاء، فهو من باب التبرّر؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم وإن كان الفاء مُبدِلة من الثاء، فهو من باب التقذّر والتأثم، وهو قول ابن هشام، واحتجّ بحدف وجدث (الروض الأنف ١/٢٦٧).

والحديث في تاريخ الطبري ٢/٣٠٠، وأنساب الأشراف ١/١٠٥ رقم ١٩١.

(٢) وفي بيت رؤبة هذا شاهد وردّ على ابن جني حيث زعم في سر الصناعة أنّ جدف بالفاء لا يجمع على أجداف، واحتجّ بهذا لمذهبه في أنّ الثاء هي الأصل، وقول رؤبة ردّ عليه، والذي نذهب إليه أنّ الفاء هي الأصل في هذا الحرف، لأنه من الجدف وهو القطع، ومنه مجداف السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجنّ: شرابهم الجَدَفُ وهي الرَّغْوَة، لأنها تُجدَف عن الماء، وقيل: هي نبات يقطع ويؤكل. وقيل: كلّ إناء كشف عنه غطاؤه: جدف، والجدف: القبر من هذا، فله مادّة وأصل في الاشتقاق، فأجدر بأنْ تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها. (الروض الأنف ١/٢٦٨)

قال ابن هشام: وحدّثني أبو عُبَيْدة أنّ العرب تقول: فُم، في موضع: ثُم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق: حدّثني وهْب بن كَيْسان قال: قال عُبَيد: فكان رسول الله - ﷺ - يجاور[1] ذلك الشهر من كل سنة، يطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله - ﷺ - جواره، من شهره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته.

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله - ﷺ - إلى حِراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل - عليه السلام - بأمر الله تعالى.

قال رسول الله - ﷺ -: فجاءني جبريل، وأنا نائم[2]، بنَمَطٍ من

---

(١) الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجه واحد، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبدالبر؛ ولذلك لم يُسَم جواره بحراء اعتكافاً، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه من جبال الحرم. (الروض الأنف ١/٢٦٨).

(٢) قال في الحديث: فأتاني وأنا نائم، وقال في آخره: فهببت من نومي، فكأنَّما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عُروة عن عائشة ما يدلّ ظاهره على أنّ نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ، كان في اليقظة؛ لأنها قالت في أول الحديث: «أول ما بديء به رسول الله - ﷺ - الرؤيا الصادقة، كان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق، وهو بغار حراء، فجاءه جبريل»، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - ﷺ - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النُّبوءة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء، من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه.

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبيّ أنّ رسول الله - ﷺ - وكّل به إسرافيل، فكان يتراءى له ثلاث سنين، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء، ثم وكّل به جبريل فجاءه بالقرآن =

ديباج[1] فيه كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ[2]؟ قال فغَتّني به[3]، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال قلت: ما أقرأ؟ قال: فغَتّني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتّني به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلاّ افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾[4]. قال: فقرأتها، ثم

= والوحي، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه - ﷺ - في أحوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق.

ومنها: أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نفثاً، كما قال عليه السلام: «إنّ روح القُدُس نَفَث في رُوعي أنّ نفساً لن تموت، حتى تستكمل أجَلَها ورزقها، فاتّقوا الله وأجْملوا في الطلب».

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليه. وقِيل إنّ ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة؛ فيكون أوعى لما يسمع، وألقن لما يلقى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلاً، فقد كان يأتيه في صورة دِحْية بن خليفة.

ومنها: أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها، له ستمائة جناح، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت.

ومنها: أن يكلمه الله من وراء حجاب: إما في اليقظة كما كلّمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي، قال: «أتاني ربي في أحسن صورة..». (الروض الأنف ١/٢٦٩، ٢٧٠)

(١) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمّته ملك الأعاجم. ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زِيَّهم وزينتهم، وبه أيضاً ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج. (الروض الأنف ١/٢٧١) والنمط: وعاء كالسفط.

(٢) وفي رواية: ما أنا بقارىء، أي: إنّي أُمّي، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثاً فقيل له: اقرأ باسم ربك، أي: إنك لا تقرأه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربّك مستعيناً به، فهو يعلّمك كما خلقك.

أما على رواية ما أقرأ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً، يريد أيَّ شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخاري ومسلم تدلّ على أنه أراد النفي، أي ما أحسن أن أقرأ، كما تقدّم. (الروض ١/٢٧٢)

(٣) ويروى: فسَأبني، ويروي: سأتني، وأحسبه أيضاً يروى: فذعتني وكلّها بمعنى واحد، وهو الخَنْق والغَمّ. (الروض ١/٢٧١) ورواية البخاري ومسلم «فغطني».

(٤) سورة العَلَق - الآيات: ١ - ٥.

انتهى، فانصرف عنّي، وهببت من نومي، فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً. قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍّ قدميه[1] في أُفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل. قال: فوقفت أنظر أليه فما أتقدّم وما أتأخّر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحيةٍ منها إلاّ رأيته كذلك، فما زلت واقفاً ما أتقدّم أمامي، وما أرجع ورائي، حتى بَعثْتْ خديجةُ رُسلَها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عنّي.

الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه: وانصرفت راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخِذِها مُضيفاً إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رُسُلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدّثتها بالذي رأيتُ، فقالت: أبشِرْ يا ابن عمّ واثبُتْ، فوالذي نفسُ خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمّة.

خديجة تخبر ورقة بن نوفل: ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، وهو ابن عمّها، وكان ورقة قد تنصّر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قُدُّوس قُدُّوس، والذي نفسُ ورقة بيده، لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة لقد

---

(١) وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض، ويُروى: على عرش بين السماء والأرض، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي، كان يأتي شواهق الجبال يهمّ بأن يُلقي نفسه منها، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض، يقول له أنت رسول الله، وأنا جبريل. (الروض ١/٢٧٢) والحديث أخرجه البخاري في كتاب التعبير ٦٨/٨، باب التعبير وأول ما بديء به رسول الله ـ ﷺ ـ من الوحي الرؤيا الصالحة، وأخرجه أحمد في المسند ٢٣٣/٦.

جاءه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى[2]، وإنه لنبيّ هذه الأمة، فقولي له: فليثبُتْ.

فرجعت خديجة إلى رسول الله - ﷺ -، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله - ﷺ - جواره وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة، فطاف بها، فلقِيه ورقة بن نوفل، وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله - ﷺ -، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبيٌّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، وَلتُكذَّبنَّهُ، ولتُؤذَينَّهْ، ولتُخْرجَنَّهْ، ولتُقاتلَنَّهْ[3]، ولئن أنا أدركت[4] ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه، ثم أدنى رأسه منه، فقبّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى منزله[5].

تثبّت خديجة من الوحي: قال ابن إسحاق: وحدّثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزُّبَير: أنه حُدِّث عن خديجة رضي الله عنها أنها قالت

---

(١) الناموس: صاحب سر الملك، وقال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس هو صاحب سر الشر. (الروض الأنف ١/٢٧٣).

(٢) ذكر موسى ولم يذكر عيسى - وهو أقرب - لأنّ ورقة كان معتنقاً النصرانية وقتها والنصارى لا يقولون في عيسى: إنه نبيّ يأتيه جبريل إنّما يقولون فيه: إنّ أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حلّ بناسوت المسيح واتّحد به، على اختلافٍ بينهم في ذلك الحلول، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم: عبارة عن العلم، فلذلك كان المسيح عندهم، يعلّمهم الغيب، ويخبر بما في غد. (الروض الأنف ١/٢٧٣).

(٣) الهاءات الأربعة لا يُنطق بها إلاّ ساكنة فإنها هاءآت سَكْت وليست بضمائر. (الروض ١/٢٧٣)

(٤) في الحديث: «إن يدركني يومك...» وهو القياس: لأنّ ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده. (الروض ١/٢٧٣).

(٥) أنظر: صحيح البخاري ١/٢١ - ٢٧ في بدء الوحي، وفي الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً»، وفي تفسير سورة «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وفي التعبير، باب أول ما بُدِيء به رسول الله - ﷺ - من الوحي الرؤيا الصادقة. ومسلم رقم (١٦٠) في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله - ﷺ -. والترمذي رقم (٣٦٣٦) في المناقب، باب رقم ١٣، وابن سعد في الطبقات ١/١٩٤، والطبري في تاريخه ٢/٢٩٨، ٢٩٩، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٩٦، والنويري في نهاية الأرب ١٦/١٦٨، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٧٨ - ٨٠، والسيرة الحلبية ١/٢٣٣، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، ١١٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/١٠٥. والخبر بطوله في: السير والمغازي ١٢١، ١٢٢.

لرسول الله - ﷺ - أي ابن عمّ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام، كما كان يصنع، فقال رسول الله - ﷺ - لخديجة: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخِذي اليسرى، قال: فقام رسول الله - ﷺ - فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل، فاجلس على فخِذي اليمنى، قالت: فتحوّل رسول الله - ﷺ - فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس في حِجْري؟ قالت: فتحوّل رسول الله - ﷺ - فجلس في حجْرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله - ﷺ - جالِس في حجْرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يا ابن عم، اثبت وأبشِر، فوالله إنه لَمَلك وما هذا بشيطان[1].

قال ابن إسحاق: وقد حدّثتُ عبدَالله بنَ حسن[2] هذا الحديث، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلّا أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسول الله - ﷺ - بينها وبين درْعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله - ﷺ -: إنّ هذا لمَلَك، وما هو بشيطان.

---

(١) الحديث في تاريخ الطبري ٢/٣٠٣، والسير والمغازي ١٣٣، نهاية الأرب ١٦/١٧٤، ١٧٥، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٤.

(٢) عبدالله هذا هو: عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمه: فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنة، واسمها: آمنة، وسُكينة لقَب لها، التي كانت ذات دُعابة ومزح، وفي سُكينة وأمّها الرباب يقول الحسين بن عليّ - رضي الله عن جميعهم:

كأنّ الليل موصول بليل ... إذا زارت سُكينة والرباب

أي: زارت قومها، وهم: بنو عُلَيْم بن جناب، من كلب، ثم من بني كعب بن عليم، ويعرف بنو كعب بن عليم ببني زيد غير مصروف؛ لأنه اسم أمهم، وعبدالله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس، وهم: محمد ويحيى وإدريس، مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد، مسموماً في دلاعة (نوع من المحار) أكلها. (الروض الأنف ١/٢٧٧، مقاتل الطالبيّين ٩٠، المعارف ٩٣، الأغاني ١٤/١٦٣)

والحديث في تاريخ الطبري ٢/٣٠٣، والسير والمغازي ١٣٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٤٣.

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن: قال ابن إسحاق: فابتدىء رسول الله - ﷺ - بالتنزيل في شهر رمضان، بقول الله عزّ وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فيه ٱلقُرْآنُ هُدًى للنَّاس، وَبَيِّنات مِنَ ٱلهُدَى وَٱلفُرْقَان﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيٓ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ. وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلقَدْر. لَيْلَةُ ٱلقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ ٱلمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلفَجْرِ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿حم. وَٱلكِتَابِ ٱلمُبِين. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيٓ لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْر حَكِيم، أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِٱللهِ وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلتَقَى ٱلجَمْعَانِ﴾[4]. وذلك ملتقى رسول الله - ﷺ - والمشركين ببدر[5].

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق: وحدّثني أبو جعفر محمد بن علي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة القدر بكاملها.

(٣) سورة الدخان، الآيات: ١ - ٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٥) الخبر في السير والمغازي ١٣٠.

ابن حُسَين: أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من رمضان(١).

قال ابن إسحاق: ثم تَتَامّ الوحي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو مؤمن بالله مصدِّق بما جاءه منه، قد قبله بقبوله، وتحمّل منه ما حُمّلَه على رضا العباد وسَخطهم، والنُبوَّة أثقال ومُؤْنة، لا يحملها، ولا يستطيع بها إلاّ أهل القوة والعزْم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلْقَوْن من الناس، وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى(٢).

قال: فمضى رسول الله ـ ﷺ ـ على أمر الله، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى.

إسلام خديجة بنت خويلد(٣)

وقوفها بجانبه ﷺ: وآمنت به خديجة بنت خُوَيلد، وصدّقت بما جاءه من الله ووزارته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدّق بما جاء منه، فخفّف الله، بذلك عن نبيّه ـ ﷺ ـ لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلاّ فرّج اللهُ عنه بها إذا رجع إليها، تثبّته وتخفّف عليه، وتصدّقه وتهوّن عليه أمر الناس، رحِمها الله تعالى.

تبشير خديجة ببيتٍ من قصب: قال ابن اسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه عُروة بن الزُبَير، عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أُمِرْت أن أبشّر خديجة ببيتٍ من قصب، لا صَخَب فيه ولا نَصَب»(٤).

---

(١) السير والمغازي ١٣٠.

(٢) السير والمغازي ١٣١.

(٣) أنساب الأشراف ١/١١٢، مروج الذهب ٢/٢٨٤، البدو والتاريخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٧، أسد الغابة ٥/٤٣٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٧، عيون الأثر ١/٩١، عيون التواريخ ١/٤٥، سبل الهدى ٢/٤٠٢.

(٤) الحديث مرسل. وقد أخرجه البخاري متصلاً في فضائل أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ ومن صحب =

قال ابن هشام: القصب: اللؤلؤ المجوّف.

جبريل يقريء خديجة السلام من ربّها: قال ابن هشام: وحدّثني من أثق به، أنّ جبريل عليه السلام أتى رسول الله - ﷺ -؛ فقال: أقْرِيء خديجةَ السّلام من ربّها؛ فقال رسول الله - ﷺ -: «يا خديجة، هذا جبريل يقُرئكِ السلامَ من ربّك»، فقالت خديجة: الله السّلام، ومنه السّلام، وعلى جبريل السّلام.

فترة الوحي ونزول سورة الضّحى: قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله - ﷺ - فترة من ذلك، حتى شُقّ ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى، يقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، ما ودّعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1]. يقول؛ ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبكَ. ﴿وللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلأُولَىٰ﴾[2]. أي لما عندي من مرجعك إليّ، خير لك مما عجّلت لك من الكرامة في الدنيا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[3] من الفُلح في الدنيا، والثواب في الآخرة. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[4] يعرّفه الله ما ابتداه به من كرامته في عاجل أمره،

= النبيّ - ﷺ - أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه (٤/ ٢٣٠، ٢٣١) باب تزويج النبيّ - ﷺ - خديجة فضلها - رضي الله تعالى عنها -. ومسلم (٢٤٣٥) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها.

والطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٥ من طريق عبدالله بن أبي أوفى، وأخرجه ابن جُمَيْع الصيداوي في معجم الشيوخ (بتحقيقنا) ٣٧١ رقم (٣٦٢) عن طريق عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، كما هنا، وانظر الترمذي ٥/ ٣٦٦ رقم (٣٩٧٨) و(٣٩٧٩) وقال: هو حديث حسن صحيح. والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) بتحقيقنا ٢٣٨.

(١) سورة الضحى، الآيات: ١ ـ ٣.
(٢) سورة الضحى، الآية: ٤.
(٣) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٤) سورة الضحى، الآيات: ٧ ـ ٩.

ومنّه عليه في يُتمه وعَيْله وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته[1].

تفسير مفردات سورة الضُّحَى: قال ابن هشام: سَجَى: سكن. قال أُميّة بن أبي الصَّلْت الثقفي.

إذ أتى موهناً وقد نام صحبي ... وسجا الليلُ بالظلام البهيم

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال للعين إذا سكن طرْفُها: ساجية، وسجا طرْفها.

قال جرير:

ولقد رَمَيْنَكَ حين رُحْن بأعينٍ ... يقتُلن من خَلَل السُّتُور سَواجي

وهذا البيت في قصيدة له. والعائل: الفقير. قال أبو خِراش الهُذلي:

إلى بيته يأوي الضَّريكُ إذا شتا ... ومُستنبحٌ بالي الدَّرِيسين عائِل[2]

وجمعه: عالة وعيل. وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله: والعائِل أيضاً: الذي يعول العيال. والعائل أيضاً: الخائف. وفي كتاب الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[3].

وقال أبو طالب:

بميزان قِسطٍ لا يُخِس شَعيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها. والعائل أيضاً: الشيء المُثْقِل المُعْي. يقول الرجل: قد عالني هذا الأمر: أي أثقلني وأعياني.

---

(١) كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً.

(٢) الضريك: الضعيف. والمستنبح: الذي يضلّ الطريق فينبح فتجاوبه الكلاب فيعرف مكان العمران. والدريس: الثوب الخلق.

(٣) سورة النساء - الآية: ٣.

قال الفرزدق:

تَـرَى الغُـرَّ الجَحـاجِـحَ من قـريشٍ ... إذا مـا الأمـر في الحَـدَثـان عـالاَ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2]: أي لا تكن جبّاراً ولا متكبّراً، ولا فَحّاشـاً فـظّاً على الضعفـاء من عبـاد الله. ﴿وَأَمَّـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَدِّثْ﴾[3]: أي بما جـاءك من الله من نعمته وكـرامته من النبّـوة فحَدِث، أي أذكرها وادْعُ إليها، فجعل رسـول الله - ﷺ - يذكـر ما أنعم الله بـه عليه وعلى العباد به من النبوّة سرّاً إلى من يطمئنّ إليه من أهله.

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافتُرضت الصلاة عليه، فصلّى رسول الله - ﷺ - وآلـه، والسلام عليـه وعليهم ورحمة الله وبركاته.

افتُرضت الصلاة ركعتين ثم زِيدت: قال ابن إسحـاق: وحدّثني صـالح ابن كَيْسان، عن عُرْوة بن الزُّبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: افتُـرِضَت الصـلاة على رسول الله - ﷺ - أول مـا افتُـرِضت عليـه ركعتين ركعتين، كـلّ صلاة؛ ثم إنّ الله تعالى أتّمها في الحَضَر أربعاً وأقرّها في السفر على فـرضها الأوّل ركعتين[4].

---

(١) الغر: المشهورون، والجحاجيح: السادة وحذف الياء لإقامة الوزن. والحدثان: حوادث الدهر.

(٢) سورة الضحى - الأيتان: ١٠ و١١.

(٣) سورة الضحى - الأيتان: ١٢ و١٣.

(٤) ذكر المُزَني أنّ الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد الغروب. وقال ابن سلام: فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فَيُحتمل قول عائشة (رضي الله عنها) «فزيد في صلاة الحَضَر» أي زيد فيها حين أكملت خمساً، فتكون الزيادة في الركعات =

جبريل يعلّم الرسول ـ ﷺ ـ الوضوء والصلاة: قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض أهل العلم: أنّ الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله ـ ﷺ ـ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقِبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبريل عليه السلام، ورسول الله ـ ﷺ ـ ينظر إليه، ليُرِيَه كيف الطّهور للصلاة، ثم توضّأ رسول الله ـ ﷺ ـ كما رأى جبريل توضّأ، ثم قام به جبريل فصلّى به، وصلّى رسول الله ـ ﷺ ـ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام[1].

الرسول ﷺ يعلم خديجة الوضوء والصلاة: فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ خديجة، فتوضّأ لها ليُرِيها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضّأت كما توضّأ لها رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم صلّى بها رسول الله ـ ﷺ ـ كما صلّى به جبريل فصلّت بصلاته[2]:

جبريل يعيّن للرسول ﷺ أوقات الصلاة: قال ابن إسحاق: وحدّثني عُتْبة بن مسلم مولى بني تميم، عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال: لما افترضت الصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ أتاه جبريل عليه السلام، فصلّى به الظهر حتى مالت الشمس، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءه فصلّى به الظُهر من غدٍ حين كان ظلّه مثله، ثم صلّى به العصر حين

= وفي عدد الصلوات ويكون قولها «فُرضت الصلاة ركعتين» أي قبل الإسراء. (الروض الأنف ٢٨٢/١)

وانظر أنساب الأشراف ١١٧/١ رقم ٢٣٣.

(١) السير والمغازي ١٣٦، وتاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٥

(٢) الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية، ولكنه رُوي مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه، غير أنه يدور أيضاً على ابن لَهِيعة وقد ضُعِّف فلم يخرج له البخاري ومسلم، أما مالك فكان يحسن فيه القول. (انظر تمام القول في الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣، ٢٨٤).

كان ظلّه مثليه، ثم صلّى به المغرب حين غـابت الشمس لوقتهـا بالأمس، ثم صلّى بـه العشـاء الآخـرة حين ذهب ثُلُث الليـل الأول، ثم صلّى بـه الصُبح مُسفِـراً غير مشـرق، ثم قال: يـا محمـد، الصـلاة فيمـا بين صـلاتـك اليـوم وصلاتك بالأمس[1].

(١) هذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع؛ لأنّ أهـل الصحيح متّفقـون على أنّ هذه القصة، كـانت في الغد من ليلة الإسـراء، وذلك بعـدما نُبّيء عليـه الصلاة والسـلام بخمسة أعوام، وقد قيل إنّ الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف، وقيل: بعـام، فذكـره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي، وأول أحوال الصلاة. (أنظر الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٤).

ذِكْر أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوَّل ذَكَر أسلم[1]

قال ابن إسحاق: ثم كان أوّل ذَكَر من النـاس آمن برسـول الله ـ ﷺ ـ، وصلّى معــه وصـدّق بمــا جــاءه من الله تعــالى: عليّ بن أبي طــالب بن عبـدالمطّلب بن هـاشم، رضوان الله وسـلامه عليـه، وهـو يـومئـذ ابن عشـر سنين[2].

نعمة الله على عليّ بنشأته في كَنَف الرسول: وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه كان في حجْـر رسول الله ـ ﷺ ـ قبـل الإسلام[3].

سبب هذه النشأة: قـال ابن اسحاق: وحـدّثني عبدالله بن أبي نَجِيـح، عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجّاج، قـال: كان من نعمـة الله على عليٍّ بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أنَّ قُـريشاً أصـابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير؛ فقال رسـول الله ـ ﷺ ـ للعباس عمّـه،

---

(١) السير والمغازي ١٣٧، أنساب الأشراف ١/١١٢، تاريخ الطبري ٢/٣٩٢، البـدء والتاريـخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٧، تـاريخ الإسـلام (السيرة) ١٣٥، عيون الأثر ١/٩١، سيرة ابن كثير ١/٤٢٨، سبل الهدى ٢/٤٠٣، نهاية الأرب ١٦/١٨٣.

(٢) السير والمغازي ١٣٧، تاريخ الطبري ٢/٣١٢.

(٣) السير والمغازي ١٣٧، تاريخ الطبري ٢/٣١٢.

وكان من أيسر بني هاشم: «يا عباس: إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليه، فلنخفّف عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكِلُهُما[1] عنه؛ فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنّا نريد أن نخفّف عنكَ من عيالك حتى يتكشف عن الناس ما هم فيه؛ فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عُقَيلاً فاصنعا ما شئتما - قال ابن هشام: ويقال: عقيلاً وطالباً[2].

فأخذ رسول الله - ﷺ - عليّاً، فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل عليّ مع رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتّبعه عليّ رضي الله عنه، وآمن به وصدّقه[3]؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[4].

الرسول ﷺ وعلي يخرجان إلى الصلاة في شِعْب مكة واكتشاف أبي طالب لهما:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله - ﷺ - كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شِعاب مكة، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجع. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان، فقال لرسول الله - ﷺ -: يا بن أخي! ما هذا الدّين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عم! هذا دين الله ودين ملائكته، ودين

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣١٣ «فنكفّهما».

(٢) وكان عليّ أصغر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، وكلّهم أسلم إلّا طالباً الذي يقول عنه السهيلي إنه اختطفته الجنّ فلم يُعلم إسلامه. (الروض الأنف ١/٢٨٤، ٢٨٥) والخبر في تاريخ الطبري، وتاريخ الإسلام ١٣٦.

(٣) تاريخ الإسلام ١٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣١٣، نهاية الأرب ١٦/١٨٢.

رُسُله، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ﷺ ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمّ، أحقّ من بذلتُ له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه، أو كما قال؛ فقال أبو طالب: أي ابن أخي! إنّي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخْلَص[1] إليك بشيء تكرهه ما بقيتُ[6].

وذكروا أنه قال لعلّي: أي بُنَيّ! ما هذا الدّين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبتِ، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به وصليت معه لله واتّبعته. فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يَدْعُك إلّا إلى خير فالزمه[2].

إسلام زيد بن حارثة ثانياً[3]

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرحبيل بن كعب بن عبدالعُزَّى بن امريء القيس الكلبي، مولى رسول الله ـ ﷺ ـ، وكان أوّل ذَكَرٍ أسلم، وصلّى بعد عليّ بن أبي طالب.

نسب زيد: قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن امريء القيس بن عامر بن النُعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عَوف بن كِنانة بن بكْر بن عوف بن عُذرة بن زيد الّلات بن رفيدة بن ثور ابن كلب بن وبرة. وكان حكيم بن حزام بن خُوَيلد قدِم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة[5] وصيف. فدخلت عليه عمّته خديجة بنت خُوَيلد وهي

---

(١) لا يخلص: لا يوصل.

(٢) الخبر في الطبري ٢/٣١٣ وفيه «ماحييت». ونهاية الأرب ١٦/١٨٢، والكامل ٢/٥٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣١٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٢، الكامل في التاريخ ٢/٥٨، عيون الأثر ١/٩٤.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٣١٦، أنساب الأشراف ١/١١٢، نهاية الأرب ١٦/١٨٣، عيون الأثر ١/٩٤، تاريخ الإسلام ١٣٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، الكامل في التاريخ ٢/٥٩، سيرة ابن كثير ١/٤٣٦. سبل الهدى ٢/٤٠٥.

(٥) لأن أم زيد: سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء، وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها، فأصابته خيل من بني القيْن بن جسر، فباعوه بسوق حباشة، وهو من أسواق العرب، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق. (الروض الأنف ١/٢٨٦).

يومئذٍ عند رسول الله - ﷺ -، فقال لها: اختاري يا عمّة أيّ هؤلاء الغلمان شئتِ فهو لك، فاختارت زيداً فأخذته، فرآه رسول الله - ﷺ - عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله - ﷺ - وتبنّاه، وذلك قبل أن يُوحى إليه.

شعر حارثة أبي زيد عندما فَقَدَه: وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده، فقال:

بكيت على زيدٍ ولم أدر ما فعلْ ... أَحَيٌّ فيُرجّى أم أتى دونه الأجلْ
فوالله ما أدري وإنّي لسائل ... أغالَك بعدي السهل أم غالك الجبلْ[1]
ويا ليت شِعري هل لك الدهر أوبة[2] ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَلْ[3]؟
تذكّرنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتَعرِض ذِكراه إذا غربُها أفل[4]
وإنْ هبّت الأرواح[5] هيّجْن ذِكْره ... فيا طولَ ما حُزني عليه وما وجل
سأُعْمِلُ نَصّ[6] العِيس في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطوافَ أو تسأم الإبلْ
حياتيَ أو تأتي عليّ منيّتي ... فكل امرئٍ فانٍ وإنْ غرّه الأمل[7]

ثم قدِم عليه وهو عند رسول الله - ﷺ -، فقال له رسول الله - ﷺ -: «إن شئتَ فأقِم عندي، وإنْ شئتَ فانطلِق مع أبيك»، فقال: بل أقيم عندك. فلم يزل عند رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله فصدّقه وأسلم، وصلّى معه؛

---

(١) في نهاية الأرب ١٦/١٨٤.
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً ... اغالك سَهْلُ الأرض أم غالك الجبل

(٢) في نهاية الأرب «رجعة».
(٣) بجل: حسم.
(٤) في نهاية الأرب ١٦/١٨٥: «وتعرض ذكراه إذا قارب الطَّفَلْ».
(٥) الأرواح: جمع ريح.
(٦) النصّ: السير السريع.
(٧) زاد السهيلي والنويري بعد هذا البيت قوله:
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما ... وأوصي يزيداً ثم أوصي به جَبَل

ولما بلغ زيداً قولُ أبيه قال بحيث يسمعه الركبان:
أحنّ إلى أهلي وإنْ كنت نائياً ... بأنّي قَعِيدُ البيتِ عند المَشاعر
فكفّوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تُعمِلوا في الأرضِ نصّ الأباعر =

فلما أنزل الله عزّ وجل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾[1]. قال: أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وشأنه[2]

نسبه: قال ابن إسحاق: ثم أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة، واسمه عَتِيق، واسم أبي قُحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة ابن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

اسمه ولقبه: قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبدالله، وعتيق: لَقَب لحُسْن وجهه وعتقه.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه: أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله.

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام: وكان أبو بكر[3] رجلاً مَأْلفاً لقومه، محبَّباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشرّ؛ وكان رجلاً تاجراً، ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه[4].

= فإنّي بحمد الله في خير أُسرةٍ كرام مَعَدّ كابراً بعد كابر

انظر تمام الموضوع في الروض الأنف، ج ١ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ونهاية الأرب ١٦/١٨٥.

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥.

(٢) السير والمغازي ١٣٩، تاريخ الطبري ٢/٣١٤، مروج الذهب ٢/٢٨٤، الكامل في التاريخ ٢/٥٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، نهاية الأرب ١٦/١٨٧، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، عيون الأثر ١/٩٤، سيرة ابن كثير ١/٤٣٥، سبل الهدى ٢/٤٠٥.

(٣) وكان يسمّى عبد الكعبة حتى أسلم وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، وأما أم أبيه قَيْلة بنت أذاه بن رياح بن عبدالله، وامرأته قتلة بنت عبد العُزّى. (الروض الأنف ١/٢٨٧، ٢٨٨)

(٤) السير والمغازي ١٤٠، نهاية الأرب ١٦/٧١٧، عيون الأثر ١/٩٤، ٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، تاريخ الطبري ٢/٣١٧.

ذِكْر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان: قال فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب.

الزبير: والزبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

عبد الرحمن بن عوف: وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن مُرّة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ[1].

سعد بن أبي وقّاص: وسعد بن أبي وقّاص، واسم أبي وقاص مالك ابن أهيب بن عبد مَناف بن زُهرة بن مُرَّة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ[2].

طلحة: وطلحة بن عُبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ، فجاء بهم إلى رسول الله - ﷺ - حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا. وكان رسول الله - ﷺ - يقول، فيما بلغني: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة[3]، ونظر وتردّد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قُحافة، ما عَكَمَ عنه[4] حين ذكرته له، وما تردّد فيه[5].

قال ابن هشام: قوله: «بدعائه» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) يكنى أبا محمد. أمّه: الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث وهي بنت عمّ عوف والد عبدالرحمن بن عوف. (الروض الأنف ١/٢٩٠)

(٢) وأم سعد: حمنة بنت سفيان بن أميّة بن عبدشمس، يكنى أبا إسحاق. وهو أحد العشرة، دعا له النبيّ - ﷺ - أن يسدّد الله سهمه، وأن يجيب دعوته، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة. (الروض الأنف ١/٢٨٩)

(٣) الكبوة: التأخر وعدم الإجابة.

(٤) سيفسّرها المؤلّف قريباً.

(٥) نهاية الأرب ١٦/١٨٧.

قال ابن هشام: قوله: عَكَم: تلبّث. قال رؤبة بن العجّاج:

وانصاع[1] وثَّابٌ بها وما عَكَم

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدّقوا رسول الله - ﷺ - بما جاءه من الله.

إسلام أبي عُبيدة: ثم أسلم أبو عُبيدة بن الجرّاح، واسمه عامر[2] بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهْر.

إسلام أبي سَلَمَة: وأبو سَلَمَة، واسمه عبدالله بن عبد الأسد بن هلال ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ[3].

إسلام الأرقم: والأرقم بن أبي الأرقم. واسم أبي الأرقم عبدمَناف بن أسد[4] - وكان أسد يُكنى أبا جندب - بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

إسلام عثمان بن مِظعون وأخويه: وعثمان[5] بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. وأخواه قُدامة وعبدالله ابنا مظعون بن حبيب.

إسلام عُبيدة بن الحارث: وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن

---

(١) انصاع: ذهب.

(٢) اختلف في اسمه، فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: عامر بن عبدالله، وأمّه: أميمة بنت غنْم بن جابر بن عبد العُزّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر. (الروض الأنف ١/٢٨٨) وانظر: نسب قريش ٤٤٥.

(٣) وأمّه: بَرّة بنت عبد المطّلب. هاجر إلى أرض الحبشة مرتين مع امرأته أم سلمة واسمها هند. وقدم مكة، فكان أول من هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، ورُمي بسهمٍ يوم أُحُد، فانتقض به، فمات في سنة أربع. (أنساب الأشراف ١/٢٠٧).

(٤) نسب قريش ٣٣٤ وفيه: كان من المهاجرين، شهد بدراً.

(٥) يُكنّى: أبا السائب، وهو من المهاجرين الأوّلين، وأول من دُفن من المهاجرين بالبقيع. (نسب قريش ٣٩٣، الاستيعاب ٣/٨٥ - ٨٩).

عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ[1].

إسلام سعيد بن زيد وامرأته: وسعيد[2] بن زيد بن عمر بن نُفَيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطّاب بن نُفيل بن عبدالعُزَّى بن عبدالله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، أخت عمر بن الخطّاب.

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخبّاب بن الأَرَتّ: وأسماء بنت أبي بكر. وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخبَّاب بن الأرتّ، حليف بني زُهرة.

قال ابن هشام: خبّاب بن الأرتّ من بني تميم، ويقال: هو من خُزَاعة[3].

إسلام عُمَير وابن مسعود وابن القاري: **قال ابن إسحاق:** وعُمير بن أبي وقّاص[4]، أخو سعد بن أبي وقّاص. وعبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل[5] بن الحارث بن تميم بن سعد بن

---

(١) أمّه: شُحيلة بنت خزاعيّ بن الحويرث بن حُبَيِّب بن مالك بن الحارث بن حُطَيط بن جُشَم، من ثقيف. وكان أسنّ من النبيّ - ﷺ -، ويُكنّى أبا الحارث، وأسلم قبل دخول النبيّ - ﷺ - دار الأرقم، وهاجر هو وأخواه الطفيل والحُصَين إلى المدينة. وقُتل يوم بدر، ودُفن بالصفراء، (نسب قريش ٩٤).

(٢) يُكنّى أبا الأعور. توفي بأرضه بالعقيق ودُفن بالمدينة في أيام معاوية سنة ٥٠.

(٣) هو خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقع عليه سباء فصار إلى أمّ أنمار مولاته؛ فأعتقته. وكانت به رتّة. قال الواقدي: كان ألكن إذا تكلّم بالعربية. فسُمّي الأرتّ. وكان قَيْناً بمكة حين أسلم، ويُكنّى أبا عبد ربّه. (أنساب الأشراف ١/١٧٦).

(٤) استُشهد يوم بدر، وكان الرسول - ﷺ - أراد أن يخلّفه فبكى، فخرج معه واستشهد. (نسب قريش ٢٦٣، الإصابة رقم ٦٠٥٧).

(٥) قيّده الوقشيّ بفتح الهاء، كأنه سُمّي بالفعل من كاهَل يكاهل. والشمْخ هو من شمخ بأنفه إذا رفعه عزّة. وأمّ عبدالله هي: أم عبد بنت سَوْد بن قديم بن صاهلة هذلية. (الروض الأنف ١/٢٩١، ٢٩٢)

هُذيل. ومسعود بن القاري، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبدالعُزَّى بن حَمالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهون بن خُزيمة من القارة.

قال ابن هشام: والقارة. لقب، ولهم يقال:

قد أنصف القارة من راماها.

وكانوا قوماً رُماة[1].

إسلام سَلِيط وأخيه وعيّاش وامرأته، وخُنَيس، وعامر: قال ابن إسحاق: وسَلِيط[2] بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر؛ وأخوه حاطب بن عمرو. وعيّاش بن أبي ربيعة[3] بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية. وخُنيس بن حُذافة[4] بن

---

(١) وسُمّي بنو الهون بن خُزَيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب:

دعونا قارة لا تذعرونا ... فنجفِلَ مثل إجفال الظَّليم

هكذا أنشده أبو عُبيد في كتاب «الأنساب»، وأنشده قاسم في الدلائل:

دعونا قارة لا تذعرونا ... فَتَنْبَتكَ القرابة والذمام

وكانوا رُماة الحَدَق، فمن راماهم فقد أنصفهم، والقارة. أرض كثيرة الحجارة، وجمْعها قور، فكأن معنى المثل عندهم. أنّ القارة لاتَنفذُ حجارتها إذ رُمي بها، فمن راماها فقد أنصف. (الروض الأنف ١/٢٩٢). وانظ: العقد الفريد ٥/٣١١، ومجمع الأمثال للميداني ١/٤٢، أمالي المرتضى ٢/٩.

(٢) أخو سهيل بن عمرو. هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ومعه امرأته فاطمة بنت علقمة - وقدِم المدينة قبل قدوم جعفر. وقيل قدم مع جعفر عليه السلام، واستشهد باليمامة سنة ١٢ وكان يُكنّى أبا الوضّاح. وأسلم قبل دخول النبيّ ﷺ دار الأرقم. (أنساب الأشراف ١/٢١٩).

(٣) هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ومعه امرأته ابنة سلمة بن مخرّبة، فولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن عيّاش. ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة، وصحب في هجرته إلى المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (أنساب الأشراف ١/٢٠٨).

(٤) أمّه: ضعيفة بنت حِذْيم من بني سهم. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم قدِم مكة فهاجر منها إلى المدينة. ومرض ورسول الله - ﷺ - ببدر وهو معه. فمات مقدم رسول الله - ﷺ - من بدر سنة اثنتين. وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب، فخلف عليها النبيّ - ﷺ - . وكان يُكنّى أبا حُذافة. ولم يذكر موسى بن عقبة ولا أبو معشر هجرة خنيس =

عَـدِيّ بن سعـد بن سهم بن عمـرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ. وعـامـر بن ربيعة[1]، من عَنز بن وائل، حلف آل الخطّاب بن نُفيل بن عبد العُزّى.

قال ابن هشام: عَنز بن وائل[2] أخو بَكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

إسـلام ابنَيْ جحش، وجعفر وامـرأتـه، وحـاطب وأخـوتـه ونسـائهم، والسّـائب، والمطّلب وامـرأتـه: قـال ابن إسحـاق: وعبـدالله بن جَحْش[3] بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسَد بن خُـزيمة. وأخوه أبو أحمد[4] بن جَحْش، حليفا بني أميّـة بن عبدشمس. وجعفـر بن أبي طالب[5]؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كَعب بن مالك بن قُحافة، من خَثعم[6]. وحاطب بن الحارث[7] بن مَعْمر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ، وامرأته فـاطمة بنت المجلّل بن

= إلى الحبشـة، وثبّتها ابن إسحـاق والواقـدي. ويقـال إنـه كـان يُكنّى أبـا الأخنس. (أنسـاب الأشراف ١/٢١٤، ٢١٥ رقم ٥٤١).

(١) هاجر إلى الحبشـة في المرتين، ومعـه امرأتـه ليلى بنت أبي حَثَمة بن حُـذافة بن غـانم، ثم هاجر إلى المدينة، ومات بعد مقتـل عثمان بـأيام، وكـان لازماً لمنـزله فلم يشعـر الناس إلاّ وجنازته قد أخرجت. وكان يُكنّى أبا عبدالله. (أنساب الأشراف ١/٢١٧، ٢١٨).

(٢) عَنْز: بسكون النون، ويذكر عن علي بن المديني انه قال فيـه: عَنَز بفتـح النون، والسكـون أعرف. ذكر أهل النسب أن وائلاً كان إذا وُلد له ولد، خرج من خبائه، فما وقعت عينه عليه سمّاه به، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكر من الإبل، فسمّاه به، فلما وُلد له تغلب رأى نفسين يتغالبان، فسمّاه تغلب، فلما وُلد له عنز، رأى عَنَزاً - وهي الأنثى من المعز - فسمّـاه عَنَـزاً، فلما وُلـد لـه الشُخَيْص خـرج فـرأى شخصـاً على بُعـد صغيـراً، فسمّـاه الشُخَيْص. (الروض الأنف ١/٢٩٤)

(٣) ويُكنّى أبا محمد. هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، وقـدِم فشهد بـدراً مع النبيّ - ﷺ - ، واستشهـد يوم أُحُـد، ودُفن مع حمـزة رضي الله عنهمـا في قبـر واحـد. (أنسـاب الأشـراف ١/١٩٩).

(٤) اسمـه: عبد. كفّ بصـره ومات بـالمدينـة، ولم يهاجـر إلى الحبشة قطّ. (أنسـاب الأشراف ١/١٩٩)

(٥) نسب قريش ٨٠، ٨١.

(٦) الطبقات الكبرى ٨، ٢٠٥، نسب قريش ٨٠، الإصابة ٤/٥١.

(٧) هـاجر مـع أخيه حـطّاب الى الحبشة في المـرة الثانيـة، وماتـا بالحبشـة مسلمين. ويقال إن المهاجر هو حاطب وحده. (أنساب الأشراف ١/٢١٣).

عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر وأخوه حطّاب بن الحارث؛ وامرأته فُكيهة بنت يَسار. ومَعْمر بن الحارث[1] بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَيّ. والسّائب بن عثمان[2] بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب. والمطَّلب بن أزهر[3] بن عبدعَوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ، وامرأته: رَمْلة بنت أبي عَوْف بن صُبيرَة بن سعيد بن سَهْم بن عمرو بن هصيص بن كَعْب بن لُؤَيّ.

إسلام نُعَيم: والنَّحّام، واسمه نُعَيم بن عبدالله بن أسد، أخو بني كعب بن لُؤَيّ.

نسب نُعَيم: قال ابن هشام: هو نُعَيم بن عبدالله بن أسيد بن عبد عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ، وإنّما سُمّي النّحّام، لأنّ رسول الله - ﷺ -، قال: لقد سمعت نحْمه في الجنة[4].

قال ابن هشام: صوته. أو حسّه.

إسلام عامر بن فُهَيْرة: قال ابن إسحاق: وعامر بن فُهَيْرة[5]، مولى أبي

---

(١) مختَلَف في هجرته، مات في خلافة عمر بالمدينة. وأمّه قتيلة بنت مظعون. (أنساب الأشراف ١/٢١٣).

(٢) هاجر مع أبيه في المرة الثانية، ثم قدم مكة وهاجر إلى المدينة. وكان من الرماة المذكورين، وأصابه سهم يوم اليمامة في خلافة أبي بكر فمات وهو ابن بضع وثلاثين سنة. (أنساب الأشراف ١/٢١٣).

(٣) هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية، ووُلد له بالحبشة عبدالله. (أنساب الأشراف ١/٢٠٤).

(٤) قال السهيلي: لم يفسّر النحْم ما هو، وهي سُعْلة مستطيلة ويقال للبخيل: نحام، لأنه يسعل إذا سئل - يتشاغل بذلك - وأنشد الزبير:

مالك لا تنحم يا روحه إنّ النحيم للسقاء راحه

قال: ويقال للنحمة: نحطه. وقال غيره: النحطة في الصدر، والنحمة في الحلْق. والنحام أيضاً: طائر أحمر في عِظَم الإوَزّ. (الروض الأنف ١/٢٩١)

(٥) فُهَيْرة: أمّه، وهي تصغير فهر، لأن الفهر مؤنّثة، وكان عبداً أسود للطفيل بن الحارث بن سخْبَرَة، اشتراه أبو بكر فأعتقه، وأسلم قبل دخول النبيّ - ﷺ - دارَ الأرقم. (الروض الأنف ١/٢٩٤).

بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

نَسَبه: قال ابن هشام: عامر بن فُهَيْرة مولَّد من مولَّدي الأسْد، أسود اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم.

إسلام خالد بن سعيد ونَسَبه وإسلام امرأته: قال ابن إسحاق: وخالد ابن سعيد[1] بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ؛ وامرأته أُمَيْنَة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سُبيع بن جُعثمة بن سعد بن مُليح بن عمرو، من خُزاعة.

قال ابن هشام: ويقال: هُمَيْنة بنت خَلَف.

إسلام حاطب وأبي حُذَيْفة: قال ابن إسحاق: وحاطب بن عمرو[2] بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر. وأبو حُذَيفة، واسمه مهشم[2] - فيما قال ابن هشام - بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

إسلام واقد وشيء من خبره: وواقد بن عبدالله بن عبدمَناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف بني عديّ بن كعب.

قال ابن هشام: جاءت به باهلة، فباعوه من الخطّاب بن نُفَيل، فتبنّاه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ادْعُوهُم لآبَائِهِمْ﴾[3] قال: أنا واقد بن عبدالله، فيما

---

(١) قتل بمرج الصُّفَّر، وأمّه أم خالد بنت خبّاب بن عبدياليل بن ناشب. وكان إسلامه متقدّماً، وهاجر مع أخيه عمرو إلى أرض الحبشة، وكان ممن قدم على رسول الله - ﷺ - في السفينتين. (انظر: نسب قريش ١٧٤، ١٧٥، الطبقات الكبرى ٤/١/٦٧ - ٧٣، الاستيعاب ١٥٤ - ١٥٦ و٤٤١ - ٤٤٢، أسد الغابة ٢/٩٠ و٩٢، الإصابة ٢/٩١، ٩٢).

(٢) ويقال «هشيم». هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم قَدِم فهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، وقُتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاثٍ أو أربعٍ وخمسين سنة. (أنساب الأشراف ١/١٩٩).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

قال أبو عمرو المدني.

إسلام بني البُكَير: **قال ابن إسحاق**: وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكَيْر[1] بن عبد ياليل بن ناشب بن غِيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبدمَناة بن كِنانة حلفاء بني عَدِيّ بن كعب.

إسلام عمّار: بن ياسر، حليف بني مخزوم بن يقظة.

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر عنْسِيّ من مَذْحِج.

إسلام صُهَيب: **قال ابن إسحاق**: صُهيب بن سنان، أحد النَّمِر بن قاسط، حليف بني تَيْم[2] بن مُرّة[3].

نَسب صُهَيب: **قال ابن هشام**: النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نزار، ويقال: أفصَى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسَد، ويقال: صُهَيب: مولى عبدالله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم.

ويقال: إنه روميّ[4]. فقال بعض من ذكر أنه من النَّمِر بن قاسط، إنّما كان لَمسيراً في أرض الروم، فاشْتُرِي منهم. وجاء في الحديث عن النّبيّ - ﷺ -: «صُهَيب سابق الروم»[5].

---

(١) والمتّهم زوج البكير هي: عفراء بنت عبيد. (أنساب الأشراف ١/٢٤٣).

(٢) في السير والمغازي ١٤٤ «تميم» وهو خطأ.

(٣) الخبر في السير والمغازي ١٤٣، ١٤٤، نهاية الأرب ١٦/١٨٨ - ١٩١، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٣٨، ١٣٩، عيون الأثر ١/٩٤ - ٩٧.

(٤) قال بعض الرواة: كان اسم صُهيب عميرة بن سنان، وكناه رسول الله - ﷺ - قبل أن يولد له: أبا يحيى، وليست له كنية غيرها. وكان إسلامه مع عمّار في دار الأرقم. (أنساب الأشراف ١/١٨٠ و١٨١).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢٢٦ وإسناده ضعيف لإرساله.

مبادأة رسولِ الله ﷺ قومَه، وما كان منهم

أمْـرُ الله له ﷺ بمبـادأة قومـه: قـال ابن إسحـاق: ثم دخـل النـاس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنسـاء، حتى فشا ذِكْـر الإسلام بمكـة، وتحدّث به. ثم إنّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله - ﷺ - أن يصدع بما جاءه منه، وأنْ يبادىء الناسَ بأمره، وأن يدعوَ إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله - ﷺ - أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه؛ ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَـرُ[1]، وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْـرِكِينَ﴾[2]. وقال تعـالى: ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِيـرَتَـكَ ٱلْأَقْـرَبِينَ. واخْفِضْ جَنَـاحَــكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَـكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾[3].

معنى «اصـدع بما تؤمـر»: قـال ابن هشـام: اصـدع: افـرقْ بين الحق

---

(١) المعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنّه لما عدّى الفِعْـل إلى الهاء حَسُن حـذْفها ههنـا أحسن من ذكرها؛ لأنّ ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذي، وقولهم: (مـا) مع الفعـل بتأويـل المصدر، راجع إلى معنى الذي إذا تأمّلتـه، وذلك أنّ (الـذي) تصلح في كل مـوضع تصلح فيه (ما) المصدرية نحو قول الشاعر:

عســى الأيـام أن يـرجعو ... ن يــومـاً كـالـذي كـانــوا

(الروض الأنف ج ٢ ص ٦).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤ - ٢١٦.

والباطل. قال أبو ذُؤَيب الهذْلي، واسمه خُوَيْلد بن خالـد، يصف أتن[1] وحش وفحلها:

وكـأنّـهُـنّ رِبـابـةٌ وكـأنّـه يَسَـرٌ يُفيض على القِداح ويَصْدَعُ[2]

أي يفـرّق على القِداح ويبيّن أنصباءها. وهـذا البيت في قصيـدة لـه. وقال رؤبة بن العجّاج:

أنـت الحـليمُ والأمـيـرُ المُـنـتـقـم تَـصْـدَعُ بـالحـقّ وتنـفي مـن ظَلَمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له.

خروج الرسـول ﷺ بأصحـابه للصـلاة في الشِّعْب: قال ابن إسحـاق: وكـان أصحـاب رسـول الله ﷺ إذا صلّوا، ذهبـوا في الشِّعـاب، فـاستخفـوا بصـلاتهم من قومهم، فبينـا سعد بن أبي وقّـاص في نفرٍ من أصحـاب رسـول الله - ﷺ - في شِعْب من شعاب مكة، إذ ظهـر عليهم نفر من المشـركين وهم يصلّون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقّـاص يومئـذٍ رجلاً من المشـركين بلحْي بعيـر[3] فشجّـه، فكـان أوّل دم هُرِيق في الإسلام[4].

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له: قال ابن إسحاق: فلما بـادى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعـد منه قـومه، ولم يـردّوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابَها؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خِلافه وعداوته، إلاّ من عصم الله تعالى منهم بـالإسلام، وهم قليـل

---

(١) الأتن مفردها أتان وهي أنثى الحمَر.

(٢) الـرِبابـة بكسر الـراء: جلدة تلف فيها قـداح الميسر، واليَسَـر: الـذي يـدخـل في الميسـر. والقِداح مفردها قِدْح وهو السهم.

(٣) لحي البعير: العظم الذي على فخذِهِ.

(٤) السيـر والمغازي ١٤٧، تـاريخ الـطبري ٣١٨/٢، تـاريـخ الإسـلام ١٤٧، ١٤٨، أنسـاب الأشراف ١٩٦/١، الكامل في التاريخ ٦٠/٢، نهاية الأرب ١٩٥/١٦.

مستخْفـون، وحَدَب(١) على رسـول الله ـ ﷺ ـ عمّه أبـو طـالب، ومنعـه وقـام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مُظْهِـراً لأمره، لا يـردّه عنه شيء.
فلما رأت قريش، أنّ رسـول الله ـ ﷺ لا يعتبهم(٢) من شيء أنكروه عليـه، من فراقهم وعَيْب آلهتهم، ورأوا أنّ عمّه أبا طالب قد حَدَب عليه، وقام دونـه فلم يُسْلِمْه لهم، مشى رجال من أشـراف قريش إلى أبي طـالب، عُتبة وشَيبـة ابنا ربيعـة بن عبـد شمس بن عبـدمَنـاف بن قُصَيّ بن كِـلاب بن مُـرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وأبو سُفيـان بن حرب بن أميّـة بن عبد شمس بن عبـدمَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر.

قال ابن هشام: واسم أبي سُفْيان صَخْر.

قـال ابن إسحـاق: وأبـو البَخْتَـرِيّ، واسمـه العـاص بن هشـام بن الحارث بن أسد بن عبدالعُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ.

قال ابن هشام: أبو البَخْتَرِيّ: العاص بن هاشم(٣).

قـال ابن إسحـاق: والأسـود بن المـطّلب بن أسـد بنّ عبـدالعُـزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب ين لُؤَيّ. وأبـو جهل ـ واسمـه عمرو، وكـان يُكَنّى أبـا الحَكَم ـ بن هشـام بن المغيـرة بن عبـدالله بن عمـر بن مخـزوم بن يقـظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ. والـوليـد بن المغيـرة بن عبـدالله بن عمـر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ. ونُبَيْه ومنبّه ابنا الحَجّاج بن عامر بن

---

(١) أصـل الحدَب: انحنـاء في الظَهَرْ، ثـم استُعير فيمن عـطف على غيره، ورق لـه كما قـال النابغة:
حـدبـت عـليّ بـطون ضـبّـة كـلُهـا إنْ ظـالـمـاً فـيـهـم، وإنْ مـظلومـا
(الروض ج ٢، ص ٧).
(٢) لا يعتبهم: لا يرضيهم.
(٣) الذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقـول مُصْعب، وهكذا وجـدت في حاشيـة كتاب الشيـخ أبي بحر، سفيـان بن العـاصي. (انظر الروض ج ٢ ص ١٠).

حُذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤَيّ. والعاص بن وائل.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لُؤَيّ.

وفد قريش يعاتب أبا طالب: قال ابن إسحاق: أو من مشى منهم. فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا؛ فإمّا أن تُكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكْفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه[1].

الرسول ﷺ يستمرّ في دعوته: ومضى رسول الله - ﷺ - على ما هو عليه يُظْهِر دين الله، ويدعو إليه، ثم شرى[2] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[3]، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسولِ الله - ﷺ - بينها، فتذامروا فيه، وحضّ بعضهم بعضاً عليه[4].

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرّة ثانية: ثم إنّهم مشوا إلى أبي طالب مرّةً أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنّا، وإنّا واللهِ لا نصبر على هذا مِن شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيْب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا له - ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول

---

(١) السير والمغازي ١٤٨، تاريخ الطبري ٢/٣٢٣، أنساب الأشراف ١/١١٧، ١١٨، الكامل في التاريخ ٢/٦٣، نهاية الأرب ١٦/١٩٩، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٤٨.

(٢) شرى: اشتدّ.

(٣) تضاغنوا: تعادوا.

(٤) تذامروا: حضّ بعضهم بعضاً، والعطف للتفسير.

الله - ﷺ - لهم ولا خِذلانه[1].

ما دار بين الرسول ﷺ وأبي طالب: قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أنّ قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله - ﷺ -، فقال له: يا ابن أخي، إنّ قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له فابقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر مالا أطيق؛ قال: فظن رسول الله - ﷺ - أنه قد بدا لعمّه فيه بداء[2] أنه خاذله ومُسلِمه، وأنه قد ضعف عن نُصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «يا عمّ، واللهِ لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري[3] على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته». قال: ثم استعبر رسول الله - ﷺ - ، فبكى ثم قام؛ فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبِلْ يا بن أخي؛ قال: فأقبل عليه رسول الله - ﷺ -، فقال؛ اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببتَ، فواللهِ لا أُسْلِمك لشيءٍ أبداً[4].

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب: قال ابن إسحاق: ثم إنّ قريشاً حين عرفوا أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - ﷺ - وإسلامَه،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٢٣، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/١٩٩، ٢٠٠، تاريخ الإسلام ١٤٨.

(٢) أي ظهر له رأي، فسمّى الرأي بداء، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي، والمصدر البدء والبدوّ، والاسم، البداء، لا يقال في المصدر، بدا له بدو، كما لا يقال ظهر لهَ ظهور بالرفع، لأنّ الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم، نحو البداء وأنشد أبو علي:

لعلّك والموعود حقّ وفاؤه ... بدا لك في تلك القلوص بداء

(الروض الأنف ١/٨).

(٣) خصّ الشمس باليمين لأنّها الآية المبصِرة، وخصّ القمرَ بالشمال لأنها الآية الممحُوَّة. (الروض الأنف ١/٢/٨).

(٤) السير والمغازي ١٥٤، تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/٢٠٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٤٩، ١٥٠، عيون الأثر ١/١٠٠، سيرة ابن كثير ١/٤٧٤، ٤٧٥، عيون التواريخ ١/٥٤، ٥٥، سبل الهدى ٢/٤٣٧.

وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له ـ فيما بلغني ـ يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد، أنهد[1] فتىً في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتّخذْهُ ولداً فهو لك، وأسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا، الذي قد خالف دِينك ودِينَ آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم، فنقتله، فإنّما هو رجل برجل؛ فقال: واللهِ لبئس ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا واللهِ مالا يكون أبداً. قال: فقال المطعِم بن عَدِيّ بن نوفل بن عبدمَناف بن قُصَيّ: واللهِ يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمُطْعِم: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرةَ القوم عليّ، فاصنع مابدا لك، أو كما قال. فحقب الأمر[2]، وحميت الحرب، وتنابذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً[3].

شعر أبي طالب في المطعِم ومَن خذله: فقال أبو طالب عند ذلك، يعرِّض بالمطعِم بن عَدِيّ، ويعمّ من خذله من بني عبدمَناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم:

ألا قُلْ لعمرو والوليد ومُطعِم ... ألا ليتَ حظّي من حياطتكم بَكْرُ[4]
من الخُور حَبْحاب[5] كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشّ على الساقين من بَوْله قَطْرُ
تخلّف خلْف الوِرْد ليس بلاحِق ... إذا ما عَلا الفَيْفاءَ قيل له وَبْر[6]

---

(١) أنهد: أشدّ.
(٢) حقب: اشتدّ، وزاد. (الروض الأنف ٢/٩)
(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، ٣٢٧، الكامل في التاريخ ٢/٦٤، ٦٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠١، عيون الأثر ١/١٠٠، البداية والنهاية ٣/٤٨، تاريخ الإسلام ١٥٢، ١٥٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٢، سيرة ابن كثير ١/٤٧٥.
(٤) يريد أن يقول إنّ بَكراً من الإبل أنفع لي منكم، فليته لي بدلاً من حياطتكم. وذلك كما قال طُرفة في عمرو بن هند:
فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثاً حول قُبّتنا تخور
(٥) الخور: الضعاف. والحبحاب: الصغير.
(٦) الوبر: دُويبة صغيرة تشبه الهرّة شبّهه بها لصِغَره.

أرى أَخَوَيْنا من أبينا وأُمّنا إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمرُ
بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما كما جُرجمت من رأس ذي عَلَقَ صخر[1]
أَخُصّ خصوصاً عبدَ شمس ونَوفلاً هما نَبَذَانا مثل ما يُنْبَذُ الجمر
هما أغمَزَا للقوم في أخوَيْهما فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْر[2]
هما أشْركا في المجد مَن لا أبا له من النّاس إلّا أن يُرَس[3] له ذِكْر
وتَيْم ومخزوم وزُهرة منهُمُ وكانوا لنا مولًى إذا بُغي النصر
فوالله لا تنفكّ منّا عداوةٌ ولا منهمُ ما كان من نَسْلِنا شَفْر[4]
فقد سَفُهَتْ أحلامُهُم وعقولُهم وكانوا كَجَفْر بئس ما صنعت جَفْر[5]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قريش تُظْهر عداوتها للمسلمين: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ قريشاً تذامروا بينهم على مَن في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذّبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسولَه - ﷺ - منهم بعمّه أبي طالب، وقد قام أبو طالب، حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطّلب، فدعاهم إلى ما هو عليه، من منْع رسول الله - ﷺ -، والقيام دونه؛ فاجتمعوا إليه، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلّا ما كان من أبي لهب، عدوّ الله الملعون[6].

شِعْر أبي طالب في مدح قومه لنُصْرته: فلما رأى أبو طالب من قومه ماسرَّهُ في جهدهم معه، وحَدَبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم،

---

(١) تجرجم: انحدر، وذو علق: جبل في ديار بني أسد.
(٢) أغمز: استضعف. والصِفْر: الخالي.
(٣) يرس: يذكر.
(٤) شفر: أحد.
(٥) في تاريخ الإسلام ١٥٣، أربعة أبيات فقط.
(٦) تاريخ الطبري ٣٢٧/٢، ٣٢٨، الكامل في التاريخ ٦٥/٢، نهاية الأرب ٢١٣/٦، عيون الأثر ١٠٠/١.

ويذكر فضل رسول الله - ﷺ - فيهم، ومكانه منهم، ليشتدّ لهم رأيهم، وليحدبوا معه على أمره، فقال:

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمفْخَر ... فعبدُ مَناف سِرها وصَميمها[1]
وإن حُصّلت أشرافُ عبد مَنافها ... ففي هاشم أشرافُها وقديمُها
وإنْ فَخَرَتْ يوماً فإنَّ محمداً ... هو المُصْطَفى مَنْ سرّها وكريمُها
تداعَتْ قريشٌ غثُّها وسَمِينُها ... علينا فلم تَظْفَر وطاشتْ حُلُومُها
وكنّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْر الخُدود نُقيمها[2]
ونحْمي حِماها كلَّ يومٍ كريهة ... ونَضْرِبُ عن أحجارها من يَرُومها
بنا انْتَعَش العُود الذَّواء وإنَّما ... بأكنافنا تندى وتَنْمَى أرُومُها[3]

الوليد بن المغيرة: كَيْده للرسول، وموقفه من القرآن

ثم إنّ الوليد بن المُغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمِعُوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذّب بعضُكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقِم لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزمزمة[4] الكاهن ولا سَجَعه؛ قالوا: فنقول: مجنون؛ قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تَخالجه، ولا

---

(١) سرها: وسطها، وسرّ الوادي وسرارته وسطه وذلك مدح في موضعين في وصف الشهود وفي النَسَب. (الروض الأنف ١/١١)
(٢) ثنوا: عطفوا. وصعّر خدَّه: أماله إلى جهة مثل فِعْل المتكبّر.
(٣) الذّواء: الذي جفّت رطوبته، الأروم: مفرده أرومة وهي الأصل. والأبيات في: عيون التواريخ ١/٥٥ - ٥٧.
(٤) زمزمة الكاهن: كلامه الخفيّ.

وَسْوَسَته؛ قالوا: فنقول: شاعـر؛ قال: مـا هو بشـاعر، لقـد عرفنـا الشِعْر كلّه رجزَه وهزَجه وقريضـه ومقبوضـه ومبسوطـه، فما هـو بالشعـر؛ قالـوا: فنقول: ساحر؛ قال: ما هو بساحر، لقد رأينـا السُّحَّار وسحـرهم، فما هـو بنفثهم ولا عقْدهم[1]؛ قالوا: فما نقـول يا أبـا عبدشمس؟ قـال: والله إنّ لقولـه لحلاوة، وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة ـ قال ابن هشام: ويقال لغَدَق[2] ـ ومـا أنتم بقـائلين من هذا شيئـاً إلا عُرف أنـه باطـل، وإنّ أقرب القـول فيه لأن تقـولـوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرتـه. فتفرّقـوا عنه بـذلك، فجعلوا يجلسـون بسُبل الناس حين قـدِموا المـوسم، لا يمرّ بهم أحـد إلاّ حذّروه إيّـاه، وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيـرة وفي ذلك من قـوله: **﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيـداً، وَجَعَلْتُ لَهُ مَـالاً مَمْـدُوداً، وَبَنِينَ شُهُـوداً، وَمَهَّـدْتُ لَـهُ تَمْهِيداً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً﴾**[3]: أي خصيماً.

قال ابن هشام: عنيد: معاند مخالف. قال رُؤبة بن العجّاج:

ونحن ضرّابون رأس العُنَّدِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[4].

---

(١) العقد والنفث: هو أن يعقد الساحر خيطاً وينفث فيه بفمه.

(٢) قول الوليد: إنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجنـاة. استعارة من النخلة التي ثبت أصلهـا، وقوي وطـاب فرْعهـا إذا جُني، والنخلة هي: العَذق بفتـح العين، ورواية ابن إسحـاق أفصـح من رواية ابن هشام، لأنهـا استعارة تـامّة يشبـه آخر الكـلام أو له، وروايـة ابن هشام: إنّ أصله لغَدَق، وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غيدق الرجل إذا كثر بصاقه. وأحد أعمام النبيّ ـ ﷺ ـ كان يسمّى: الغيداق لكثـرة عطائـه ـ والغيدق أيضـاً ولد الضبّ، هـو أكبر من الحسـل قالـه قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له. (الروض الأنف ١/٢١)

(٣) سورة المدّثّر، الآيات: ١١ ـ ١٦.

(٤) سورة المدّثّر، الآيات: ١٧ ـ ٢٤.

قال ابن هشام: بَسَر: كره وجهه. قال العجّاج:

مُضبِّر اللحيين بَسْراً مِنْهَساً[1]

يصف كراهية وجهه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[2].

ردّ القرآن على صحْب الوليد: قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في رسوله ﷺ وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنّفون القول في رسول الله ـ ﷺ ـ، وفيما جاء به من الله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

قال ابن هشام: واحدة العِضين: عِضة، يقول: عضّوه: فرّقوه. قال رؤبة بن العجّاج:

وليس دين الله بالمعضيِّ

وهذا البيت في أرجوزةٍ له.

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النّفر يقولون ذلك في رسول الله ـ ﷺ ـ لمن لقُوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ـ ﷺ ـ؛ فانتشر ذِكره في بلاد العرب كلّها[4].

شِعر أبي طالب في معاداة خصومه: فلما خشي أبو طالب دَهْماء العرب

---

(١) المضبر: الشديد. واللحيان عظْمان في الوجه. والنهس: أخذ اللحم بمقدّم الأسنان.

(٢) سورة المدثّر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩١ ـ ٩٣.

(٤) أنظر: السير والمغازي ١٥٠ ـ ١٥٢، دلائل النبوّة للبيهقي ٤٤٨/١، نهاية الأرب ٢٠٣/١٦ ـ ٢٠٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٥٤ ـ ١٥٧، سيرة ابن كثير ٤٩٨/١ ـ ٥٠٠، عيون الأثر ١٠١/١.

أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها، وتودّد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلم رسولَ الله ﷺ، ولا تاركَه لشيءٍ أبداً حتى يهلك دونه، فقال:

ولمّا رأيت القوم لا وُدّ فيهم[1] ... وقد قطعوا كُلَّ العُرَى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوّ المُزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً ... يعضّون[2] غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرتْ لهم نفسي بسمراءَ[3] سمْحة ... وأبيض عضْب من تراث المقاول[4]
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل[5]
قياماً معاً مستقبلين رتاجَه[6] ... لدى حيث يقضي حَلفه كل نافل[7]
وحيث يَنيخ الأشعرون رِكابهم ... بمُفْضَى السُّيُول من إسافَ ونائل[8]
مُوَسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتِها ... مخيَّسة بين السديس وبازل[9]

---

(١) في السير والمغازي «بينهم».
(٢) في السير والمغازي ١٥٦ «يعطون» وما أثبتنا، هو الصحيح.
(٣) في السير والمغازي «بصفراء».
(٤) أراد بالمقاول: آباءه، شبّههم بالملوك، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هِرَقْل: هل كان في آبائه من ملك؟ فقال: لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هِبات الملوك لأبيه، فقد وهب ابن ذي يزن لعبدالمطّلب هبات جِزْلةً حينَ وَفَدَ عليه مع قريش، يهنّئونه بظَفَرَه بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله - ﷺ - بعامين (الروض ٢/ ٢٢)
وقد ورد هذا الشطر في السير والمغازي:
وأبيض غضب من سيوف المقاول
(٥) الوصائل: ثياب مخططة حمراء، كان يُكسَى بها البيت الحرام.
(٦) ورد في السير والمغازي: عكوفاً معاً مستقبلين وتاره.
(٧) النافل: المتبرّىء.
(٨) حتى هنا ينتهي الموجود في السير والمغازي ١٥٥، ١٥٦.
(٩) موسمة: معلمة، ويقال للوسْم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة، وللذي في الفخذ: الخياط، وفي الكشْح: الكشاح، والذي في قصرة العنق: العلاط، والقصرات: أصول الأعناق، والمخيّسة: المذلّلة، والسديس: الذي دخل في السنة السادسة. والبازل: الذي بلغ التاسعة فخرج نابه. (الروض الأنف ١/ ٢٢).

تـرى الـوَدْع فيهـا والـرُّخَـام وزينـةً ... بـأعنـاقهـا معقـودةً كـالعثـاكـل[1]
أعـوذ بـربِّ النَّـاس من كـل طـاعنٍ ... عـلينـا بـسـوء أو مُـلحٍّ بـبـاطـل
ومن كـاشـحٍ يسعى لنـا بمَعيبـةٍ ... ومن مُلْحِق في الـدِّين ما لم نُحـاول
وثـورٍ ومَنْ أرسَى ثَـبِيـراً مكـانـه ... وراقٍ ليَـرْقَى فـي حِـراءَ ونـازل[2]
وبالبيت، حقّ البيت، من بطن مكة ... وبـالله إنّ الله لـيس بـغـافِـل
وبـالحجـر المُسْـوَدّ إذ يَمْسحـونـه ... إذا اكتنفـوه[3] بـالضُّحى والأصـائـل
ومَوْطِيءِ إبراهيمَ في الصَّخْر رَطْبة[4] ... على قَـدَمَيْـه حـافياً غيـر نـاعـل
وأشـواطٍ بين المَـرْوَتَيْن إلى الصَّفـا ... ومـا فيهمـا من صُـورة وتَمَـاثُـل[5]
ومن حـجِّ بيتَ الله من كـل راكب ... ومن كـلّ ذي نَـذْر ومن كـل راجـل
وبـالمَشْعَـر الأقصى إذا عَمـدوا لـه ... إلالٌ إلى مُفْضَى الشِّـراج القوابـل[6]
وَتَـوْقـافِهم فـوق الجبـال عَشِيَّـةً ... يُقيمـون بالأيـدي صـدورَ الـرواحـل
وليلةِ جَمْـعٍ[7] والمنـازل من مِنَى ... وهـل فـوقهـا من حُـرْمَـة ومَنـازل
وجَمْـع إذا مـا المُقْـرَبـات أجـزْنَـه ... سِراعاً كمـا يخْرُجْنَ من وَقْـع وابِل[8]
وبـالجمرة الكُبـرى إذا صَمَـدوا لهـا ... يؤمُّـونَ قَـذْفـاً رأسَهـا بـالجنـادل

---

(١) الودْع: خرزات يتحلّى بها الصبيان. والعثاكل: الأغصان.
(٢) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.
(٣) اكتنفوه: أحاطوا به.
(٤) موطيء إبراهيم في الصخْر رَطْبة. يعني موضع قَـدَميه حين غسّلت كنّتـه (زوج ابنه) رأسـه؛ وهو راكب، فاعتمد بقدمـه على الصَّخرة حين أمـال رأسه ليغسـل، وكانت سـارة قد أخـذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع تـركته بمكـة، فحلف لها أنـه لا ينزل عن دابّتـه، ولا يـزيد على السـلام، واستطلاع الحـال غيرة من سـارة عليـه من هـاجـر، فحين اعتمـد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمـه آية. قـال الله سبحانـه: ﴿فِيهِ آيَـاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَـامُ إِبْرَاهِيمَ﴾. (الروض الأنف ٢/ ٢٥).
(٥) الأشـواط: جمع شـوط، الجرْي من البـداية إلى الغـايـة مـرّة واحـدة، والمـروتين: الصّفـا والمَرْوة، فهو من باب التغليب كالأبوين. والتماثل أسقط ياءها ضرورة.
(٦) المَشْعَر: عرفة. الإل: جبل بعرفات. والشـراج: جمع شـرج وهو مسيـل الماء. والقـوابل: المقابلة.
(٧) جمع: المزدلفة.
(٨) المقربات: الخيل الكريمة التي تقرب مرابطها من البيوت. الوابل: المطر الشديد.

وكِنْـدة إذ هُم بـالحِصـاب[1] عشيَّـة | تُجيـز بهم حُجَّاج بَكْـر بن وائـل
حليفـان شـدّا عَقْـدَ مـا احتَلفَـا لـه | ورَدًا عليـه عـاطفـات الـوسـائـل
وحَـطْمِهِمُ سُمْـرَ الـرمـاح وَسَـرْحُـهُ | وشِبْـرِقَـه وخْـدَ النّعـام الجَـوافِـل[2]
فهـل بعـد هـذا من مَعـاذٍ لعـائـذٍ | وهـل من مُعيـذ يتّـقي الله عـاذل
يُـطاع بنـا أمـرُ العُـدى وُدّ أنّـنـا | تُسـدُّ بنـا أبـوابُ تُـرْك وكـابُـل[3]
كـذبتم وبيـتِ الله نتـرك مكّـةً | ونـطعن إلاّ أمـرُكم في بَـلابِـل[4]
كـذبتم وبيتِ الله نُبْـزَى محمـداً | ولمـا نُـطاعن دونَـه ونـنـاضـل[5]
ونُسلمـه حتـى نُصَـرَّع حـولَـه | ونَـذْهَـل عن أبنـائنـا والحَـلائـل
وينهض قـومٌ في الحـديـد إليكُمُ | نهوضَ الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل[6]
وحتى تـرى ذا الضِّغن يـركب رَدْعـه | من الطَّعْنِ فِعْل الأنْكَب المُتَحامِل[7]
وإنّـا ـ لعمـر الله ـ إنْ جـدَّ مـا أرى | لَـتَلْتَبِسَـنْ أسيـافُـنـا بـالأمـاثـل
بكفَّيْ فَتى مثـل الشّهـاب سَمَيْـدع[8] | كـأخِي ثقةٍ حـامي الحقيقـة بـاسـل
شُهـوراً وأيـامـاً وحـولاً مُجَـرَّمـاً[9] | علينـا وتـأتي حِجَّـةٌ بعـد قـابـل
ومـا تـركُ قـومٍ، لا أبـالـك، سيّـداً | يَحُـوط الذِّمار غير ذَرْب مُـواكِـل[10]
وأبيضُ يُسْتَسْقى الغَمـام بـوجْهـه | ثِمـال اليتـامى[11] عِصْمـة لـلأرامـل
يلوذ بـه الهُـلّاف[12] من آل هـاشم | فهم عنـده في رحمـةٍ وفـواضـل

(١) الحصاب: مكان رمي الجمار.
(٢) الحطم: الكسر. والسمر: من شجر الطلح. والسرح: الشجر العظام، والشبرق: نبات. والوخد: السريع. والجوافل: المسرعة. وفي رواية «سُمْر الصفاح».
(٣) ترك وكابل: جيلان من الناس.
(٤) البلابل: وساوس الهموم.
(٥) نُبْزى: نسلب ونغلب.
(٦) الروايا: الأبل تحمل الماء. والصلاصل: المزادات يسمع لها صلصلة.
(٧) الضغن: العداوة. ويركب ردعه: يخرّ على وجهه صريعاً، والأنكب: المائل.
(٨) السميدع: السيد من الرجال.
(٩) المجرَّم: الكامل.
(١٠) الذمار: الحمى. والذرِب: الفاحش المنطق. المواكل: من يَكِل أمره إلى غيره.
(١١) ثمال اليتامى: من يتولى أمرهم ويقوم بهم.
(١٢) وفي رواية «الهَلاّك».

لَعمري لقد أجرى أسيدٌ وبِكْرُهُ إلى بُغضنا وجزّآنا لآكل
وعثمانُ لم يَرْبَع[1] علينا وقُنْفُذٌ ولكن أطاعا أمرَ تلك القبائل
أطاعا أُبَيًّا وابنَ عبد يغوثهم ولم يَرْقُبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لَقِينا من سُبيْع ونَوْفَل وكُلٌّ تَوَلّى مُعْرِضاً لم يُجامِل
فإن يُلْقيا أو يُمكنِ الله منهما نَكِلْ لهما صاعاً بصاعِ المُكايل
وذاك أبو عمرو أبى غيرَ بُغْضنا ليُظعَنا في أهل شاءٍ وجامل[2]
يُناجي بنا في كلّ مُمْسىً ومُصْبَح فناج أبا عَمروٍ بنا ثم خاتل
ويؤلي[3] لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا بَلَى قد نراهُ جَهْرَةً غير حائل
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة من الأرض بين أخشُب فمجادل[4]
وسائلْ أبا الوليد ماذا حَبَوْتَنا بسَعْيِكَ فينا مُعْرِضاً كالمُخاتل
وكنتَ امرءاً ممن يُعاش برأيه ورحمته فينا ولستُ بجاهلِ
فعُتبةُ لا تسمعْ بنا قول كاشح حَسودٍ كذوبٍ مُبْغضٍ ذي دَغاول[5]
ومرّ أبو سفيانَ عنّي مُعْرِضاً كما مرّ قَيْلٌ من عِظام المَقاول
يفرُّ إلى نَجْدٍ وَبَرْدِ مياهه ويزعمُ أنّي لستُ عنكم بغافل
ويُخْبِرنا فعلَ المُناصِح أنّهُ شفيقٌ ويُخفي عارمات الدواخل[6]
أَمُطْعِمُ لم أخْذُلْك في يوم نجدةٍ ولا مُعْظِم عند الأمورِ الجلائل
ولا يوم خصْم إذا أتَوْك ألِدَّة أُولِي جَدَلٍ من الخصوم المَساجِل[7]

---

(١) لم يربع: لم يقم.
(٢) الجامل: جماعة الجمال.
(٣) يؤلي: يقسم.
(٤) التلعة: ما شَرُف من الأرض. والأخشب: أراد الأخاشب وهي جبال مكة، وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل، مع أنّ الاسم قد يُجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك، والمجادل: القصور والحصون في رؤوس الجبال. كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام والعراق، والفاء في مجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو كقوله «بين الدَّخول فَحَوْمَلِ».
(٥) الدغاول: الغوائل.
(٦) العارمات: الشديدات. والدواخل: التمائم.
(٧) المساجل: من يعارض في الخصومة.

أَمُـطْعِمُ إنَّ القـومَ سـامـوك خُـطَّة وإنّي متى أوكَـلْ فلستُ بـوائـل[1]
جـزى الله عنّا عبـد شمس ونـوفـلاً عقـوبـة شـرٍّ عـاجـلاً غيـرَ آجِـل
بميـزان قِسْط لا يُخِسّ[2] شَعِيـرةً لـه شـاهـدٌ من نفسه غيـر عـائـل[3]
لقـد سفُهَتْ أحلامُ قـوم تبدّلـوا بني خَلفٍ قيْضـاً بنـا والغَيـاطـل[4]
ونحن الصَّمِيمُ مـن ذؤابـة هـاشمٍ وآل قُصيٍّ في الخُـطوبِ الأوائـل
وسهمٌ ومخـزومٌ تمـالَـوْا وألَّبُـوا علينا العِدا من كـلِّ طِمْل[5] وخـامل
فعبـد منـاف أنتمُ خيـرُ قـومكم فـلا تُشركـوا في أمركم كـلَّ واغل[6]
لَعَمْـري لـقـد وَهَنْتُمُ وَعَـجَـزْتُم وجئتم بـأمرٍ مُخطيء للمَفـاصِل[7]
وكـنـتـم حـديثـاً حَـطْبَ قِـدْرٍ وأنـتـمُ الآن حَـطابُ أقـدُرٍ ومَـراجِـل
ليهْنيء بني عبـد مَنـاف عُقُـوقُنـا وخُـذْلاننا وتـرْكُنا في المَعـاقـل
فـإنْ نـكُ قـومـاً نَتَّئِر مـا صنعتُم وتَحتلبـوهـا لِقْحـة غيـر بـاهِـل[8]
وسـائط كـانت في لُؤَيّ بن غـالبٍ نفـاهم إلينـا كُـلُّ صَقْـر حُـلاحِـل[9]
ورهط نُفَيْـل شَرُّ من وطِيء الحَصَى وألأم حـافٍ مـن مَـعَـدّ ونـاعِـل
فـأبْلِغْ قُصَيّـاً أنْ سيُنْشَـر أمـرُنـا وبَشِّـر قُصَيّا بعـدَنـا بـالتّخـاذل
ولـو طَـرقت ليـلاً قُصَيّاً عـظيمـةٌ إذا مـا لجـأنـا دونهم في المـداخـل

---

(١) سامه خطة: كلّفه بها. والوائل: الناجي.
(٢) يخسّ: ينقض ويفسد العهد.
(٣) العائل: الحائر.
(٤) القيض: العوض. والغياطل: بنو سهم، لأنّ أمّهم الغيطلة، وقيل: إنّ بني سهم سُمُّوا بالغياطل، لأنّ رجلاً منهم قتل جانّاً، طاف بالبيت سبعاً، ثم خرج من المسجد فقتله، فأظلمت مكة، حتى فزعوا من شدّة الظلْمة التي أصابتهم. والغيطلة: الظلمة الشديدة، والغيطلة أيضاً: الشجر الملتفّ، والغيطلة: اختلاط الأصوات، والغيطلة: البقرة الوحشية، والغيطلة: غَلَبَة النُعاس.
(٥) الطمل: الفاحش.
(٦) الواغل: الهاجم على القوم في شرابهم ولم يدع.
(٧) مخطيء للمفاصل: بعيد عن الصواب.
(٨) نتّئر: نأخذ بثأرنا. واللِقْحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة المباحة للحلْب.
(٩) الحُلاحِل: السيد الشجاع.

ولـو صدقـوا ضَـرْبـاً خـلال بيُـوتهم لكنَّـا أُسىً عنـد النسـاء المطافـل[1]
فكــلُّ صــديقٍ وابـنِ أُختٍ نعــدُّه لَعَمْـري وَجَـدنـا غِبَّـه غيـرَ طـائــل
سـوى أنَّ رهـطاً من كِـلاب بن مُـرَّة بـــراءٌ إلـينـــا مــن معــقَّــة خــاذِل[2]
وهَـنَّــا لهـم حتـى تبـدَّد جـمعُـهُـمُ ويَحْسُــرَ عنَّـا كــلُّ بــاغٍ وجــاهِـل
وكــان لنـا حــوض السِّقـايــة فيهم ونحن الكُدى من غالب والكواهل[3]
شـبــاب من الــمـطيِّـبين وهــاشــم كبيض السيـوف بين أيدي الصيـاقل
فمـا أدركـوا ذَحـلاً ولا سفكـوا دمـا ولا حــالفــوا إلاّ شِــرار القبـــائـــل
بضـربٍ تَـرَى الفِتْيَــانَ فيـه كـأنّهم ضَـوَاري أُسود فـوق لحم خَـرادِل[4]
بني أمــةٍ مـحبــوبــةٍ هِـنْــدِكيّــة[5] بني جُـمـح عُبيـد قيس بن عــاقـل
ولـكـنّــنـــا نـســلٌ كــرامٌ لــســادةٍ بهم نُعِيَ الأقــوام عنـد البَــواطــل
ونعم ابن أختِ القـوم غيـرَ مكـذَّب زهيـرٌ حُسـامــاً مفـرداً من حمــائــل
أشَمُّ من الشُّمّ البَهَــاليــل يَنـتمـي إلى حسبٍ في حَوْمة المجْد فاضـل
لَعَمْـري لقـد كُلِفْتُ وجْـداً بِـأحمـد وإخــوتـه دأبَ المُحِبّ المُــوَاصــل
فـلا زال في الـدنيـا جمـالاً لأهلهـا وزينــا لمن والاه ربُّ المـشــاكــل
فمن مِـثْله فـي النّــاس أيُّ مـؤمِّــل إذا قـاسـه الحُكّام عنـد التَّفــاضــل
حليمٌ رشيــد عـــادل غيــرُ طــائش يُـوالي إلٰهــاً ليس عنــه بـغــافـل

---

(١) الأُسى: جمع أسوة، والمطافل: ذوات الأطفال.

(٢) يقال قوم براء بالفتح: وبراء بالكسر، فأما بِراء بالكسر فجمع بريء، مثل كـريم وكرام، وأمـا براء فمصدر، مثل سَلام والهمزة فيه وفي الذي قبله لام الفعل، ويقـال: رجل بـراء ورجلان براء، وإذا كسرتها أوضممتهالم يجز إلاّ في الجمع، وأما بُراء بضمّ الباء: فالأصل فيه بُـرَءآء مثل كرماء، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين، فحذفوا الأولى، وكان وزنه فعلاء، فلما حذفوا التي هي لام للفعـل صار وزنـه فعاء، وانصـرف لأنه أشبـه فعـالاً، والنسب إليـه إذا سُمِّيت بـه، بـراوي، والنسب الى الآخـرين بـرائي وبـرائي، وزعم بعضهم إلى أنّ بـراء بضمّ أولـه من الجمع الذي جاء على فعالى، ومثل فرير وفرار وعرن وعران. (الروض الأنف ١/٢٨)

(٣) الكُدَى: جمع كدية، وهي الصخرة العظيمة. والكواهل: جميع كاهل، وهو سند القوم.

(٤) الخرادل: القِطَع العظيمة.

(٥) الهندكيّ: منسوب الى الهند.

فـوالله لـولا أن أجيء بسُـبَّـةٍ[1] تُجَـرُّ على أشياخنـا في المحـافـل
لكنّـا اتـبعْـنـاه على كـلّ حـالـةٍ من الـدَّهر جـدّاً غيـر قـول التهـازل
لقـد عَلمـوا أنّ ابنَنـا لا مُكـذَّبٌ لـدينا ولا يُعنَى بقـول الأبـاطـل
فـأصبح فينـا أحمـدُ في أرومَـة تُقصِّـر عنـه سَـوْرةُ المُتـطاول[2]
حَـدِبْتُ بنفسي دونـه وَحَمَيْتُـهُ ودافعْتُ عنه بـالـذُّرا والكلاكـل[3]
فـأيّـده ربُّ الـعِبـاد بـنـصْـره وأظهـر دينـاً حقُّـهُ غيـرُ بـاطـل
رجالٌ كِرامٌ غيـرُ مِيـلٍ[4] نَمـاهُمُ إلى الخَيـر آبـاءُ كِـرام المَحـاصـل
فـإنْ تـكُ كعبٌ من لُؤيٍّ صُقَيْبةً[5] فـلا بـدّ يـومـاً مَـرَّة مِن تَـزَايُـل[6]

قال ابن هشام: هذا ما صحّ لي من هذه القصيـدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويودّ لـو أنّ أبا طـالب حيّ ليرى ذلك: قال ابن هشام: وحدّثني من أثِق به، قـال: أقحط أهل المـدينة، فـأتـوا رسـولَ الله ﷺ، فشكـوا ذلـك إليـه، فصعِـد رسـول الله ﷺ المنبَـر فاستسقى[7]، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهـل الضّواحي[8] يشكـون منه الغرق؛ فقال رسول الله ﷺ: «الَّلهُمَّ حوالينا ولا علينا»[9]، فـانجاب السحـاب

---

(١) وفي رواية «بسُنَّة».
(٢) السورة: الشدة والبطش.
(٣) حدبت: عطفت. والذرا: جمع ذروة أعلى ظهر البعير، والكلاكل: عظام الصدور.
(٤) الميل: جمع أميل وهو الذي لا يحسن الركوب.
(٥) صُقيبة: قريبة.
(٦) أنظر سبعة أبيات فقط في السير والمغازي ١٥٦، وتسعة عشر بيتاً في تاريخ الإسلام ١٦٢، ١٦٣.
(٧) حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مرويّ من طُرُق كثيرة وبألفاظ مختلفة. (الروض ١/٢٨).
(٨) الضواحي: جمع ضاحية، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ولا مَنجاة من السيول. وقيل: ضاحية كل بلد خارجه. (الروض الأنف ١/٢٨).
(٩) وقوله عليه السلام، «اللَّهُم حوالينا، ولا علينا»، كقوله في حديثٍ آخر، «اللهمَّ منابت الشجر وبطون الأودية، وظهور الآكام»، فلم يقل، اللهم ارفعْه عنّا ـ هو من حسن الأدب في الدعاء، لأنها رحمة الله، ونعمته المطلوبة منه، فكيف يطلب منه رفع نعمته، وكشف=

عن المدينة، فصار حواليها كالإكليل؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرَّه»، فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردت قولَه:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه ... ثِمالُ[1] اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل

قال: أجل.

قال ابن هشام: وقوله «وشبرقه» عن غير ابن إسحاق.

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب: قال ابن إسحاق: والغياطل: من بني سهم بن عمرو بن هصيص، وأبو سفيان بن حرب بن أميّة. ومطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبدمَناف. وزُهير بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، أمّه عاتكة بنت عبدالمطّلب. قال ابن إسحاق: وأسيد، وبكره: عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميّة بن عبدشمس بن عبدمَناف بن قُصَيّ. وعثمان بن عُبيد الله، أخو طلحة بن عُبيد الله التيميّ. وقنفذ بن عُمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة. وأبو الوليد عُتبة بن ربيعة. وأبو الأخنس بن شَرِيق الثقفي، حليف بني زُهرة بن كِلاب.

قال ابن هشام: وإنّما سُمّي الأخنس. لأنّه خَنَس بالقوم يوم بدر، وإنّما اسمه أُبيّ، وهو من بني علاج، وهو علاج بن أبي سَلَمَة بن عوف بن عُقْبة. والأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبدمَناف بن زُهْرة بن كِلاب. وسُبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فِهْر. ونوفل بن خُوَيلد بن أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وهو ابن العدويّة. وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن بين أبي

= رحمته، وإنّما يسأل سبحانه كشف البلاء، والمزيد من النعماء، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء. (الروض الأنف ١/٢٨).

(١) هكذا في الأصول، وأنساب الأشراف ١/٥٥٣، وفي العقد الفريد ٣/٢٣٢ و ٤/٢٦٤، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٥٣ «ربيع».

بكر الصِّدِّيق وطلحة بن عُبيدالله رضي الله عنهما في حَبْلٍ حين أسلما، فبذلك كانا يسمَّيان القرينين؛ قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر. وأبو عمرو قُرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمَناف. «وقوم علينا أظنّة»: بنو بكر بن عبد مَناة بن كِنانة. فهؤلاء الذين عدّد أبو طالب في شِعره من العرب.

انتشار ذكر الرسول خارج مكة: فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب، وبلغ البلدان، ذُكر بالمدينة، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ حين ذُكِر، وقبل أن يُذكر من هذا الحيّ من الأوس والخزرج، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود، وكانوا لهم حلفاء، ومعهم في بلادهم. فلما وقع ذِكره بالمدينة، وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف. قال أبو قيس بن الأسلت[1]. أخو بني واقف.

نسب ابن الأسلت: قال ابن هشام: نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف، ونَسَبه في حديث الفيل إلى خَطمة، لأنّ العرب قد تنسب الرجل إلى أخي جدّه الذي هو أشهر منه.

قال ابن هشام: حدّثني أبو عُبيدة: أنّ الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ من ولد نُعَيله أخي غِفار. وهو غِفار بن مُليل، ونُعيلة بن مُليل بن ضَمْرة بن بكر بن عبدمَناة، وقد قالوا: عُتبة بن غزوان السلميّ، وهو من ولد مازن بن منصور وسُليم بن منصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت: من بني وائل؛ ووائل، وواقف، وخطمة إخوة من الأوس.

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول ﷺ: قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسلت ـ وكان يحبّ قريشاً، وكان لهم صهراً، كانت عنده أرنب

---

(١) واسم الأسلت عامر، والأسلت شديد فطْس الأنف. انظر عنه في الأغاني ١٧/١١٧ ـ ١٣١.

بنت أسد بن عبدالعُزَّى بن قُصَيّ، وكان يقيم عندهم السنين بامرأته - قصيدة يعظّم فيها الحُرْمة، وينهى قريشاً فيها عن الحرب، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض، ويذكر فضلهم وأحلامهم، ويأمرهم بالكفّ عن رسول الله ﷺ، ويذكرهم بلاء الله عندهم، ودفعه عنهم الفيل وكَيْده عنهم، فقال:

يا راكباً إمّا عَرَضت فَبَلِّغن مُغَلْغِلَةً عنّي لُؤَيّ بنَ غالبِ[1]
رسول امرئ قد راعه ذاتُ بينِكم على النَّأي محزونٍ بذلك ناصبِ[2]
وقد كان عندي للهُموم مَعرَسٌ فلم أفضِ منها حاجتي ومآربي[3]
نُبَيِّتُكُمْ شَرْجَيْن كلّ قبيلةٍ لها أزْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطب[4]
أُعِيذُكم بالله من شرّ صُنْعكم وشرّ تَباغِيكم ودسّ العقارب
وإظْهار أخلاقٍ ونَجْوَى سقيمةٍ كوخْز الأشافي[5] وقْعها حقٌّ صائب
فذكِّرْهُمُ بالله أوّلَ وَهْلَةٍ وإحلال أحرام الظِّباء الشَّوازب[6]
وقل لهم والله يحكم حُكْمه ذَرُوا الحربَ تذهب عنكم في المَراحب[7]
متى تَبعثوها تبعثوها ذَميمةً هي الغُول[8] للأَقْصَيْن أو للأقارب
تقطِّع أرحاماً وتُهْلِكُ أمّةً وتَبْري السَّديف من سَنام وغارب[9]

---

(١) المغلغلة: الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها. يراد بها الرسالة.
(٢) الناصب: المعيي.
(٣) أصل المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرون ليلاً للاستراحة.
(٤) شرجين: فريقين مختلفين. والأزمل: الصوت، والمذكى: موقد النار، والحاطب: الذي يحطب لها، ضرب مثلاً لنار الحرب كما قال الشاعر:
أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإنّ النار بالعودين تُذكى وإنّ الحرب أولها الكلام
(الروض الأنف ١/ ٣٠).
(٥) الأشافي: المخارز.
(٦) أحرام الظباء: التي يحرُم صيْدها في الحرام، والشوازب: ضامرة البطن.
(٧) المراحب: الأماكن المتّسعة.
(٨) الغول: الهلاك.
(٩) تبري: تقطع. السديف. لحم السنام. الغارب: أعلى الظهر.

وتَسْتبـدلـوا بـالأتحميّـة بعـدهـا شليـلاً وأصـداءُ ثيابَ المُحـارب[1]
وبـالمِسْك والكـافـور غُبْـراً سَـوابغـا كـأنّ قتيـرَيْهـا[2] عيـونُ الجنـادب
فـإيَّـاكُـمُ والحـرَب لاتَـعْلَقَـنَّكُـم وحَـوْضاً وخِيم المـاء مُـرَّ المشـارب
تَـزَيَّـن لـلأقْـوام ثُـمَّ يَـرَوْنَـهـا بعـاقبـةٍ إذ بَيَّنَـت، أمّ صـاحب[3]
تحـرّق لاتُشـوِي ضعيفـاً وتنتحي[4] ذوي العِزّ منكم بالحُتوف الصَّوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس فتعتبـروا أو كان في حـرْب حـاطِب
وكم قـد أصابتْ من شـريف مُسـوَّد طـويـلِ العِمـاد ضيفُـهُ غيـرُ خـائب
عـظيم رمـاد النّـار يُحمَـد أمـرُه وذي شيمةٍ محضٍ كريم المَضارب[5]
ومـاء هُـريق في الضّـلال كـأنّمـا أذاعت بـه ريـح الصَّبـا والجنـائب
يخبّـركم عنهـا امـرؤٌ حقٌّ عـالمٍ بـأيّـامهـا والعِلْمُ عِلْمُ التّجـارب
فبِيعُـوا الحِرابَ مِلْمُحـارب واذكُـروا حسـابكـم واللهُ خَيـرُ مُحـاسِب
وليّ امـريءٍ فـاختـار دينـاً فـلا يكُنْ عليكم رقيبـاً غيـرَ ربّ الثـواقب[6]
أقيمـوا لنـا دينـاً حنيـفـاً فـأنتـم لنـا غـايـةٌ قـد يُهتـدَى بـالـذّوائب[7]
وأنتم لهـذا النّـاس نـورٌ وعصمـةٌ تُؤَمُّـونَ، والأحـلام غيـر عَـوازب[8]
وأنتم، إذا ما حُصِّل الناسُ، جوهـرٌ لكم سُـرَّة البـطحـاء شُمُّ الأرانب[9]
تصـونـون أجسـاداً كِرامـاً عتيقـةً مُهـذَّبـة الأنسـاب غيـرَ أشـائب[10]

(١) الأتحمية: ثياب فاخرة تصنع باليمن. والشليل: الدرع القصيرة، والأصداء: الحديد.
(٢) القتير: حلق الدرع.
(٣) بيّنت: اتّضحت. وأم صاحب: أي عجوزاً كـأمّ صاحب لـك إذ لا يصحب الرجـل عادة إلاّ من كان في سنّه.
(٤) لا تشوي: لا تخطىء. وتنتحي: تقصد.
(٥) المضارب: يقصد مضارب سيوفه.
(٦) الثواقب: النجوم.
(٧) الذوائب: الأعالي.
(٨) الأحلام: العقول، والعوازب: البعيدة.
(٩) السرة: العلو، والشُمّ: المرتفعة.
(١٠) الأشائب: المختلطة، ويريد بغير الأشائب أنّ نَسَبهم خالص لا عيب فيه.

تـرى طالبَ الحـاجات نحـو بيوتكم عصـائبَ هَلْكى تهتـدي بعصـائب
لـقــد علم الأقــوامُ أنّ سَــراتـكـم على كلّ حال خيرُ أهل الجبـاجب(١)
وأفــضــله رأيــاً وأعـــلاه ســنّــة وأقــولُــه لـلحقّ وسط الـمــواكـب
فقــومــوا فصَلّوا ربَّكم وتمسَّحــوا بـأركان هـذا البيت بين الأخاشب(٢)
فـعنــدكـم منـه بــلاءٌ ومـصــدَق غَـدَاةَ أبي يَكْسـوم هــادِي الكتـائب
كتيبتُــه بـالسهـل تُـمْسي ورجْلُه على القاذفاتِ في رُءوس المناقب(٣)
فلمـا أتاكم نَصْـرُ ذي العـرش ردّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب(٤)
فــولّـوْا سِــراعــاً هــاربين ولم يَؤبْ إلى أهله مِلْحُبْش غـيــرُ عصــائـب
فـإنْ تهلِكـوا نهلِك وتهلِكْ مَــواسم يُعاش بها، قولُ امريءٍ غيرِ كاذب(٥)

قال ابن هشام: أنشدني بيته، «وماء هريق»، وبيتـه: «فبيعوا الحـراب»، وقوله: «ولي امريء فاختار»، وقوله:

على القاذفات في رءوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس والغبراء: قال ابن هشام: وأما قوله:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس(٦)

---

(١) الجباجب: المنازل في مِنَى.
(٢) الأخاشب: جبال مكة.
(٣) القاذفات: قمم الجبال، والمناقب: الطرق التي فيها.
(٤) السافي: من يثير الغبار، والحاصب: الذي يثير الحصباء.
(٥) وردت أربعـة أبيات فقط في أخبـار مكة لـلأزرقي ١/١٥٥ وفي تاريـخ الإسلام ١٦٤ تسعـة أبيات.
(٦) أنـظر عن حرب داحس والغبـراء: الأغاني ١١/٨٦ ومـا بعـدهـا ـ طبعـة دار الكتب، العقـد الفريد ٥/١٥١، المعارف ٦٠٦، الكامل في التاريخ ١/٣٤٣ (طبعة المنيـرية)، المختصـر في أخبار البشر ١/٩٧، البداية والنهاية ٣/١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٢/٦٣٢، نهـاية الأرب ١٥/٣٥٦، شرح ديوان الحماسة ١/٢٩٧، المعلّقات السبع للزوزني ٨٩، الأمثـال ٢/٥١، شرح القصائد العشر للتبريزي ٢١٣ (مـطبعة السعادة ١٩٦٤)، ديوان زهيـر بن أبي سلمى، النقائض ١/٢٩٩، الروض الأنف ٢/٣١، ٣٢.

فحدَّثني أبو عُبَيدة النَّحْوِيّ: أنّ داحساً فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبْس بن بغيض بن ريث بن غطفان؛ أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقال لها: الغبراء. فدسَّ حذيفة قوماً وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهه، وجاءت الغبراء. فلما جاء فارس داحس أخبر قيساً الخبر. فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء، فقام حمل بن بدر فلطم مالكاً. ثم إنّ أبا الجنيدب العبْسيّ لقي عوف بن حُذيفة فقتله، ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله، فقال حمل بن بدر أخو حُذيفة بن بدر:

قتلنا بعوف مالكاً وهو ثأرنا · فإنْ تطلبوا منّا سوى الحقّ تندموا

وهذا البيت في أبيات له. وقال الربيع بن زياد العبْسيّ:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقبَ الأطهار

وهذا البيت في قصيدة له.

فوقعت الحرب بين عبس وفزارة، فقتل حُذيفة بن بدر وأخوه حَمل بن بدر، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حُذيفة، وجزع عليه:

كم فارس يُدعى وليس بفارس وعلى الهباءة[1] فارس ذو مَصدق
فابكوا حُذيفة لن تُرثُّوا مثله حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له. وقال قيس بن زهير:

على أنّ الفتى حمل بن بدر بغى والظُّلم مرتعه وخيم

وهذا البيت في أبيات له. وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير:

---

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.

تـركت على الهبـاءة[1] غيـر فخـر حُـذيفـة عنـده قصـد العوالي[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: ويقال: أرسل قيس داحساً والغبراء، وأرسل حُذيفة الخطّار والحنفاء، والأول أصحّ الحديثين. وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله ﷺ.

حرب حاطب: قال ابن هشام: وأما قوله: «حرب حاطب». فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أميّة بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج - وهو الذي يقال له: ابن فُسحم، وفُسحم أمّه، وهي امرأة من القَيْن بن جسر - ليلاً في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظفر للخزرج على الأوس، وقُتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، قتله المجذّر بن ذياد البلويّ، واسمه عبدالله، حليف بني عوف بن الخزرج. فلما كان يوم أُحُد خرج المجذّر بن زياد مع رسول الله ﷺ، وخرج معه الحارث بن سُويد بن صامت، فوجد الحارث بن سويد غِرَّةً من المجذّر فقتله بأبيه. وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله تعالى. ثم كانت بينهم حروب منعني من ذِكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس.

شعر حكيم بن أميّة في نهي قومه عن عداوة الرسول: قال ابن إسحاق: وقال حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلمي، حليف بني أميّة

(١) الهباءة: مكان في بلاد غطفان.
(٢) القصد: القطع المتكسرة والعوالي: الرماح.

وقد أسلم، يورِّع[1] قومه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله ﷺ، وكان فيهم شريفاً مُطاعاً:

هل قائل قولاً من الحقّ قاعد ... عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيِّد ترجو العشيرة نفعه ... لأقصى الموالي والأقارب جامع
تبرّأت إلّا وجه من يملك الصِّبا ... وأهجركم ما دام مُدلٍ ونازع[2]
وأسلم وجهي للإله ومنطقي ... ولو راعني من الصديق روائع

ذكر ما لقي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من قومه

سفهاء قريش يؤذونه: **قال ابن إسحاق:** ثم إنّ قريشاً اشتدّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ: سفهاءهم، فكذّبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مُظْهِر لأمر الله لا يستخفى به، مبادلهم بما يكرهون من عيب دِينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيّاهم على كفرهم.

أشرّ ما أوذي به الرسول (ﷺ): **قال ابن إسحاق:** فحدّثني يحيى بن عُروة بن الزُبير، عن أبيه عُروة بن الزبير، عن عبدالله‌عمرو بن العاص، قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظهرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قطّ، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب دِيننا، وفرَّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا: فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ

---

(١) يورِّع: يصرف.
(٢) المُدل: المرسل للدلو في البئر، والنازع: الجاذب لها.

بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ: ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش، «أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح»[1]. قال: فأخذت القوم كلمتُه حتى ما منهم رجل إلاّ كأنّما على رأسه طائر واقع، حتى إنّ أشدّهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه[2] بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول؛ انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جَهولاً. قال: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودِينهم، فيقول رسول الله ﷺ: «نعم: أنا الذي أقول ذلك». قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام: أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإنّ ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً نالوا منه قطّ[3].

قال ابن إسحاق: وحدّثني بعض آل أمّ كلثوم بنت أبي بكر، أنّها قالت: رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرْق رأسه، مما جبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر[4].

---

(١) يعرّض ﷺ بهلاكهم.

(٢) رفاه: هدأه.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣٣٢، ٣٣٣، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١٦٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠٥، ٢٠٦، شرح المواهب ١/٢٥١، عيون التواريخ ١/٥٨.

(٤) السير والمغازي ٢٢٩، ٢٣٠.

وقد أخرج البخاري حديثاً بنحوه في كتاب بدء الخلق (٤/٢٣٩، ٢٤٠)، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٠٤، وانظر الوفا بأخبار المصطفى لابن الجوزي ١/١٩٠، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/٥٠، ٥١، وتاريخ الاسلام ٢١٥.

قال ابن هشام: حدّثني بعض أهل العلم: أشدّ ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلاّ كذّبه وآذاه، لا حرّ ولا عبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله، فتدثّر من شدّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّر، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[1].

إسلام حمزة رضي الله عنه[2]

سبب إسلامه: قال ابن إسحاق: حدّثني رجل من أسلم، كان واعية: أنّ أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدِينه، والتضعيف لأمره؛ فلم يكلّمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ[3] من قريش عند الكعبة، فجلس معهم. فلم يلبَثْ حمزة بن عبدالمطّلب رضي الله عنه أن أقبل متوشّحاً قوسه، راجعاً من قَنَصٍ يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلاّ وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعزّ فتىً في قريش، وأشدّ[4] شكيمة[5]. فلما مرّ بالمَوْلاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحَكَم بن هشام: وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه[6] وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد ﷺ.

---

(١) قال السهيلي في الروض: في تسميته إياه بالمُدَّثِّر: في هذا المقام ملاطفة وتأنيس، ومن عادة العرب إذا قصدت المُلاطفة أن تسمّي المخاطب باسم مشتقّ من الحالة التي هو فيها: كقوله عليه السلام لحُذَيفة: قم يا نومان، وقوله لعليّ بن أبي طالب ـ وقد ترِب جنبه: قم أبا تراب. (الروض الأنف ١/٤٨).

(٢) السير والمغازي ١٧١، نهاية الأرب ١٦/٢٠٨، شرح المواهب ١/٢٥٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٧٠، عيون التواريخ ١/٥٩، عيون الأثر ١/١٠٤، سبل الهدى ٢/٤٤٣.

(٣) نادٍ: أي أهل نادٍ.

(٤) في السير والمغازي «أشدّها».

(٥) في السير والمغازي «كان يومئذ مشركاً على دين قومه».

(٦) في السير «شتمه».

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقِيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة مُنْكَرَة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أباجهل[1]؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنّي والله قد سَبَبْت ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً، وتمّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه[2]، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[3].

عُتبة بن ربيعة يفاوض الرسول صلّى الله عليه وسلّم

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: حُدِّثت أنّ عُتبة بن ربيعة، وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه؛ فقام إليه عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يابن أخي، إنّك منّا حيث قد علمت من

---

(١) في السير: «أبا جهلٍ منه، فقالوا: ما تراك يا حمزة إلّا قد صبأت؟ فقال حمزة: وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقوله حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين».

(٢) وفي السير: «وعلى ما بايع رسول الله ﷺ من قوله».

(٣) السير والمغازي ١٧١، ١٧٢، نهاية الأرب ٢٠٨/١٦، ٢٠٩، تاريخ الإسلام ٤٤٥/١، ٤٤٦، عيون الأثر ١٠٤/١، ١٠٥، عيون التواريخ ٥٩/١، سبل الهدى ٤٤٣/٢، ٤٤٤ وانظر الطبقات الكبرى ٩/٣، ودلائل النبوّة للبيهقي ٤٥٩/١.

السِّطة[1] في العشيرة، والمكان في النَسَب، وإنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودِينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد، أسمع»، قال: يابن أخي، إنْ كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً[2] تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له. حتى إذا فرغ عُتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم؛ قال: «فاسمع منّي»؛ قال: أفعل؛ فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. حٰمٓ. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَنَذِيراً، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾[3]، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عُتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت، فأنتَ وذاك».

رأي عُتبة: فقام عُتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشِعر، ولا بالسحْر، ولا بالكهانة، يامعشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتَزِلوه، فوالله ليكوننّ

---

(١) السطة: الشرف.

(٢) الرئي: ما يظهر للناس من الجنّ.

(٣) سورة فُصّلت، الآيات: ١ ـ ٥.

لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإنْ تُصِبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْكُكُم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به؛ قالوا: سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

قريش تفتن المسلمين: قال ابن إسحاق: ثم إنّ الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبْسه، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين. ثم إنّ أشراف قريش من كل قبيلة، كما حدّثني بعض أهل العمل عن سعيد بن جبير، وعن عِكرمة مولى ابن عباس، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال:

زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ: اجتمع عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفيان بن حرب، والنضْر بن الحارث، أخو بني عبد الدار، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام،والأسود بن المطّلب بن أسد، وزَمَعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أميّة، والعاص بن وائل، ونُبَيه ومنبّه ابنا الحَجّاج السهميّان، وأُميّة بن خلف، أو من اجتمع منهم. قال: اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأْتهم؛ فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظنّ أنْ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء، وكان عليهم حريصاً يحبّ رُشدهم، ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم؛ فقالوا له: يا محمد، إنّا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنّا واللهِ ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبتَ الدين، وشتمت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلّا قد جئته فيما بيننا وبينك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنتَ إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من

---

(1) عيون الأثر ١/١٠٥، نهاية الأرب ١٦/٢٠٩ ـ ٢١١، شرح المواهب ١/٢٥٨، سبل الهدى ٢/٤٤٧ ـ ٤٥٠، الوفا في أخبار المصطفى لابن الجوزي ١/٢٠١، السيرة لابن كثير ١/٥٠١.

أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنّما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسوِّدك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمّون التابع من الجنّ رئيا فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطبّ لك حتى نبرئك منه، أو نُعْذر فيك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «مابي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرفَ فيكم، ولا المُلك عليكم، ولكنّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالات ربّي، ونصحت لكم، فإنْ تقبلوا منّي ما جئتكم به، فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»، أو كما قال ﷺ.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منّا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضْيَق بلداً، ولا أقلّ ماء، ولا أشدّ عيْشاً منّا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به، فلْيُسيّر عنّا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كِلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل، فإنْ صدّقوك وصنعت ما سألناك صدّقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: «ما بهذا بُعثت إليكم من الله، إنّما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى، حتى يحكم الله بيني وبينكم»، قالوا: فإذ لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك، سلْ ربك بأنْ يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسَله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضّة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربّك إن كنت رسولاً كما تزعم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربّه هذا، وما بُعثت إليكم بهذا، ولكنّ الله بعثني

بشيراً ونذيراً ـ أو كما قال ـ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كِسَفاً كما زعمت أنّ ربك إن شاء فعل، فإنّا لا نؤمن لك إلّا أن تفعل، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل»؛ قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنّا سنجلس معك ونسألك عمّا سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم فيعلّمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به! إنه قد بَلَغَنا أنّك إنّما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له: الرحمن، وإنّا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنّا والله لا نتركك وما بلغت منّا حتى نهلكك، أو تهلكنا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لكَ حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ، قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أُميَّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمّته، فهو لعاتكة بنت عبدالمطّلب ـ فقال له: يامحمد. عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول، ويصدّقوك ويتّبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك من الله، فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب، فلم تفعل ـ أو كما قال له ـ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتّخذ إلى السماء سُلَّماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايْم الله، لو فعلت ذلك ما ظننت أنّي أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ. وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لِما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مُباعدتهم إياه[1].

---

(١) الخبر في نهاية الأرب ٢١٣/١٦ ـ ٢١٦، سبل الهدى ٤٥٢/٢ ـ ٤٥٤ عيون الأثر ١٠٧/١، ١٠٨.

أبو جهل يتوعّد الرسول ﷺ: فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يامعشر قريش، إن محمداً قد أبى إلّا ما ترون من عيْب دِيننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتْم آلهتنا، وإنّي أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ما أطيق حمله ـ أو كما قال ـ فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلِموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبدمَناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نُسلِمك لشيءٍ أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام؛ فكان إذا صلَّى صلَّى بين الركن اليمانيّ والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلّي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل ابو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونُه مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته[1] ولا أنيابه لفحل قطّ، فهمّ بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ، قال: ذلك جبريل عليه السلام، لو دنا لأخذه[2].

النضْر بن الحارث ينصح قريشاً: فلما قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث بن كَلدَة بن علقمة بن عبدمَناف بن عبد الدار بن قُصِيّ.

قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبدمَناف.

---

(١) قصرته: أصل عنقه.

(٢) السير والمغازي ١٩٩، ٢٠٠، نهاية الأرب ٢١٧/١٦، ٢١٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٥٣، ١٥٤، عيون الأثر ١٠٨/١، عيون التواريخ ٦١/١، سبل الهدى ٤٥٤/٢.

قال ابن إسحاق: فقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشَّيْب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحَرة ونَفْثهم وعُقَدَهم، وقلتم كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكَهَنة وتَخالجهم وسمعنا سَجَعهم، وقلتم شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشِعْر، وسمعنا أصنافه كلّها: هزْجه ورجْزه، وقلتم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنّه والله لقد نزل بكم أمر عظيم(١).

أذى النضر للرسول ﷺ: وكان النضْر بن الحارث من شياطين قريش، وممّن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدِم الحيرة، وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خَلَفَه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلُمَّ إليَّ، فأنا أحدّثكم أحسن من حديثه، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس، ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً منّي؟.

قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني؛ سأُنزِل مثل ما أنزل الله.

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول، فيما بلغني: نزل فيه ثمان آيات من القرآن: قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾(٢). وكل ما ذُكر فيه من الأساطير من القرآن.

قريش تسأل أحبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام: فلما قال لهم

---

(١) نهاية الأرب ٢١٩/١٦، ٢٢٠، تاريخ الإسلام ١٥٧، دلائل النبوّة ٤٤٩/١.

(٢) سورة القلم، الآية: ١٥.

ذلك النضْر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عُقبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصِفا لهم صفته، وأخْبراهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأول، وعندهم عِلم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدِما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفا لهم أمره، وأخبرهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؛ فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مُرْسَل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فَرَوا فيه رأيكم. سلوه عن فِتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه، فإنه نبيّ، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر بن الحارث، وعُقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ حتى قدِما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبيّ، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عَجَب، وعن رجلٍ كان طوّافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم بما سألتم عنه غداً»[1]، ولم يستثن، فانصرفوا عنه. فمكث رسول الله ﷺ ـ فيما يذكرون ـ خمس عشرة ليلة لا يُحدث الله إليه في ذلك وحْياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا

---

(١) لم يقل إن شاء الله.

يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكْث الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهل مكة: ثم جاءه جبريل من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطوّاف والروح.

الردّ على قريش فيما سألوه: قال ابن إسحاق: فذُكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: «لقد احتبسْتَ عنّي يا جبريل حتى سُؤتُ ظناً». فقال له جبريل: **﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾**[1]. فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نُبُوَّة رسوله، لِما أنكروه عليه من ذلك، فقال: **﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ﴾**[2] يعني محمداً ﷺ، إنك رسول منّي: أي تحقيق لِما سألوه عنه من نُبُوَّتك. **﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾**: أي معتدلاً، لا اختلاف فيه. **﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾**: أي عاجل عقوبته في الدنيا. وعذاباً أليماً في الآخرة: أي من عند ربك الذي بعث رسولاً. **﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾** أي دار الخُلْد. لا يموتون فيها الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم: وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. **﴿وَيُنْذِرُ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾** يعني قريشاً في قولهم: إنّا نعبد الملائكة: وهي بنات الله. **﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾** الذين أعظموا فراقهم وعيْب دينهم. **﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾**: أي لقولهم: إنّ الملائكة بنات الله **﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾** يا محمد **﴿عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً﴾**: أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي لا تفعَل.

قال ابن هشام: باخع نفسك: أي مُهلك نفسك: فيما حدّثني أبو عُبيدة. قال ذو الرُّمَّة:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١.

ألا أيُّهذا الباخع الوجْدُ نفسَه   لشيءٍ نَحَتْه عن يديه المَقادِرُ

وجمعه: باخعون وبَخَعَة. وهذا البيت في قصيدة له. وتقول العرب: قد بخعت له نُصحي ونفسي: أي جهدت له. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قال ابن إسحاق: أي أيّهم أتبع لأمري، وأعمل بطاعتي. و﴿إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾[1]: أي الأرض، وإنّ ما عليها لَفانٍ وزائل، وإنَّ المرجع إليَّ، فأجزي كُلاًّ بعمَله، فلا تأس ولا يحزُنْك ما تسمع وترى فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُد. قال ذو الرمّة يصف ظبياً صغيراً:

كأنه بالضُّحى تَرْمي الصعيدَ به   دَبَّابَةٌ في عظام الرأس خُرطومُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد: الطريق. وقد جاء في الحديث: إياكم والقعود على الصّعدات، يريد الطرق. والجُرُز: الأرض التي لا تنبت شيئاً، وجمعها: أجراز. ويقال: سنة جُرُز، وسنون أجراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدّة. قال ذو الرّمة يصف إبلاً:

طوى النَّحْزُ والأجْراز ما في بطونها   فما بقيتْ إلّا الضّلوعُ الجَراشعُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

أهل الكهف: **قال ابن إسحاق**: ثم استقبلَ قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

---

(١) سورة الكهف، لآيات: ١ ـ ٨.
(٢) الدبابة والخرطوم: الخمر.
(٣) الجراشع: المنتفخة.

آيَاتِنَا عَجَباً﴾[1]: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجي ما هو أعجب من ذلك.

قال ابن هشام: والرقيم: الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرهم، وجمعه: رُقُم. قال العجّاج:

ومُستقرّ المُصْحَف المرقَّمِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَىٰ ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً. فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾. ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي بصدق الخبر عنهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً، وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً، لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾: أي لم يُشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الغُلوّ ومجاوزة الحقّ. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لا ينتهون ولا يَنْهَى ذَوِي شَطَط كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.

قال ابن إسحاق: أي بحُجَّةٍ بالغة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ٱفْتَرَى عَلَىٰ اللهِ كَذِباً. وإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللهَ فَأْوُوا إِلَىٰ ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

مِرْفَقاً. وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ، وَإِذَا غَـرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ، وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

قال ابن هشام: تزاور: تميل، وهو من الزّور. وقال امرؤ القيس بن حجْر:

وإنّي زعيمٌ إنْ رجعتُ مملَّكاً بسيْرٍ تَرَى منه الفُرانِقَ أزْوَرا[1]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال أبو الزَّحْف الكلبيّ يصف بلداً:

جَأْبُ المندَّى عن هَوانا أزْوَرُ يُنضِي المطايا خِمْسُهُ العَشَنْزرُ[2]

وهذان البيتان[3] في أرجوزة له. و﴿تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. قال ذو الرّمّة:

إلى ظُعْنٍ يَقْرِضْنَ أقْوازَ مُشْرِفٍ شمالاً وعن أيمانهنّ الفوارسُ[4]

وهذا البيت في قصيدة له. والفجوة: السعة، وجمعها: الفجاء. قال الشاعر:

ألبستَ قومَك مَخْزاةً ومَنْقَصةً حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فجوةَ الدّارِ

﴿ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ﴾ أي في الحُجَّة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بِمسألتِك عنهم في صدْقِ نبوّتك بتحقيق الخبر عنهم: ﴿مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

قال ابن هشام: الوصيد. الباب: قال العبْسيّ، واسمه عُبيد بن وهْب:

---

(١) الفُرانق: الذي يسير بالكعب على رجليه. والأزور: المائل.
(٢) الجأب: الغليظ، وينضي: يهزل، والعشنزر: المتين الخلق.
(٣) اعتبر الشطرتين بيتين من مشطور الرجز.
(٤) الأقواز: ما استدار من الرمل.

بـأرضٍ فَـلاةٍ لا يُسَـدُّ وَصِيـدُهـا ... عليّ ومعـروفي بهـا غيـرُ مُنْكَـرِ

وهذا البيت في أبيات له. والوصيـد (أيضاً) الفنـاء، وجمعه: وصـائد، ووصد، ووصدان، وأُصُد، وأُصْدان.

﴿لَـوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِم لَـوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِـرَاراً، وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبـاً﴾. إلى قـولـه: ﴿قَـالَ ٱلَّـذِينَ غُلِبُـوا عَلَىٰ أَمْـرِهِمْ﴾ أهــل السلطان والملك منهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً، سَيَقُولُونَ﴾ يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم: ﴿ثَـلاٰثَـةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَيَقُـولُـونَ خَمْسَـةٌ سَـادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ، رَجْمـاً بِٱلْغَيْبِ﴾: أي لا علم لهم. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَـامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، قُلْ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِـدَّتِهِمْ مَـاٰ يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيـلٌ، فَـلَا تُمَـارِ فِيهِمْ إِلَّا مِـرَاءً ظَـاهِـراً﴾: أي لا تكـابـرهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَـداً﴾ فـإنهم لا عِلم لهم بهم. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ، وقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّيٓ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَاٰ رَشَداً﴾: أي ولا تقولنّ لشيءٍ سألوك عنه كمـا قلت في هذا: إنّي مُخبـركُم غداً. واستثن مشيئـة الله، واذكـر ربَّـك إذا نسيت، وقـل عسى أن يهدين ربّي لخيـرٍ ممّا سـألتموني عنـه رُشداً فـإنّـك لا تـدري ما أنـا صانـع في ذلك. ﴿وَلَبِثُـوا فِيٓ كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَـةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعـاً﴾: أي سيقولـون ذلك. ﴿قُـلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُـوا، لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمٰـوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِـرْ بِهِ وَأَسْمِـعْ مَاٰ لَهُمْ مِنْ دُونِـهِ مِنْ وَلِيٍّ، وَلَا يُشْرِكُ فِيٓ حُكْمِـهِ أَحَداً﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

ذو القرنين: وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطوّاف: ﴿وَيَسْئَلُونَـكَ عَنْ ذِيٓ ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِيٓ ٱلْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾[1] حتى انتهى إلى آخر قصّة خبره[2].

وكان من خبر ذي القـرنين أنه أُوتي مـا لم يؤت أحدٌ غيـره، فمدّت لـه

(١) سورة الكهف، الآيات: من ١٠ ـ ٨٣.

(٢) نهاية الأرب ١٦/٢٢٢ ـ ٢٢٤.

الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يطأ أرضاً إلّا سُلّط على أهلها، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شيء من الخلق.

قال ابن إسحاق: فحدّثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه: أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر. اسمه مرزُبان بن مرْذبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

قال ابن هشام: واسمه الإسكندر، وهو الذي بنى الإسكندرية فنُسبت إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثني ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعيّ، وكان رجلاً قد أدرك: أنّ رسول الله ﷺ سئل عن ذي القرنين **فقال:** ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول: ياذا القرنين، فقال عمر: اللهم غفراً، وأما رضيتم أن تسمّوا بالأنبياء حتى تسمّيتم بالملائكة.

قال ابن إسحاق: اللهُ أعلم أيّ ذلك كان، أقال ذلك رسول الله ﷺ، أم لا؟ فإنْ كان قاله، فالحقّ ما قال.

أمر الروح: وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ، قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾**[1].

ما أوتيتم من العلم إلّا قليلا: قال ابن إسحاق: وحُدّثت عن ابن عباس، أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قالت أحبار يهود: يا محمد، أرأيت قولك: **﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** إيّانا تريد، أم قومك؟ قال: «كلًّا». قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك: أنّا قد أُوتينا التوراة فيها بيان كلّ شيء.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه». قال: فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١): أي أنّ التوراة في هذا من علم الله قليل.

تسيير الجبال وبعث الموتى: قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ، أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَى، بَلْ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعاً﴾(٢): أي لا أصنع من ذلك إلّا ما شئت.

خذ لنفسك: وأنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك، ما سألوه أن يأخذ لنفسه، أن يجعل له جناناً وقصوراً وكنوزاً، ويبعث معه مَلَكاً يصدّقه بما يقول، ويردّ عنه: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ، وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً. ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً، تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ﴾: أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾(٣).

وأنزل عليه في ذلك من قولهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً، أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾(٤). أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت.

القرآن ردّ على ابن أبي أُميَّة: وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبي

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.
(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٧ ـ ١٠.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

أميّة: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَارَ خِلاٰلَهَا تَفْجِيراً. أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً، أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

قال ابن هشام: الينبوع: ما نبع من الماء من الأرض وغيرها، وجمعه ينابيع. قال ابن هِرْمة، واسمه إبراهيم بن علي الفِهْريّ:

وإذا هرقتَ بكلّ دارٍ عَبرةً[2] ... نُزِفَ الشُئونُ ودَمْعك اليَنْبوعُ[3]

وهذا البيت في قصيدة له. والكِسَف: القِطَع من العذاب، وواحدته: كِسْفَة، مثل سِدْرة وسدر. وهي أيضاً: واحدة الكسف. والقبيل: يكون مقابلة ومعاينة، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً﴾[4]: أي عياناً. وأنشدني أبو عُبيدة لأعشى بني قيس بن ثعلبة:

أصالحكم حتى تَبوءوا بمثْلها ... كصرخةِ حُبْلَى يسَّرتها قَبيلُها

يعني القابلة، لأنها تقابلها وتَقبل ولدها. وهذا البيت في قصيدة له. ويقال: القَبيل جمعه قُبُل، وهي الجماعات، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾[5] فقُبُل: جمع قَبيل مثل سُبُل: جمع سبيل، وسُرُر: جمع سرير، وقُمُص: جمع قَميص. والقَبيل أيضاً: في مَثَل من الأمثال، وهو قولهم: ما يعرف قَبيلاً من دَبير: أي لايعرف ما أقبل مما أدبر، قال الكُمَيْت بن زيد:

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.
(٢) هكذا في المطبوع، وفي سائر الأصول «واد».
(٣) الشئون: مجاري الدمع.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٥.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١١.

تفـرّقـت الأمـور بـوجـهـتـيهـم فمـا عـرفـوا الـدبيـر من القبيـل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: إنما أريد بهذا القبيل: الفَتل، فما فُتل إلى الذراع فهو القبيـل، وما فُتـل إلى أطراف الأصـابع فهـو الدبيـر، وهو من الإقبـال والإدبار الـذي ذكرت. ويقـال: فتل المغـزل. فإذا فتـل المغـزل إلى الـركبة فهـو القبيل، وإذا فتـل إلى الورْك فهـو الـدبيـر. والقَبيـل أيضـاً: قـوم الرجل. والزُخْرُف: الذهب. والمزخرِف: المزيّن بالذهب. قال العجّاج:

من طَلَلٍ أمْسَى تخـال المُصْحَفَـا رُسُـومَـه والمُـذْهَب المُـزَخْـرَفـا

وهذان البيتان في أرجوزة له[1]، ويقال أيضاً لكل مزيّن: مزخرف.

نفي القرآن أنّ رجلًا من اليمـامة يعلّمـه: قال ابن إسحـاق: وأنزل الله عليـه في قولهم: إنّـا قد بلغنـا أنك إنمـا يعلّمك رجـل بـاليمـامـة، يقـال لـه الرحمن، ولن نؤمن به أبداً: ﴿كَذٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمٰنِ، قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[2].

ما نزل في أبي جهل: وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام، ومـا همّ بـه ﴿أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ عَبْـداً إِذَا صَلَّىٰ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَـانَ عَلَىٰ ٱلْهُـدَىٰ أَوْ أَمَـرَ بِـٱلتَّقْوَىٰ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَـذَّبَ وَتوَلَّىٰ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِـأَنَّ ٱللهَ يَرَىٰ، كَـلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ، نَـاصِيَةٍ كَـاذِبَةٍ خَـاطِئَةٍ، فَلْيَـدْعُ نَادِيَـهُ، سَنَدْعُ ٱلـزَّبَانِيَـةَ، كَلَّا لاتُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[3].

قال ابن هشام: لَنَسْفَعاً: لنجذبنّ ولنأخذنّ. قال الشاعر:

قـومٌ إذا سمعـوا الصُّـراخ رأيتَـهم مـن بيـن مُلجِـم مُهْـرِهِ أو سـافِـع

(١) على أنهما من مشطور الرجز.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.
(٣) سورة العلق، الآيات: ٩ ـ ١٩.

والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم، وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1] وهو النّديّ. قال عُبيد بن الأبرص:

اذهب إليك فإنّي من بني أسَد أهل النديّ وأهلُ الجود والنادي

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[2] وجمعه: أندية. فليدع أهل ناديه. كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] يريد أهل القرية. قال سلامة بن جندل، أحد بني سعد بن زيد مَناة بن تميم:

يَومانِ يومُ مقامات وأنديةٍ ويومُ سيرٍ إلى الأعداء تأويبِ[4]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الكُمَيْت بن زيد:

لا مَهاذيرُ[5] في النَّدَى مَكاثيـ ـرَ ولا مُصْمتين بالإفحامِ[6]

وهذا البيت في قصيدة له. ويقال النادي: الجُلَساء. والزبانية: الغِلاظ الشداد، وهم في هذا الموضع خَزَنَة النار. والزبانية أيضاً في الدنيا أعوان الرجل الذي يخدمونه ويعينونه والواحد: زِبنية. قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك:

مطاعيمُ في المَقْرَى[7] مَطاعينُ في الوَغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُها

يقول: شِداد. وهذا البيت في أبيات له. وقال صخر بن عبد الله الهُذْليّ، وهو صخر الغيّ:

---

(١) العنكبوت، الآية: ٢٩.
(٢) سورة مريم، الآية: ٧٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٢.
(٤) التأويب: السير كل النهار.
(٥) المهاذير: جمع مهذار، وهو الكثير الكلام من غير فائدة.
(٦) الإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام، إمّا عيّاً وإمّا غلبة.
(٧) المقرى: من القري، وهو الطعام الذي يصنع للضيف.

ومِنْ كَبِير[1] نَفَرٌ زبانيهْ[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول (ﷺ): فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صِدْقه فيما حدّث، وموقع نبوّته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتصديقه: فعتَوْا على الله وتركوا أمره عياناً، ولجُّوا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون، أي اجعلوه لغواً وباطلاً، واتّخذوه هُزُواً لعلّكم تغلبونه بذلك. فإنكم إنْ ناظرتموه أو خاصمتموه يوماً غلبكم.

فقال أبو جهل يوماً يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحقّ: يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذّبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، وكثرة، أفيعجز كل مئة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4] إلى آخر القصة،

---

(١) كبير: حيّ من هذيل، وفي أسد أيضاً: كبير بن غنم بن دودان بن أسد، ومن ذرّيته: بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرّة بن كبير، ولعلّ الراجز أن يكون أراد هؤلاء، فإنهم أشهر، وبنو كبير أيضاً: بطن من بني غامد، وهم من الأزد، والذي تقدّم ذكره من هذيل هو: كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل. (الروض الأنف ٢/٦٥).

(٢) وتكملته: لو أنّ أصحابي بنو معاويه.

ما تركوني للذئاب العاديه ولا لبرذون أغرّ الناصيه.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٤) سورة المدّثر، الآية: ٣١.

فلما قال ذلك بعضهم لبعض، جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلّي، يتفرّقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلّي، استرق السمع دونهم فَرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظنّ الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه.

قال ابن إسحاق: حدّثني داود بن الحُصَين، مولى عمر بن عثمان، أنّ عِكْرِمة، مولى ابن عباس حدّثهم أنَّ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حدّثهم: إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾[1] من أجل أولئك النفر يقول: لا تجهر بصلاته فيتفرّقوا عنك، ولا تخافِت بها فلا يسمعها من يحبّ أن يسمعها ممن يسترِق ذلك دونهم لعلّه يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به.

أوّل من جَهَر بالقرآن

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيى بن عُروة بن الزُبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - ﷺ - بمكة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله - ﷺ -، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قطّ، فمن رجل يُسمّعهموه؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا، قالوا: إنّا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه؛ قال: دعوني فإنّ الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقامَ في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رافعاً بها صوته ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١٠

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ١ و٢.

قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأمّلوه فجعلوا يقولونَ: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ. ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثاروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك؛ فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلها غداً؛ قالوا لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون(١).

قصة استماع قريش إلى قراءة النّبيّ ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُهري أنهُ حدّث: أنّ أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام. والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهْب الثقفي، حليف بني زُهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - ﷺ -، وهو يصلّي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعونِ له، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرّقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه: فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٣٤، ٣٣٥، نهاية الأرب ١٦/٢٢٨، السير والمغازي ١٨٦.

أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عـرفت معناهـا ولا ما يـراد بها؛ قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبـا الحكم، ما رأيـك فيما سمعت من محمـد؟ فقال: مـاذا سمعتُ، تنازعنـا نحن وبنـو عبد مَنـاف الشرف، أطعمـوا فأطعمنـا، وحملوا فحملنـا، وأعـطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينـا على الركب، وكنّـا كفرسي رهـان، قالـوا: منّا نبيّ يـأتيه الـوحي من السمـاء؛ فمن نـدرك مثـل هـذه، والله لا نؤمن بـه أبـداً ولا نصدّقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

تعنُّت قـريش عند سمـاعهم القرآن ومـا نزل فيهم: قـال ابن إسحاق: وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله: قالـوا يهزءون به: ﴿**قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**﴾ لا نفقه ما تقـول ﴿**وَفِيٓ آذَانِنَا وَقْـرٌ**﴾ لا نسمع ما تقول ﴿**وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِك حِجَابٌ**﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿**فَاعْمَلْ**﴾ بما أنت عليه ﴿**إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾[1] بما نحن عليه، إنّا لا نفقه عنك شيئـاً، فأنـزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ حِجَابـاً مَسْتُوراً**﴾[2]... إلى قـوله ﴿**وَإِذَا ذَكَـرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾[3]: أي كيف فهموا توحيدكَ ربَّـك إنْ كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنَّـة، وفي آذانهم وقْـراً، وبينـك وبينهم حجـابـاً بزعمهم؛ أي إنّي لم أفعل ذلـك. ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُـونَ إِلَيْكَ، وَإِذْ هُمْ نَجْـوَىٰ، إِذْ يَقُولُ ٱلـظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُـونَ إِلَّا رَجُـلاً مَسْحُـوراً**﴾: أي ذلـك مـا تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم. ﴿**أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً**﴾: أي أخطئوا المثل الذي ضـربوا لـك، فلا يصيبـون به هدًى، ولا يعتدل لهم فيه قول ﴿**وَقَالُوا أَءِذا كُنَّـا عِظَامـاً وَرُفَاتـاً أَئِنَّا لَمَبْعُـوثُونَ**

(١) سورة فُصِّلت، الآية: ٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الإسراء الآية ٤٦.

خَلْقاً جَدِيداً﴾: أي قد جئت تخبرنا أنّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً، وذلك ما لا يكون: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً، أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]: أي الذي خلقكم مما تعرفون، فليس خلقكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبدالله بن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما الذي أراد به الله؟ فقال: الموت.

ذكر عدوان المشركين على المستَضْعَفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدَوْا على من أسلم، واتّبع رسول الله ـ ﷺ ـ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدّ الحَرّ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتن من شدّة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصلُب لهم، ويعصمه الله منهم.

ما لقيه بلال وتخليص أبي بكر له: وكان بلال، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، لبعض بني جُمَح، مولَّداً من مولَّديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمّه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أُميّة بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرجه إذا حميت الظهيرة، في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللاّت والعُزّى؛ فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَد أحد[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٤٧ ـ ٥١.

(٢) وفي كتب الحديث رواية أخرى أخرجها كل من: ابن ماجه ٥٣/١ في المقدّمة (١٥٠)، وأحمد =

قال ابن إسحاق: وحدّثني هشام بن عُروة، عن أبيه، قال: كان ورقه بن نوفل يمرّ به وهو يُعذّب بذلك، وهو يقول: أحد أحد؛ فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يُقبل على أُميّة بن خلف، ومن يصنع ذلك به من بني جُمَح، فيقول: أحلِف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتّخذنّه حناناً[1]، حتى مرّ به أبو بكر الصِّدِّيق ابن أبي قُحافة رضي الله عنه يوماً، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جُمَح، فقال لأُميّة بن خَلَف: ألا تتّقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟! قال: أنت الذي أفسدته فأنقِذْه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دِينك، أُعْطيكه به؛ قال: قد قبِلت فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه[2].

من أعتقهم أبو بكر: ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رِقاب، بلال سابعهم. عامر بن فُهَيرة، شهد بدراً وأُحُداً، وقُتل يوم بئر مَعُونة شهيداً؛ وأم عُبيس[3] وزِنّيرة[4]، وأصيب بصرها حتى أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلاّ اللّات والعُزّى؛ فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضرّ اللّات والعُزّى وما تنفعان، فردّ الله بصرها.

واعتق النَّهديّة[5] وبنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدّار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقهما أبداً، فقال أبو بكر

= في المسند ١/٤٠٤، والبيهقي في دلائل النبوّة ٢/٥٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/١٤٩، وابن سعد ٣/١/١٦٦، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٤٨، والحاكم في المستدرك ٣/٢٨٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢١٧، ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١/٣٤٨.

(١) حناناً: أي إذا مات أجعل قبره متبركاً به. والحديث في حلية الأولياء ١/١٤٨، وأسد الغابة ١/٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ١/٣٥٢، والسير والمغازي ١٩٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥٢٢.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٩٦، رقم ٥١٩، السير والمغازي ١٩١.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥٢١، السير والمغازي ١٩١.

رضي الله عنه: حِلّ[1] يا أم فلان؛ فقالت: حلّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما؛ قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا؛ قال: قد أخذتهما وهما حُرّتان، أرجِعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

ومرّ بجارية بني مُؤمَّل[2]، حيّ من بني كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطّاب يعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إنّي أعتذر إليك، إنّي لم أتركك إلا ملالة؛ فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر، فأعتقها.

أبو قُحافة يلوم أبا بكر: قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن عبدالله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن بعض أهله، قال:

قال أبو قُحافة لأبي بكر: يا بُنَيّ، إنّي أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنّك إذا ما فعلت أعتقت رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك؟. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ، إنّي إنّما أريد ما أريد لله عزّ وجلّ. قال: فيتحدّث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلاّ فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[3].

تعذيب آل ياسر: قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر، وبأبيه وأمّه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذّبونهم برمضاء[4] مكة، فيمرّ بهم رسول الله - ﷺ - فيقول، فيما بلغني:

---

(١) حِلّ: أي تحلّلي من يمينك.

(٢) هي: لبينة جارية ابن المؤمّل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عديّ بن كعب. (أنساب الأشراف ١/١٩٥ رقم ٥١٧).

(٣) سورة الليل، من الآية: ٥ حتى آخر السورة. والخبر في نهاية الأرب ١٦/٢٣٠.

(٤) الرمضاء: الرمال شديدة الحرارة.

«صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة»[1]. فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام.

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة، أنَّبه وأخزاه وقال: تركت دِين أبيك وهو خير منك، لنسفّهنّ حلمك، ولنفيِّلن[2] رأيك، ولنضعنّ شرفك؛ وإن كان تاجراً قال: والله لنكسّدنّ تجارتك، ولنهلكنّ مالك؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

فتنة المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدّثني حكيم بن جُبير عن سعيد بن جُبير، قال: قلت لعبدالله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله - ﷺ - من العذاب ما يعذرون به في ترك دِينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطّشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شِدّة الضرّ الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له: أللّات والعُزّى إلهك من دون الله؟ فيقول نعم، حتى إنّ الجُعَل ليمرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعْل إلٰهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم مما يبلغون من جهده[3].

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش: قال ابن إسحاق: وحدّثني الزُبير ابن عُكّاشة بن أبي أحمد أنه حُدِّث أنّ رجالاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد، وكانوا قد أجمعوا على أنْ يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا، منهم: سَلَمَة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة. قال: فقالوا له وخشوا شرّهم: إنّا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدّين الذي أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك في غيرهم. قال: هذا، فعليكم به،

---

(١) وفي رواية: «أبشروا آل ياسر» أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٨٨ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه، وفي تاريخ الإسلام ٢١٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٣ ونسبه للطبراني. وهو بنصّه في السير والمغازي ١٩٢.

(٢) لنفيلنَّ: لنقبّحنّ.

(٣) السير والمغازي ١٩٣.

فعاتبوه وإيّاكم ونفسه، وأنشأ يقول:

ألا لا يُقْتَلَنّ أخي عُيش فيبقى بيننا أبداً تَلاحي

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنّ أشرفكم رجلاً. قال: فقالوا: اللهم العنْه، من يغرّر بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً. قال، فتركوه ونزعوا عنه. قال: وكان ذلك مما دفع الله به عنهم.

ذِكْر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة[1]

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله ومن عمّه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدْق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة: وكان أول من خرج من المسلمين من بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة، معه امرأته رُقَيّة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ.

---

(١) السير والمغازي ١٧٤، الطبقات الكبرى ٢٠٣/١، البدء والتاريخ ١٤٩/٤، أنساب الأشراف ١٩٨/١ وما بعدها، تاريخ الطبري ٣٣٥/٢، الكامل في التاريخ ٧٦/٢، عيون التواريخ ٦٩/١، نهاية الأرب ٢٣٢/١٦، تاريخ الإسلام (السيرة بتحقيقنا) ١٨٣، المعرفة والتاريخ ٢٥٥/٣، البداية والنهاية ٦٦/٣، السيرة لابن كثير ٣/٢، عيون الأثر ١١٥/١، سبل الهدى ٤٨٥/٢، المغازي لعروة ١٠٥، جوامع السيرة لابن حزم ٥٥، الدرر في المغازي والسير لابن عبد البر ٥٠.

ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف: أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته: سهلة بنت سُهَيل بن عمرو، أحد بني عامر بن لُؤَيّ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذَيفة[1].

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصّي: الزبير بن العوّام بن خُوَيْلد بن أسد.

ومن بني عبدالدار بن قُصَيّ: مُصْعَب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدّار.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عبدالرحمن بن عَوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: أبو سَلَمَة بن عبدالله بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزْوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح.

ومن بني عدِيّ بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عنز بن وائل ـ معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدِيّ بن كعب.

ومن بني عامر بن لُؤَيّ: أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ويقال: هو أول من قدِمَها.

ومن بني الحارث بن فِهْر: سهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن

---

(١) السير والمغازي ١٧٦.

ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، فيما بلغني[1].

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه.

المهاجرون من بني هاشم: ومن بني هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر: جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قُحافة بن خثعم، وولدت له بأرض الحبشة عبدالله بن جعفر، رجل.

المهاجرون من بني أُميّة: ومن بني أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، معه امرأته رُقيّة ابنة رسول الله ـ ﷺ ـ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أُميّة بن محرِّث بن شَقّ بن رَقَبَة بن مُخْدج الكِنانيّ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة، معه امرأته أمينة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مَليح بن عمرو، من خُزاعة.

قال بن هشام: ويقال **هُمَيْنة** بنت خَلَف.

قال بن إسحاق: ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأَمَةَ بنت خالد، فتزوّج أَمَةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوّام، فولدت له عمرَو بن الزبير، وخالدَ بنَ الزُبير.

المهاجرون من بني أسد: ومن حلفائهم، من بني أسدِ بن خُزَيمة:

---

(١) نهاية الأرب ١٦/٢٣٢، ٢٣٣ وانظر: الطبقات الكبرى ١/٢٠٤، والمغازي لعروة ١٠٥.

عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُـرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد؛ وأخوه عُبيدالله بن جحش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة؛ وقيس بن عبدالله، رجل من بني أسد بن خُزيمة، معه امرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أُميّة؛ ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة. وهؤلاء آل سعيد بن العاص، سبعة نفر. قال ابن هشام: مُعَيقيب من دوس.

المهاجرون من بني عبد شمس: قال ابن إسحاق: ومن بني عبد شمس بن عبد مَناف، أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس؛ وأبو موسى الأشعري، واسمه عبدالله بن قيس، حليف آل عُتبة بن ربيعة، رجلان.

المهاجرون من بني نوفل: ومن بني نَوفل بن عبد مَناف: عُتبة بن غزوان بن جابر بن وهْب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خصفة، بن قيس بن عيلان، حليف لهم، رجل.

المهاجرون من بني أسد: ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ: الزُبَير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد، والأسود بن نَوفْل بن خُويلد بن أسد، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد. وعمر بن أميّة بن الحارث بن أسد، أربعة نفر.

المهاجرون من بني عبد بن قُصَيّ: ومن بني عبد بن قُصَيّ: طُلَيب بن عُمَير بن وهْب بن أبي كبير بن عبد بن قُصَيّ، رجل.

المهاجرون من بني عبد الدّار بن قُصَيّ: ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار، وسُويبط بن حَرْملة بن مالك بن عُمَيلة بن السبّاق بن عبد الدار، وجهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مَناف بن عبدالدار، معه امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جَذِيمة بن أقيش بن علمر بن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مليح بن عمرو، من خُزاعة؛ وابناه عمرو بن جهم وخُزيمة بن جهم. وأبو الروم بن

عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار؛ وفراس بن النضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بني زهرة: ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة؛ وعامر بن أبي وقّاص وأبو وقّاص، مالك بن أهيب بن عبد مَناف بن زُهرة؛ والمطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وَلَدَت له بأرض الحبشة عبدَالله بنَ المطّلب.

المهاجرون من بني هُذَيل: ومن حلفائهم من هُذَيْل: عبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهَل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل. وأخوه: عُتبة بن مسعود.

المهاجرون من بهراء: ومن بهراء: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لُؤَيّ[1] بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهوز بن أبي فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذرّ، ودَهير[2] بن ثور.

قال ابن اسحاق: وكان يقال له المِقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهرة، وذلك أنه تبنّاه في الجاهلية وحالفه، ستّة نفر.

المهاجرون من بني تَيْم: ومن بني تَيْم بن مُرّة: الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم، ولدت له بأرض الحبشة

(١) في الأصول «ثور» والتصويب عن شرح السيرة لأبي ذرّ الخشني ٩٩ طبعة القاهرة ١٣٢٩.
(٢) دهير: بفتح الدال وكسر الهاء. قال أبو ذر في شرح السيرة: دهير: بالتصغير، ورُوي أيضاً: دهير: بالياء المفتوحة.

موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، رجلان.

المهاجرون من بني مخزوم: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة: أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ومعه امرأته أم سَلَمَة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وَلَدَت له بأرض الحبشة زينبَ بنتَ أبي سَلَمَة، واسم أبي سَلَمَة عبدالله، واسم أم سلمة: هند: وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن سُوَيد بن هرمي بن مخزوم.

خبر الشمّاس: قال ابن هشام: واسم شمّاس: عثمان، وإنما سُمّي شمّاساً، لأنّ شمّاساً من الشمامسة[1]، قدِم مكة في الجاهلية، وكان جميلاً فعجِب الناس من جماله، فقال عُتبة بن ربيعة، وكان خال شمّاس: أنا آتيكم بشمّاسٍ أحسن منه، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان، فسُمّي شمّاساً فيما ذكر ابن شهاب وغيره.

قال ابن إسحاق: وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وأخوه عبدالله بن سفيان؛ وهشام بن أبي حُذَيفة بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم؛ وسَلَمَة بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم؛ وعيّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم: ومن حلفائهم، مُعتِّب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كُلَيب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو، من خُزاعة، وهو الذي يقال له عَيْهامة، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال حبشية بن سلول، وهو الذي يقال له مُعتِّب بن حمراء.

---

(١) الشمامسة: هم الرهبان، لأنهم يشمّسون أنفسهم، يريدون تعذيب النفوس بذلك.

المهاجرون من بني جُمَح: ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب، عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخواه قُدامة بن مظعون، وعبدالله بن مظعون؛ وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر؛ وابناه: محمد بن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلّل؛ وأخوه حَطّاب بن الحارث، معه امرأته فُكيهة بنت يسار؛ وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، معه ابناه جابر بن سفيان، وجُنادة بن سفيان، ومعه امرأته حسنة، وهي أمّهما، وأخوهما من أمّهما شُرَحْبيل بن حَسَنَة، أحد الغوث.

قال ابن هشام: شُرَحْبيل بن عبدالله أحد الغوث بن مُرّ، أخي تميم بن مُرّ.

قال بن إسحاق: وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح، أحد عشر رجلاً.

المهاجرون من بني سهم: ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، خُنَيس بن حُذافة بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهم؛ وعبدالله بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهل، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم.

قال ابن هشام: العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم.

قال ابن إسحاق: وقيس بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ وعبدالله بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم؛ والحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم، وأخ له من أمّه من بني

تميم، يقال له: سعيد بن عمرو؛ وسعيد بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم؛ وعُمير بن رِئاب بن حُذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم. ومحمية بن الجزاء، حليف لهم، من بني زَبيد، أربعة عشر رجلاً.

المهاجرون من بني عديّ: ومن بني عديّ بن كعب: مَعْمَر بن عبدالله بن نضلة بن عبدالعُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وعُرْوة بن عبد العُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وعدِيّ بن نضلة بن عبدالعُزَّى بن حرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدِيّ؛ وابنه النعمان بن عدِيّ؛ وعامر بن ربيعة، حليف لآل الخطّاب، من عنز بن وائل، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم. خمسة نفر.

المهاجرون من بني عامر: ومن بني عامر بن لُؤَيّ: أبو سبرة بن أبي رُهْم بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وعبدالله بن مخرمة بن عبدالعُزَّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وسُليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وأخوه السكران بن عمرو، ومعه امرأته سَودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ ومالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر، معه أمرأته عمرة بنت السعديّ بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وسعد بن خَولة، حليف لهم. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَولة من اليمن.

المهاجرون من بني الحارث؛ قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن

فِهْر أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهْر، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهْب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث، ولكنّ أمّه غلبت على نَسَبه، فهو يُنسب إليها، وهي دعد بنت جُحْدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فِهْر، وكانت تُدعى بيضاء؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث؛ وعِياض بن زُهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة؛ وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضبّة بن الحارث، وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبّة بن الحارث، وسعد بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظرب بن الحارث، والحارث بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر بن أميّة بن ظرب بن الحارث بن فِهْر. ثمانية نفر.

عدد مهاجري الحبشة: فكان جميع من لحِق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلًا، إن كان عمّار بن ياسر فيهم، وهو يُشكّ فيه[1].

شعر عبدالله بن الحارث في هجرة الحبشة: وكان مما قيل من الشعر في الحبشة أنّ عبدالله بن الحارث بن قيس بن عدِيّ بن سعد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشيّ جوارهم حين نزلوا به، قال:

يا راكباً بلِّغَنْ عنّي مغلغلةً[2]	من كان يرجو بلاغَ الله والدِّينِ
كلَّ امرىءٍ من عباد الله مضطَّهَدٍ	ببطن مكّةَ مقهورٍ ومفتون
أنّا وجدْنا بلادَ الله واسعةً	تُنجي من الذُّلّ والمخزاة والهُون

(١) راجع أسماء المهاجرين وعدّتهم في: السير والمغازي ١٧٦، ١٧٧، وتاريخ الطبري ٢/٣٣١، ونهاية الأرب ١٦/٢٣٢، ٢٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٨٤، ١٨٥، عيون الأثر ١/١١٥.
(٢) المغلغة: الرسالة.

فــلا تُقيمـوا على ذُلّ الحيــاة وخـزْ ي ٍ في الممـات وعَيْبٍ غير مـأمـون
إنّـا تبِعْنـا رسـول[1] الله واطـرحـوا قـولَ النّبيّ وعـالـوا[2] في المـوازين
فاجعلْ عذابك في القوم الذين بَغَوْا وعائذ[3] بـك أن يغلوا[4] فيطغـوني[5]

وقال عبدالله بن الحـارث أيضاً، يـذكر نفْي قـريش إيّاهم من بـلادهم، ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبت كَبِـدي، لا أكـذِبَنْـك، قتـالَهم عــليّ وتـأبـاه عـليّ أنـامِـلي
وكيف قِتـالي مَعْشَـراً أدّبُـوكـم[6] على الحقّ أن لا تَـأشِبـوه[7] ببـاطـل
نَفَتْهم عبـادُ الجنّ[8] من حُرّ أرضِهم فأضْحَوْا على أمرٍ شَديد[9] البلابـل[10]
فـإنْ تـكُ كـانت في عَـدِيّ أمـانـة عديّ بن سعد عن تُقًى أو تـوَاصل[11]
فقــد كنتُ أرجـو[12] أنّ ذلــك فيكُمُ بحمـد الـذي لا يُـطَبَّى[13] بالجعائل
وبُـدِّلت شِبـلاً شبـلَ كـلّ خبيثـة[14] بذي فَجَر[15] مأوَى الضّعاف الأرامل[16]

وقال عبدالله بن الحارث أيضاً:

---

(١) وفي رواية «نبيّ».
(٢) عالوا: خانوا.
(٣) وفي رواية «وعائذاً».
(٤) وفي رواية «يعلوا» بالمهملة.
(٥) الأبيات في تاريخ الإسلام (السيرة) ١٨٥، والسير والمغازي ٢٢١.
(٦) في السير والمغازي «معشر يأدبونهم».
(٧) تأشبوه: تخلطوه. وفي السير «يأشبوه».
(٨) في السير: «نفيتم عبـاد الله».
(٩) في السير «كثير».
(١٠) البلابل: وساوس الأحزان.
(١١) في السيـر «من يفي ويواصل».
(١٢) في السير «أحسب».
(١٣) لا يُطَبَّى بالجعائل: لا يُستمال بالرشوة.
(١٤) في السير والمغازي «كتيبة».
(١٥) الفجر: العطاء، وفي السير «فخرها».
(١٦) الأبيات في السير والمغازي ٢٢١.

وتـلك قــريشٌ تجـحــدُ الله حـقَّــه | كمـا جَحَدت عـادٌ ومَـدْينُ والحِجْـرُ
فــإنْ أنــا لـم أبْــرِق فــلا يَسعَنَّـنـي | من الأرض بَــرٌّ ذُو فَضـاء ولا بحــر
بــأرض بهــا عَبْــدَ الإلــهَ محمــدٌ | أُبيِّن مــا في النفس إذ بُلغ النَّقْـر[1]

فسُمِّي عبدالله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ لبيته الذي قال: «المُبْرِق».

وقـال عثمان بن مـظعون يعـاتب أُميَّة بن خَلَف بن وهْب بن حُـذافـة بن جُمَح، وهو ابن عمّه وكان يؤذيه في إسلامـه، وكان أُميّـة شريفـاً في قومـه في زمانه ذلك:

أتيم بن عمـرو[2] للَّذي جاء بِغْضَـةً | ومن دونـه الشِّرمـان والبَرْكُ أكتـعُ[3]
أأخــرجتني من بــطْن مـكَّــةَ آمِنــا | وأسكنتني في صرْح بيضاءَ تقـذع[4]
تَــريشُ نِبـالاً لا يُــواتيــكَ ريشُهــا | وتبــرى نبْـالاً ريشُهــا لـكَ أجمــعُ
وحــاربْتَ أقـوامــاً كِــرامــاً أعِــزَّةً | وأهلكْتَ أقــوامــاً بهم كنت تفــزعُ
ستعلمُ إنْ نــابتْــك يــومــاً مُـلِمَّــةٌ | وأَسْلَمَكَ الأوباش[5] ما كنت تصنع[6]

وتَيْم بن عمرو، الذي يدعو عثمان، جُمحُ، كان اسمه تَيْماً.

إرسال قريش إلى الحَبَشة في طلب المهاجرين إليها

قـال ابن إسحاق: فلمـا رأت قريش أنّ أصحـاب رسول الله ـ ﷺ ـ قـد أمِنوا واطمأنُّوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمـروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلْدين إلى النّجاشيّ، فيردّهم عليهم، ليفتنـوهم في دِينهم، ويخرجـوهم من دارهم، التي اطمأنّـوا بها وأمِنـوا فيها؛

---

(١) النقر: البحث.
(٢) في تاريخ الإسلام «عوف».
(٣) الشرمان: تثنية شرم وهو لُجّة البحر. والبرك: الإبل الباركة.
(٤) صرح بيضاء: مدينة الحبشة. وتقذع: تكره.
(٥) الأوباش: الضعفاء.
(٦) الأبيات في تاريخ الإسلام ١٨٥، ١٨٦.

فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرَو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنَّجاشيّ ولبطارقته[1]، ثم بعثوهما إليه فيهم.

شعر أبي طالب للنَّجاشيّ: فقال أبو طالب: حين رأى ذلك في رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنَّجاشيّ يحضّه على حُسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النّأي[2] جعفرٌ ... وعمرو وأعداء العدوّ الأقاربُ
وهل نالت أفعالُ النّجاشيّ جعفراً ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب
تعلّمْ، أبَيْتَ اللَّعْنَ، إنّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشْقَى لديك المُجانب[3]
تعلَّمْ بأنّ الله زادك بَسْطَةً ... وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازب[4]
وأنّك فَيْضٌ ذو سِجال[5] غزيرةٍ ... يَنال الأعادي نفعَها والأقارِبُ[6]

حديث أمّ سَلَمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشيّ: قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن مسلم الزُهْريّ، عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ، عن أمّ سَلَمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة زوج رسول الله ـ ﷺ ـ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النّجاشيّ، أمِنّا على دِيننا، وعَبَدْنا الله تعالى، لا نُؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النّجاشيّ فينا رجلين منهم جلْدين. وأن يهدوا للنّجاشِيّ هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[7]، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلاّ أهدوا له هديّة، ثم بعثوا بذلك عبدَالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كلّ بطريق هديّته قبل أن

---

(١) قوّاده.
(٢) النأي: البعد.
(٣) المُجانب: الداخل في الحمى.
(٤) لازب: لاصق.
(٥) السجال: الدلاء المملوءة أو الرطبة.
(٦) راجع الأبيات في السير والمغازي ٢٢١، ٢٢٢.
(٧) الأدم: الجلود.

تكلّما النّجاشيّ فيهم، ثم قدّما إلى النجاشيّ هداياه، ثم سلاه أن يسلّمهم إليكما قبل أن يكلّمهم. قالت: فخرجا حتى قدِما على النّجاشيّ، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلّا دفعا إليه هديّته قبل أن يكلّما النّجاشيّ، وقالا لكلّ بطريق منهم: إنه قد ضوى(١) إلى بلد الملك منّا غلمان سُفهاء، فارقوا دِين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدَعَ، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافَ قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلّمَنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلّمهم إلينا ولا يكلّمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينا(٢)، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشيّ فقبِلها منهما، ثم كلّماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دِين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدِين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النّجاشيّ. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقاً أيّها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النّجاشيّ، ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلّمهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنّجاشيّ: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال

(١) ضوى: لجأ.
(٢) أي أبصر بهم من غيرهم.

بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علّمنا، وما أمرنا به نبّينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشيّ أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدّين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في دِيني، ولا في دين أحد من هذه المِلَل؟ قالت: فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بِصدْق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرحِم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُور، وأكل مال اليتيم، وقذْف المُحْصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت: فعدّد عليه أمور الإسلام ـ فصدّقناه وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النّجاشيّ: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشيّ: فاقرأه عليّ؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من «كٓهيعٓصٓ»[1]. قالت: فبكى والله النّجاشيّ حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلّوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال النجاشيّ: إنّ هٰذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاة واحدة، انطلِقا، فلا والله لا أسلّمهم إليكما، ولا يُكادون.

---

(١) أول سورة مريم.

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشيّ: قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإنّ لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا؛ قال: والله لأخبرنّه أنهم يزعمون أنّ عيسى بن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قطّ. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيّنا كائناً في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبّينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول قالت: فضرب النجاشيّ بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العود. قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم[1]: الآمنون ـ من سبّكم غُرِّم، ثم قال: من سَبَّكم غُرِّم، ثم قال: من سَبَّكم غُرِّم. ما أحبّ أنّ لي دبراً من ذهب، وأنِّي آذيت رجلاً منكم ـ **قال ابن هشام**: ويقال دبري من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم. والدبر، بلسان الحبشة: الجبل ـ ردّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرِّشْوة حين ردّ عليّ مُلكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي: قالت فوالله إنّا لعلى ذلك، إذ

---

(١) يقول السهيلي في الروض الأنف: يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقّة أو تكون مشتقّة من شمْت السيف إذا أغمدته؛ لأنّ الآمن مغمد عنه السيف (ج ٢ ص ٩٢).

نزل به رجل من الحبشة ينازعه في مُلكه. قالت: فوالله ما علمتُنا حزنّا حزناً قطّ كان أشدّ علينا من حزنٍ حزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً أن يظهر ذلك الرجل على النّجاشيّ، فيأتي رجل لا يعرف من حقّنا ما كان النّجاشيُّ يعرف منه. قالت: وسار إليه النّجاشيُّ وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله - ﷺ -: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزُبير بن العوّام: أنا، قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سنّاً. قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنّجاشيّ بالظهور على عدوّه، والتمكين له في بلاده. قالت: فوالله إنّا لَعَلَى ذلك متوقّعون لما هو كائن، إذ طلع الزُبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشِروا، فقد ظفر النّجاشيّ، وأهلك الله عدوّه، ومكّن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فرِحْنا فرحةً قطّ مثلها قالت: ورجع النجاشيّ، وقد أهلك الله عدوّه، ومكّن له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنّا عنده في خير منزل، حتى قدِمنا على رسول الله - ﷺ - وهو بمكة[1].

قصة تملّك النّجاشيّ على الحبشة

قتل أبي النّجاشيّ وتملّك عمّه: قال ابن إسحاق: قال الزُهْريّ: فحدّثت عُروةَ بن الزُبير حديثَ أبي بكر بن عبدالرحمن، عن أمّ سَلَمة زوج النبي ﷺ، **فقال:** هل تدري ما قوله: ما أخذ الله منّي الرِّشوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ **قال:** قلت: لا، قال: فإنّ عائشة أم المؤمنين حدّثتني أنّ أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النّجاشيّ، وكان للنجاشيّ عمّ، له من صُلبه اثنا عشر رجلاً، فتوارثوا

(١) السير والمغازي ٢١٣ - ٢١٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢ - ٧٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨١ - ٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥، نهاية الأرب ١٦/٢٤٧ - ٢٥٠، تاريخ الإسلام ١٩٠ - ١٩٤، عيون التواريخ ١/٧٢ - ٧٤.

مُلكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهـراً، فغدوا على أبي النجـاشيّ فقتلوه، وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً.

الحبشة تبيع النجاشيّ: ونشأ النجاشيّ مع عمـه، وكان لبيبـاً حازمـاً من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانـه منـه قالت بينهـا: والله لقد غلب هـذا الفتى على أمر عمـه، وإنّا لنتخـوّف أنْ يملّكه علينا، وإنْ ملّكه علينا ليقتلنـا أجمعين، لقد عـرف أنّا نحن قتلنـا أباه. فمشـوا إلى عمّه فقـالوا: إمـا أن تقتل هـذا الفتى، وإمـا أن تخـرجـه من بين أظهُرِنا، فإنّا قـد خفناه على أنفسنـا؛ قال: ويلكم! قتلت أبـاه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجّار بستّ مئة دِرهم؛ فقذفه في سفينة فانطلق به، حتى إذا كـان العشيّ من ذلـك اليوم، هـاجت سحابـة من سحائب الخـريف فخرج عمّـه يستمـطر تحتها، فأصابته صـاعقة فقتلتـه. قالت: ففـزعت الحبشة إلى ولـده، فإذا هـو محمق، وليس في ولده خير، فَمَرَج على الحبشة أمرهم[1].

تـولية النّجـاشيّ المُلْك: فلما ضـاق عليهم ما هم فيـه من ذلـك، قـال بعضهم لبعض: تعلّمـوا والله أنّ ملككم الذي لا يقيم أمـركم غيره للذي بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حـاجة فـأدركوه الآن، قـالت: فخرجـوا في طلبه، وطَلبِ الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه، فأخذوه منـه؛ ثم جاءوا بـه فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، فملّكوه.

حديث التاجر الذي اشتـراه: فجاءهم التـاجر الـذي كانـوا باعـوه منه، فقال: إمّا أن تعطوني مالي، وإما أن أكلّمه في ذلك؟ قالوا: لا نعطيـك شيئاً، قال: إذن والله أكلّمه؛ قالوا: فدونك وإياه. قالت: فجـاءه فجلس بين يديـه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاماً من قـوم بالسـوق بستّ مئة درهم، فـأسلموا إليّ غـلامي وأخـذوا دراهمي، حتى إذا سـرت بغـلامي أدركـوني، فـأخـذوا

(١) مَرَج الأمر: اختلط.

غلامي، ومنعوني دراهمي. قالت: فقال لهم النجاشيّ: لتعطُنّه دراهمَه، أو ليضعَنَّ غلامه يده في يده، فليذهبنَّ به حيث شاء؛ قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله منّي رِشْوة حين ردّ عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه. قالت: وكان ذلك أول ما خُبِر من صلابته في دِينه، وعدله في حُكمه[1].

قال ابن إسحاق: وحدّثني يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما مات النجاشيّ، كان يُتَحَدَّث أنه لا يزال يُرى على قبره نور[2].

إسلام النّجاشيّ والصلاة عليه وخروج الحَبَشَة عليه

قال ابن إسحاق: وحدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنّجاشيّ: إنّك قد فارقت دِيننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإنْ هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ويشهد أنّ عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم؛ ثم جعله في قبائه عند المنْكَب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحقّ الناس بكم؟ قالوا. بلى؛ قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا. خير سيرة؛ قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت دِيننا، وزعمت أنّ عيسى عبد؛ قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله؛ فقال النجاشيّ، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أنّ عيسى بن

---

(١) السير والمغازي ٢١٦، ٢١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨٣، ٨٤، نهاية الأرب ١٦/٢٥٠ ـ ٢٥٢، تاريخ الإسلام ١٩٤، ١٩٥.

(٢) السير والمغازي ٢١٩.

مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنّما يعني ما كتب، فرضوا وانصـرفوا[1]. فبلغ ذلك النّبيَّ ﷺ؛ فلما مات النّجاشيّ صلّى عليه، واستغفر له[2].

(١) وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صُراحاً، ولا أن يعـطي بلسانـه الكفر وإنْ أكرِه، ما أمكنته الحيلة، وفي المعاريض مندوحة عن الكِذب. (الروض الأنف ٢/ ٩٤).

(٢) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسـع، ونعاه رسـول الله - ﷺ - إلى الناس في اليـوم الذي مات فيه، وصلّى عليه بالبقيع، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمـدينة، فصلّى عليه. (الروض الأنف ٣/ ٩٤).

إسلام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[1]

قـال ابن إسحاق: ولمـا قدِم عمـرو بن العاص وعبـدالله بن أبي ربيعة على قـريش، ولم يدركـوا ما طلبـوا من أصحاب رسـول الله - ﷺ -، وردّهما النّجاشيّ بما يكرهون، وأسلم عمـر بن الخطّاب، وكـان رجلاً ذا شكيمـة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله - ﷺ - وبحمزة حتى عـازوا[2] قـريشاً، وكـان عبدالله بن مسعـود يقـول: مـا كنّا نقـدر على أن نصلّي عنـد الكعبـة، حتى أسلم عمر، فلمـا أسلم قاتـل قريشـاً حتى صلّى عند الكعبـة، وصلّينـا معه، وكـان إسلام عمـر بعد خـروج من خـرج من أصحـاب رسـول الله - ﷺ - الى الحبشة.

قـال البكّائي: قـال: حدّثني مِسْعَـر بن كُدام، عن سعـد بن إبراهيم، قال: قال عبدالله بن مسعود: إنّ إسـلام عمر كـان فتحاً، وإنّ هجـرته كـانت نصـراً، وإنّ إمارتـه كانت رحمـة، ولقد كنّـا ما نصلّي عنـد الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة، وصلّينا معه[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧، السير والمغازي ١٨١، نهايـة الأرب ١٦/٢٥٣، عيون التـواريخ ١/٧٥، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٧٢، عيون الأثر ١/١٢١، سيـرة ابن كثير ٢/٣٢، سبـل الهدى ٢/٤٩٣.

(٢) عازوا: غلبوا.

(٣) السير والمغازي ١٨٥، الطبقات الكبرى ٣/٢٧٠، مناقب عمر لابن الجوزي ١٨.

حـديث أم عبدالله بنت أبي حثمـة عن إسلام عمـر: قـال ابن إسحـاق: حـدّثني عبد الـرحمن بن الحارث بن عبـدالله بن عيّاش بن أبي ربيعـة، عن عبـد العزيـز بن عبدالله بن عـامـر بن ربيعـة، عن أمّـه أم عبـدالله بنت أبي حثمة، قالت:

والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطّاب حتّى وقف عليَّ وهو على شِرْكه ـ قالت: وكنّا نلقى منـه البلاء أذًى لنـا وشدّة علينـا ـ قالت: فقـال: إنّه لـلانطلاق يـا أم عبدالله. قالت: فقلت: نعم والله، لنخرجنّ في أرض الله، آذيتمونا وقهـرتمونـا، حتى يجعل الله مخرجاً. قالت: فقال: صحِبكم الله، ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجُنا. قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفاً ورقّته وحزْنه علينـا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلا يُسلم الذي رأيت حتى يُسلم حمار الخطّاب؛ قالت: يأساً منه، لما كان يُرى من غِلظته وقسْوته على الإسلام[1].

سبب إسلام عمر: **قـال ابن إسحاق**: وكـان إسلام عمـر فيما بلغني أنّ أختـه فاطمـة بنت الخطّاب وكـانت عند سعيـد بن زيد بن عمـرو بن نُفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعْلُها سعيد بن زيـد، وهما مستخفيـان بإسـلامهما من عمـر، وكان نُعيم بن عبـدالله النّحّام من مكـة، رجل من قـومه، من بني عدِيّ بن كعب قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فَرَقـاً من قومـه، وكان خبّـاب بن الأرتّ[2] يختلف إلى فاطمـة بنت الخطّاب يقـرئها القـرآن، فخرج عمر يوماً متوشّحاً سيفه يريد رسول الله ـ ﷺ ـ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له

---

(١) السير والمغازي ١٨١، تاريخ الإسلام ١٨١، عيون التواريخ ١/٧٥.

(٢) وكان خبّاب تميمياً بالنَّسب، كما كان خُزاعياً بالولاء لأمّ أنمار بنت سباع الخُزاعي، وكان قد وقع عليه سباء، فاشترته وأعتقته، فولاؤه لهـا. وكان أبـوها حليفاً لعوف بن عبـد عوف بن عبدالحارث بن زُهرة، فهو زُهريّ بالحلف. وهـو ابن الأرتّ بن جَنْدلـة بن سعد بن خُـزيمة ابن كعب بن زيد مَناة بن تميم، وكـان قَيْناً يعمـل السيوف في الجـاهلية. (الـروض الأنف ٢/٩٨).

أنهم قـد اجتمعوا في بيتٍ عنـد الصّفا، وهم قـريب من أربعين ما بين رجـال ونساء، ومع رسول الله ـ ﷺ ـ عمه حمزة بن عبد المطّلب، وأبو بكر بن أبي قُحـافة الصِّـدِّيق، وعليّ بن أبي طالب، في رجـالٍ من المسلمين رضى الله عنهم، ممن كان أقام من رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نُعَيم بن عبـدالله، فقال لـه: أين تريـد يا عمـر؟ فقال: أريد محمداً هـذا الصابيء، الـذي فرّق أمـر قريش، وسفّـه أحلامهـا، وعاب دِينها، وسبّ آلهتها، فأقتله؛ فقال له نُعَيم: والله لقد غرَّتْك نفسُك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مَناف تاركيـك تمشي على الأرض وقد قتلت محمـداً! أفلا ترجـع إلى أهل بيتـك فتقيم أمرهم؟ قـال: وأيّ أهل بيتي؟ قـال: ختنك وابن عمّك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطّاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمداً على دِينه، فعليك بهمـا؛ قال: فـرجع عمـر عامـداً إلى أخته وختنه، وعندهما خبّـاب بن الأرتّ معه صحيفـة، فيها: «طَـه» يُقرئهمـا إيـاها، فلمـا سمعوا حسّ عمـر، تغيّب خبّـاب في مخـدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطّاب الصحيفـة فجعلتها تحت فخِـذِها، وقـد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما، فلمـا دخل قـال: ما هـذه الهَيْنَمَة[1] التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً؛ قال: بلى والله لقـد أُخبرت أنّكما تابعتمـا محمداً على دينـه، وبطش بختنـه سعيد بن زيـد؛ فقامت إليـه أخته فاطمة بنت الخَطّاب لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجّها؛ فلما فعـل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع مـا بدا لـك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نـدم على ما صنـع، فارْعَـوَى، وقال لأختـه: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفـاً أنظر مـا هذا الـذي جاء بـه محمد، وكان عمر كاتباً؛ فلما قال ذلك، قـالت له أختـه: إنّا نخشـاك عليها؛ قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهتـه ليردّنّهـا إذا قرأهـا إليها؛ فلمـا قال ذلـك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنّك نَجِس، على شِـرْكك، وإنـه لا

(١) الهينمة: صوت الكلام الذي لا يُفهم.

يمسّها إلّا الطّاهر[1]»، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه». فقرأها؛ فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إنّي لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبّيه، فإنّي سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام، أو بعمر بن الخطّاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلّني يا خبّاب على محمد حتى آتِيَه فأُسْلِم؛ فقال له خبّاب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشّحه، ثم عمد إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه، فضرب عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشّحاً السيف، فرجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطّاب متوشّحاً السيف؛ فقال حمزة بن عبدالمطّلب: فَأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإنْ كان يريد شرّاً قتلناه بسيفه؛ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: ائذن له، فأذِنَ له الرجل، ونهض إليه رسول الله ـ ﷺ ـ حتى لقِيه في الحجرة، فأخذ حجزته[2]، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جَبْذَة شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطّاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبّر رسول الله ـ ﷺ ـ تكبيرة عرف أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أنّ عمر قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم

---

(١) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمسّ القرآن وقول أخته له: «لا يمسّه إلا المطهّرون»: والمطهّرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطّا، واحتجّ بالآية الأخرى التي في سورة عَبَس ولكنّهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقروناً بذكر المسّ ما يقتضي ألّا يمسّه إلا طاهر، اقتداء بالملائكة المطهّرين، فقد تعلّق الحكم بصفة التطهير، ولكنّه حكم مندوب إليه، وليس محمولاً على الفرض وإنْ كان الفرض فيه أبيَن لأنه جاء بلفظ النهي عن مسّه على غير طهارة ـ راجع (الروض ٢/٩٨ ـ ٩٩).

(٢) موضع شد الإزار.

حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله - ﷺ -، وينتصفون بهما من عدوّهم. فهذا حديث الرُّواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطّاب حين أسلم[1].

ما رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر: قال ابن إسحاق: وحدّثني عبدالله بن أبي نَجِيح المكّي عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمّن روى ذلك: أنّ إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مُباعِداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبّها وأسرّ بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزْوَرة، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أنّي جئت فلاناً الخمّار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعليّ أجد عنده خمراً فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أنّي جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم يصلّي، وكان إذا صلّى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مُصَلّاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيته، والله لو أنّي استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنّه؛ فجئت من قِبل الحِجْر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويداً، ورسول الله - ﷺ - قائم يصلّي يقرأ القرآن، حتى قمت في قِبْلته مستقبلَه، ما بيني وبينه إلّا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله - ﷺ - صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/٢٦٧ - ٢٦٩، السير والمغازي ١٨١ - ١٨٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٧٩، ٨٠، مناقب عمر لابن الجوزي ١٢، ١٣ و١٩، صفة الصفوة ١/٢٧٢، تاريخ الإسلام ١٧٩، ١٨٠، نهاية الأرب ١٦/٢٥٣ - ٢٥٦، عيون التواريخ ١/٧٥ - ٧٧.

ابن أبي حسين، وكانت طريقه، حتى يجزع[1] المسعى، ثم يسلك بين دار عباس بن المطّلب، وبين دار ابن أزهر بن عبد عَوف الزهْريّ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنه ﷺ في الدار الرَّقْطاء[2]، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سُفيان. قال عمر رضي الله عنه: فتبِعْتُه حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركته؛ فلما سمع رسول الله - ﷺ - حسّي عرفني، فظنّ رسول الله - ﷺ - أنّي إنّما تبِعته لأوذيه فنهمني[3] ثم قال ما جاء بك يا بن الخطّاب هذه الساعة؟ قال: قلت: لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول الله - ﷺ -، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله - ﷺ -، ودخل رسول الله - ﷺ - بيته.

قال ابن إسحاق: والله أعلم أيَّ ذلك كان.

ثبات عمر في إسلامه: **قال ابن اسحاق**: وحدّثني نافع مولى عبدالله ابن عمر، عن ابن عمر قال: لما أسلم أبي عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر[4] الجُمحي. قال: فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقِل كلّ ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنّي قد أسلمت ودخلت في دِين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه واتّبعه عمر، واتّبعت

---

(١) يجزع: يقطع.
(٢) الرقطاء: الملونة.
(٣) نهمني: زجرني.
(٤) جميل هذا هو الذي كان يقال له: ذو القلبين، وفيه نزلت في أحد الأقوال ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾، وفيه قيل:

وكَيف ثوائي بالمدينة بعد ما ... قضى وطراً منها جميل بن مَعْمَر

وهو البيت الذي تغنّى به عبدالرحمن بن عوف في منزله، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنّى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدي به الركاب، فلما دخل عمر قال له عبدالرحمن: إنّا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم: وقلب المبرّد هذا الحديث، وجعل المنشد عمر، والمستأذن عبدالرحمن، ورواه الزبير كما تقدّم. (انظر الروض ٢/١٠١)

أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إنّ عمر بن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذِب، ولكنّي قد أسلمت، وشهدت أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح[1]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلِف بالله أنْ لو قد كنّا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا؛ قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلّة حِبَرَة[2]، وقميص مُوَشّى[3]، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا عمر؛ فقال: فمَه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن كعب يُسلّمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنّما كانوا ثوباً كُشِط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبتِ، مَن الرجل: الذي زجر القوم عنك بمكّة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بُنّي، العاص بن وائل السهميّ[4].

قال ابن هشام: وحدّثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكّة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك جزاه الله خيراً؟ قال: يا بُنيّ، ذلك العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً[5].

قال ابن إسحاق: وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث، عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكّرت أيَّ أهل مكة أشدّ لرسول الله ـ ﷺ ـ عداوة حتى آتِيه فأخبره أنّي قد أسلمت؛

---

(١) طَلِح: تعب وأعيا.

(٢) الحِبَرَة: نوع من برود اليمن.

(٣) في السير والمغازي «قومسيّ» ولعلّه نسبة إلى قومس الكورة الكبيرة الواسعة المشتملة على مدن وقرى ومزارع في ذيل جبل طبرستان. كما ذكر ياقوت.

(٤) السير والمغازي ١٨٤، ١٨٥، نهاية الأرب ٢٥٦/١٦، ٢٥٧، تاريخ الإسلام ١٧٦، مناقب عمر لابن عمر لابن الجوزي ١٤، ١٥.

(٥) نهاية الأرب ٢٥٧/١٦.

قـال: قلت: أبو جهـل ـ وكان عمـر لحنتمة بنت هشـام بن المغيـرة ـ قـال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليـه بابـه. قال: فخـرجُ إليّ أبو جهـل، فقـال: مرحبـاً وأهلاً بـابن أختي، ما جـاء بك؟ قلت: جئت لأخبـرك أنّي قد آمنت بالله وبرسـوله محمـد، وصدّقت بمـا جاء بـه؛ قال: فضـرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله، وقبّح ما جئت به.

بعون الله وحسن توفيقه ـ انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليـه إن شاء الله الجزء الثاني وأوله خبر الصحيفة.

١ - فهرس الآيات الكريمة
حسب ورودها في الجزء

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس
قوافي الشعر والأراجيز

٤ ـ فهرس الأعلام

ز

ش

غ

ن

و

ي

٥ - فهرس
الأماكن والبلدان

٦ ـ فهرس المصادر والمراجع
المعتمدة في التحقيق

أ

١ ـ **أخبار مكة** ـ للأزرقي.

٢ ـ **أدب الدنيا والدين** ـ للماوردي.

٣ ـ **إرشاد الساري**، شرح البخاري.

٤ ـ **الاستبصار** ـ للمراكشي.

٥ ـ **الإستيعاب** ـ لابن عبد البرّ.

٦ ـ **أسد الغابة** ـ لابن الأثير.

٧ ـ **الاشتقاق** ـ لابن دُرَيد.

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لابن حجر.

٩ ـ **الأصنام** ـ للكلبي.

١٠ ـ **الأعلام** ـ لخير الدين الزركلي.

١١ ـ **الأغاني** ـ لأبي الفرج الأصبهاني.

١٢ ـ **الإكتفاء** ـ للكلاعي.

١٣ ـ **الأمّ** ـ للإمام الشافعي.

١٤ ـ **الأمالي** ـ لأبي علي القالي.

١٥ ـ **أمالي المرتضى** ـ للشريف المرتضى.

١٦ ـ **الإمتاع والمؤآنسة** ـ للمقريزي.

١٧ ـ **الأموال** ـ لأبي عبيد بن سلام.

١٨ ـ **أنساب الأشراف** ـ للبلاذُري.

١٩ ـ **أنساب الخيل** ـ للكلبي.

٢٠ ـ **إنسان العيون** ـ لنور الدين الحلبي.

ب

٢١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ** ـ لابن كثير.

٢٢ ـ **البدء والتاريخ** ـ للمطهّر المقدسي.

٢٣ ـ **بصائر ذوي التمييز** ـ للفيروزابادي.

٢٤ ـ **البصائر والذخائر** ـ للتوحيدي.

٢٥ ـ **بلوغ الأرب في أحوال العرب** ـ للآلوسي.

٢٦ ـ **البيان والتبيين** ـ للجاحظ.

ت

٢٧ ـ **تأويل مشكل القرآن** ـ للبيضاوي.

٢٨ ـ **تاج العروس** ـ للزَّبيدي.

٢٩ ـ **تاريخ الآداب العربية** ـ لبروكلمان.

٣٠ ـ **التاريخ** ـ لابن مَعِين.

٣١ ـ **التاريخ** ـ لأبي زُرْعة.

٣٢ ـ **تاريخ الإسلام** (السيرة النبوية) للذهبي، (بتحقيقنا).

٣٣ ـ **تاريخ الإسلام** (المغازي) ـ للذهبي، (بتحقيقنا).

٣٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادي.

٣٥ ـ **تاريخ خليفة** ـ لخليفة بن خيّاط.
٣٦ ـ **تاريخ الخميس** ـ للديار بكري.
٣٧ ـ **تاريخ دمشق** ـ (السيرة النبوية) ـ لابن عساكر.
٣٨ ـ **تاريخ الرسل والملوك** ـ للطبري.
٣٩ ـ **التاريخ الكبير** ـ للإمام البخاري.
٤٠ ـ **تاريخ اليعقوبي** ـ لابن واضح اليعقوبي.
٤١ ـ **تذكرة الحُفّاظ** ـ للذهبي.
٤٢ ـ **التذكرة الحمدونية** ـ لابن حمدون.
٤٣ ـ **التذكرة السعديّة** ـ للعبيدي.
٤٤ ـ **التذكرة الفخرية** ـ للإربليّ.
٤٥ ـ **تسديد القوس** ـ لابن حجر.
٤٦ ـ **تسمية أزواج النبيّ وأولاده** ـ لأبي عبيدة.
٤٧ ـ **تفسير ابن كثير**.
٤٨ ـ تفسير البغوي.
٤٩ ـ تفسير الطبري.
٥٠ ـ تفسير القرطبي.
٥١ ـ تفسير مجاهد.
٥٢ ـ **تقريب التهذيب** ـ لابن حجر.
٥٣ ـ **تلخيص المستدرك** ـ للذهبي.
٥٤ ـ تلقيح فهوم الأثر ـ ابن حجر.
٥٥ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ـ للنووي.
٥٦ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** ـ لابن عساكر.
٥٧ ـ **تهذيب التهذيب** ـ لابن حجر.
٥٨ ـ **تهذيب سيرة ابن هشام** ـ لعبد السلام هارون.
٥٩ ـ **تهذيب الكمال** ـ للمِزّي.

ث

٦٠ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ـ للثعالبي.

ج

٦١ ـ **جامع الأصول** ـ ابن الأثير.
٦٢ ـ **الجامع الصحيح** ـ للترمذي.
٦٣ ـ **الجرح والتعديل** ـ لابن أبي حاتم الرازي.
٦٤ ـ **جمهرة الأمثال** ـ لأبي هلال العسكري.
٦٥ ـ **جمهرة أنساب العرب** ـ لابن حزم.
٦٦ ـ **جمهرة اللغة** ـ لابن دُرَيد.
٦٧ ـ **جمهرة النسب** ـ لابن الكلبي.
٦٨ ـ **جوامع السيرة** ـ لابن حزم.

ح

٦٩ ـ **حاشية على تفسير الجلالين** ـ للصاوي.
٧٠ ـ **حلبة الفرسان وشعار الشجعان** ـ لابن هُذَيل الأندلسي.
٧١ ـ **الحلبة في أسماء الخيل** ـ للتاجي الصاحبي.
٧٢ ـ **حلية الأولياء** ـ لأبي نُعيم الأصبهاني.
٧٣ ـ **حياة الحيوان** ـ للدُمْيري.

خ

٧٤ ـ **خزانة الأدب** ـ للبغدادي.
٧٥ ـ **الخصائص الكبرى** ـ للسيوطي.
٧٦ ـ **خلاصة تذهيب التهذيب** ـ للخزرجي.

د

٧٧ ـ **الدُرَر في المغازي والسير** ـ لابن عبد البَرّ.
٧٨ ـ **الدُّرّ المنثور** ـ للسيوطي.
٧٩ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ لأبي نُعيم.
٨٠ ـ **دلائل النُّبُوَّة** ـ للبَيْهقي.

٨١ ـ دُوَل الإسلام ـ للذهبي.
٨٢ ـ ديوان الأعشى ـ ميمون بن قيس.
٨٣ ـ ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت.
٨٤ ـ ديوان حسّان بن ثابت.
٨٥ ـ ديوان رؤبة بن العجّاج.
٨٦ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى.
٨٧ ـ ديوان كعب بن زهير.
٨٨ ـ ديوان لَبِيد بن ربيعة.

ذ

٨٩ ـ ذِكْر أخبار أصبهان ـ لأبي نُعَيم.

ر

٩٠ ـ ربيع الأبرار ـ للزمخشري.
٩١ ـ الروض الأُنُف ـ للسُهَيلي.

ز

٩٢ ـ زاد المعاد ـ لابن قيّم الجوزيّة.
٩٣ ـ الزاهر ـ لابن الأنباري.

س

٩٤ ـ سُبُل الهدى والرشاد ـ للصالحي.
٩٥ ـ السِّمْط الثمين ـ للمُحبّ الطبري.
٩٦ ـ السُنَن ـ لابن ماجه.
٩٧ ـ السُنَن ـ لأبي داود.
٩٨ ـ السُنَن ـ للدارقُطْني.
٩٩ ـ السُنَن ـ للدارمي.
١٠٠ ـ السُنَن ـ لسعيد بن منصور.
١٠١ ـ السُنَن الكبرى ـ للبَيْهَقي.
١٠٢ ـ سِيَر أعلام النُبلاء ـ للذهبي.
١٠٣ ـ السِيَر والمغازي ـ لابن إسحاق.
١٠٤ ـ السيرة النبوية ـ لابن كثير.
١٠٥ ـ السيرة النبوية ـ للحلبي.
١٠٦ ـ السيرة النبوية ـ للدكتور عبد المهدي بن عبد الهادي.

ش

١٠٧ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد الحنبلي.
١٠٨ ـ شرح ديوان الحماسة.
١٠٩ ـ شرح السُنَّة ـ للبَغَوي.
١١٠ ـ شرح السيرة ـ لأبي ذَرّ الخشني.
١١١ ـ شرح شواهد المغني ـ للسيوطي.
١١٢ ـ شرح القصائد العشر ـ للتبريزي.
١١٣ ـ شرح قصيدة الأعشى.
١١٤ ـ شرح قصيدة كعب بن زهير ـ للتبريزي.
٢٢٥ ـ شرح معاني الآثار ـ للطحاوي.
١١٦ ـ شرح المواهب اللَّدُنّية ـ للزُرقاني.
١١٧ ـ شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد.
١١٨ ـ الشعر والشعراء ـ لابن قُتيبة.
١١٩ ـ الشفاء ـ للقاضي عِياض.
١٢٠ ـ شفاء الغرام ـ للقاضي الفاسي، (بتحقيقنا).

ص

١٢١ ـ صُبْح الأعشى ـ للقلقشندي.
١٢٢ ـ الصِّحاح في اللغة ـ للجوهري.
١٢٣ ـ الصحيح ـ للإمام البخاري.
١٢٤ ـ الصحيح ـ للإمام مسلم.
١٢٥ ـ صفة الصفوة ـ لابن الجوزي.

ض

١٢٦ ـ ضعيف الجامع ـ للألباني.

ط

١٢٧ ـ الطبقات ـ لخليفة بن خيّاط.
١٢٨ ـ طبقات الشعراء ـ لابن سلّام.
١٢٩ ـ طبقات فحول الشعراء ـ للجُمَحي.

١٣٠ ـ **الطبقات الكبرى** ـ لابن سعد.

ع

١٣١ ـ **العِبَر في خبر من غَبَر** ـ الذهبي.

١٣٢ ـ **العِبَر في المبتدأ والخبر** ـ لابن خلدون.

١٣٣ ـ **عِقْد الأجياد** ـ للأمير الجزائري.

١٣٤ ـ **العِقْد الثمين** ـ للقاضي الفاسي.

١٣٥ ـ **العِقْد الفريد** ـ لابن عبد ربّه.

١٣٦ ـ **عيون الأثر** ـ لابن سيّد الناس.

١٣٧ ـ **عيون التواريخ** ـ لابن شاكر الكُتُبي.

ف

١٣٨ ـ **فتح الباري** ـ لابن حجر.

١٣٩ ـ **فتوح البلدان** ـ للبلاذري.

١٤٠ ـ **فردوس الأخبار** ـ للديلمي.

١٤١ ـ **فضل الخيل** ـ للدمياطي.

ك

١٤٢ ـ **الكاشف في أسماء الرجال** ـ للذهبي.

١٤٣ ـ **الكامل في الأدب** ـ للمبرّد.

١٤٤ ـ **الكامل في التاريخ** ـ لابن الأثير.

١٤٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ـ لابن عَدِيّ.

١٤٦ ـ **الكُتّاب والشعراء**.

١٤٧ ـ كشف الخفاء ـ للجراحي.

١٤٨ ـ **كشف الظنون** ـ لحاجي خليفة.

١٤٩ ـ **كنز العمّال** ـ للمتّقي الهندي.

١٥٠ ـ **الكُنَى والأسماء** ـ للدولابي.

ل

١٥١ ـ **لُباب الآداب** ـ لأُسامة بن منقذ.

١٥٢ ـ **اللُّباب في تهذيب الأنساب** ـ لابن الأثير.

١٥٣ ـ **لسان العرب** ـ لابن منظور.

م

١٥٤ ـ **مجاز القرآن** ـ لأبي عبيدة.

١٥٥ ـ **مجمع الأمثال** ـ للمَيْداني.

١٥٦ ـ **مجمع الزوائد** ـ للهيثمي.

١٥٧ ـ **مجموعة الوثائق السياسية** ـ للدكتور محمد حميد الله.

١٢٥٨ ـ **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر** ـ لعلي دده.

١٥٩ ـ **المحبَّر** ـ لابن حبيب البغدادي.

١٦٠ ـ **المحتسب** ـ لابن جني.

١٦١ ـ **المختصر في أخبار البشر** ـ لإبي الفداء.

١٦٢ ـ **المخصص** ـ لابن سيده.

١٦٣ ـ **مِرْآة الجنان** ـ لليافعي.

١٦٤ ـ **مروج الذهب** ـ للمسعودي.

١٦٥ ـ **المستَخْرَج من كتاب التاريخ** ـ لابن مَنْده ـ (مخطوطة كوبريللي ٢٤٢).

١٦٦ ـ **المُستدرك على الصحيحين** ـ للحاكم النيسابوري.

١٦٧ ـ **المُسْنَد** ـ لأبي يَعْلَى.

١٦٨ ـ **المُسْنَد** ـ للإمام أحمد.

١٦٩ ـ **المُسْنَد** ـ للبزّار.

١٧٠ ـ **المُسْنَد** ـ للشافعي.

١٧١ ـ **المُسْنَد** ـ لعبد الوهاب الكلابي.

١٧٢ ـ **مشاهير علماء الأمصار** ـ لابن حبّان.

١٧٣ ـ **المشترك وضعاً والمفترق صقعاً** ـ لياقوت الحموي.

١٧٤ ـ **المصنَّف** ـ لابن أبي شيبة.

١٧٥ ـ **المصنّف** ـ لعبد الرزّاق.

١٧٦ ـ **المعارف** ـ لابن قُتَيبة.
١٧٧ ـ **معجم الأدباء** ـ لياقوت الحموي.
١٧٨ ـ **معجم ألفاظ الحديث** ـ للمستشرقين.
١٧٩ ـ **معجم البلدان** ـ لياقوت الحموي.
١٨٠ ـ **معجم الخيل العربية** ـ للدكتور عبد الله الجبوري.
١٨١ ـ **معجم الشعراء** ـ للمرزباني.
١٨٢ ـ **معجم الشعراء في لسان العرب** ـ للدكتور ياسين الأيّوبي.
١٨٣ ـ **معجم الشيوخ** ـ لابن جُمَيْع الصيداوي (بتحقيقنا).
١٨٤ ـ **المعجم الصغير** ـ للطبراني.
١٨٥ ـ **المعجم الكبير** ـ للطبراني.
١٨٦ ـ **معجم ما استعجم** ـ للبكري.
١٨٧ ـ **معجم المؤلّفين** ـ لكحّالة.
١٨٨ ـ **المعرب** ـ للجواليقي.
١٨٩ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ للفَسَوي.
١٩٠ ـ **المعلّقات السبْع** ـ للزَوْزني.
١٩١ ـ **المعمَّرين** ـ للسجستاني.
١٩٢ ـ **المعين في طبقات المحدّثين** ـ للذهبي.
١٩٣ ـ **المغازي** ـ لعُروة بن الزبير.
١٩٤ ـ **المغازي** ـ للواقدي.
١٩٥ ـ **المغني في الضعفاء** ـ للذهبي.
١٩٦ ـ **المفردات** ـ للراغب الأصبهاني.
١٩٧ ـ **مقاتل الطالبيّين** ـ لأبي نعيم.
١٩٨ ـ **مقدّمة مُسْنَدْ بَقِيّ بن مَخْلَد** ـ للدكتور أكرم ضياء العمري.
١٩٩ ـ **مناقب عليّ** ـ للواسطي.
٢٠٠ ـ **مناقب عمر بن الخطّاب** ـ لابن الجوزي.
٢٠١ ـ **المنتخب من ذيل المذيّل** ـ للطبري.
٢٠٢ ـ **المنمّق** ـ لابن حبيب البغدادي.
٢٠٣ ـ **موارد الظمآن** ـ للهيثمي.
٢٠٤ ـ **موسوعة علماء المسلمين في تارخي لبنان الإسلامي (من تأليفنا).**
٢٠٥ ـ **ميزان الإعتدال في نقد الرجال** ـ للذهبي.

ن

٢٠٦ ـ **نسب قريش** ـ لُمصْعَب الزبيري.
٢٠٧ ـ **النقائض، لجرير والفرزدق** ـ لأبي عبيدة.
٢٠٨ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ـ للنويري.
٢٠٩ ـ **النهاية في غريب الحديث** ـ لابن الأثير.

هـ

٢١٠ ـ **هدْي الساري في مقدّمة فتح الباري** ـ لابن حجر.
٢١١ ـ **هديّة العارفين** ـ للبغدادي.

و

٢١٢ ـ **الوافي بالوَفَيات** ـ للصفدي.
٢١٣ ـ **الوفا بأخبار المصطفى** ـ لابن الجوزي.
٢١٤ ـ **وفاء الوفا** ـ للسمهودي.
٢١٥ ـ **الوَفَيات** ـ لابن قُنْفذ.
٢١٦ ـ **وَفَيات الأعيان** ـ لابن خلّكان.

٧ ـ الفهرس العام للجزء الأول من السيرة